شرح كتاب

كشف الشبهات

لإمام الدعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رحمه الله (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

شرح فضيلة الشيخ

أ.د سليمان بن سليم الله الرحيلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

شــرح كتاب

كشف الشبـهات

تَصْنِيف الإِمَام المُجَدِّدُ

مُحَمَّد بِن عَبْدِ الوَهَّاب بِن سُلَيْمَان التَّمِيمِي

رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري

مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمّا بعْدُ؛

فَإِنَّ خَيرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يا معاشر الفضلاء مرحبًا بكم في مجلس عِلمٍ في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرحبًا بكم في مجلس عِلمٍ نرجو بره وخيره ونفعه، وأن يجعله الله عَزَّ وَجَلَّ نافعًا لنا مقويًا لديننا، مقربا لنا من ربنا، ومُرضيًا ربنا عنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

درسنا معاشر الأحبة في أعظم الحقوق وأقواها، وآكدها، وأنفعها في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ درسنا يتعلق: بالتوحيد، وذلك أعظم ما أُمِر به وأعظم ما كُلِف العبد به، فالله عَزَّ وَجَلَّ ما خلق الناس والجن إلَّا لتوحيده؛ كما قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وخلق الله عَزَّ وَجَلَّ ما في الأرض ليُستعان به عَلَىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبعث الله عَزَّ وَجَلَّ الرُسُل

للأمر بتوحيده، وختم الأنبياء والرُسُل بخيرهم وأشرفهم وسيدهم وسيد ولد آدم أَجْمَعِيْنَ مُحَمَّد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كَثِيْرًا.

فبعثه الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ حين فترةٍ من الرُسُل وكان الناس عَلَىٰ الشِّرْك يتقربون إِلَىٰ الأصنام، ومنهم من يعبد: الشَّمْس، ومنهم من يعبد: القمر، ومنهم من يعبد: الملائكة فدعاهم إِلَىٰ التوحيد وقَالَ للناس قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفلِحوا، فآمن مَن آمن، وأبى مَن أبى، فقاتل النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين عَلَىٰ شركهم ليكون التوحيد هو القائم، حَتَّىٰ فتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا وعَلَىٰ التوحيد وظهر وعم وانتشر.

ولما مات النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم بأعباء الحُكم والدعوة والتعليم؛ فدعوا إِلَىٰ توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ مجتمعين عَلَىٰ ذلك مجمعين عَلَىٰ ذلك، مُجمعين عَلَىٰ ذلك، وحاربوا الكفر وَالشِّرْك، وانتشر التوحيد بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ ظهرت الفرق والبِدع المخالفة لِلسُّنَّةِ، وبدأ التوحيد يضعُف حين ويقوى حين آخر، فكلما بعد العهد بزمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزمن صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد ثَّمانية قرون أَوْ نحوها كان الشِّرْك قد انتشر في جزيرة العرب، وكان كثيرٌ ممَن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام يُشرِكون بالله عَزَّ وَجَلَّ ويعكفون عَلَىٰ يعبدونها ويستغيثون بأهلها ويدعون أهلها من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكان فيما بعد القرن العَاشِر ينتشر في جزيرة العرب وفي الأقطار المجاورة وفي كثيرٍ من بلاد المسلمين الشِّرْك بهٰذِه الصور، وقد بصر الله شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بالعِلم بما جاء به مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التوحيد؛ فدعا الناس إِلَىٰ التوحيد وبين لهم الشِّرْك وأدلة ذلك، ودعاهم إِلَىٰ البراءة منه فآمن مَن آمن وأبى مَن أبى.

وكان من بصيرة شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن ألف كتاب: **(التوحيد)** الَّذِي بين فيه أصول التوحيد، فبين فيه التوحيد بالتفصيل، وبين ما ينقض التوحيد ويبطله، وما يُنقِص التوحيد ويبطل كماله بأسلوبٍ فريد وترتيبٍ بديع، فبين به الحق وأقام به الحُجة رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ووجد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن هناك شبهاتٍ تُلبِس عَلَىٰ الناس دينهم فيحتاج أهل التوحيد إِلَىٰ دفعها حَتَّىٰ يسلم لهم توحيدهم، ويحتاج المخالفون إِلَىٰ كشفها ليهتدي

مَن شاء الله له الهداية إِلَىٰ التوحيد، فألف كتابًا صغيرًا في حجمه عظيمًا في نفعه هو كتاب: (**كشف الشبهات**).

✪ ونستطيع أن نقول إن مقصود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ من تأليف هٰذَا الكتاب ثلاثة مقاصد:

➢ **المقصد اَلْأَوَّلُ:** تقوية توحيد الموحدين بدفع الشبه عن التوحيد.

فإن من المعلوم: أن الشُبهة إِذَا وردت قد تُضعِف توحيد الإنسان، فإِذَا كشفت هٰذِه الشبه ودُفِعَت هٰذِه الشبه قوي التوحيد واشتد، وعظم اعتقاد الإنسان وتمسكه بتوحيده، وهٰذَا هو المقصود الأصلي من تأليف الكتاب، أراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أن يكون الكتاب تقوية لتوحيد الموحدين، وتثبيتًا لهم عَلَىٰ التوحيد.

➢ **والمقصود الْثَّانِي:** كشف الشبه عن المخالفين ليهتدي مَن شاء الله له الهداية، فإن الشبه تحول بين الناس وبين الحق في التوحيد.

فأراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يكشف هٰذِه الشبهات لعله أن يتبصر مَن شاء الله له البصيرة من المخالفين للتوحيد، وهٰذَا من الرحمة بالناس.

➢ **والمقصود الْثَّالِث:** إقامة تكملة إقامة الحُجة، وإزالة الشُبهة.

وهٰذَا واجبٌ عَلَىٰ العِلماء سواءً عمِل الناس بما يقولون أَوْ لم يعملوا، وظيفة العِلماء: أن يقيموا الحُجة، وأن يزيلوا الشُبهة، وأن يدعوا الناس إِلَىٰ الحق وهٰذِه هي هداية البيان، أَمَّا هداية التوفيق فهي بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يستطيع العالِم أن يهدي حَتَّىٰ أبنه وَحَتَّىٰ أهله هداية التوفيق، وَإِنَّمَا يستطيع أن يهدي هداية البيان بإقامة الحُجة وإزالة الشُبهة.

فمن مقاصد شيخ الإسلام رَحِمَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ من هٰذَا الكتاب: أن يُكمِل إقامة الحُجة الَّتِي أقامها بكتاب التوحيد وذلك بإزالة الشبهات، فإن إزالة الشبهات تتميمٌ لإقامة الحُجة، وهٰذَا الكتاب الَّذِي بين أيدينا اسمه: (**كشف الشبهات**)، شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لم يُصرِح باسمه في داخله، لكن الَّذِي تواطئ عليه تلاميذ الشيخ واتباع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن اسمه: كشف الشبهات، فبعضهم يسميه: كشف الشُبه، وبعضهم يسميه: كشف الشُبهة، وبعضهم والأكثر منهم يسمونه: كشف الشبهات، فهٰذَا هو اسمه: (**كشف الشبهات**).

✓ **والكشف هو:** إزالة ما يغطي الشي، ورفع ما يغطي الشيء.

فإذا كان الشيء يغطيه شيءٌ ويواريه عن الأنظار، فإذا أزال الإنسان ذلك الَّذِي يغطي الشيء قَالَوا: كشفه؛ أي: رفع غطاءه وأزال ما يواريه عن الناس، ويجعله خافيًا عَلَىٰ الناس.

✓ **وَأمَّا الشبهات:** فهي جمع شبهة، وهي إمَّا أنها مأخوذة من الاشتباه وهو: الالتباس؛ بحيث يكون الأمر مُلتبسًا غير ظاهر، وَإِنَّمَا فيه خفاءٌ عَلَىٰ الناس، وَإِمَّا أنها مأخوذةٌ من الشبه؛ وهي أنها تجعل الباطل يشبه الحق.

✓ **وأما الشُبهة في لسان العِلماء:** فيراد بها باطلٌ يعرض للحق في صورة حق، فيجعل الحق مُلتبسًا عَلَىٰ الناس.

فهي باطلٌ في ذاتها، ولكنها تعرض للحق في صورة حق فيظنها العوام حقًا، فتجعل الحق مُلتبسًا عَلَىٰ العامة، وإن كان علماء الحق يعرفونها، ويرونها أوهى من بيت العنكبوت، لا حقيقة لها ولا حق فيها، لكنها تعرض للعامة في صورة: الحق، وهنا تظهر خطورتها عَلَىٰ دين الناس، فتحتاج إِلَىٰ العِلماء الربانيين إِلَىٰ علماء الحق لكشفها وبيان زيفها ليسلم الحق، ويظهر الحق، ويتبين الحق من الباطل.

وهٰذَا الكتاب لم يقسمه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بل هو متسلسلٌ من أوله إِلَىٰ آخره، وقد سار فيه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ طريقة الحوار؛ لأن الحوار أقرب إِلَىٰ الإقناع، فما يراد به الإقناع فالأفضل فيه: أن يُسلَك فيه طريق الحوار، كما فعل النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الشاب الَّذِي جاء يستأذنه في اَلزِّنَا ويقول: ائذن لي في اَلزِّنَا، فإن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كهره ولا نهره، وَإِنَّمَا حاوره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوارًا عظيمًا شريفًا؛ لأن المقصود: إقناع هٰذَا الشاب بأن اَلزِّنَا لا يرضاه الإنسان لأهله فلا ينبغي أن يرضاه لنفسه، ولا ينبغي أن يرضاه لأهل الناس أَجْمَعِيْنَ.

فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لما كان مراده في هٰذَا الكتاب: أن يُقنِع وأن يُظهِر الحق بصورةٍ مقنعة سار عَلَىٰ نهج الحوار في هٰذَا الكتاب، وهٰذَا منهجٌ اختُص به هٰذَا الكتاب من كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ للسبب الَّذِي أشرنا إليه، ونستطيع أن نقول: إن هٰذَا الكتاب يُقسَم إِلَىٰ قسمين، أَوْ ينقسم إِلَىٰ قسمين، أَوْ ينقسم إِلَىٰ: تمهيدٍ، ومقصود؛ فَإِمَّا أن نقول: إنه ينقسم إِلَىٰ قسمين، وَإِمَّا أن نقول: إنه ينقسم إِلَىٰ تمهيدٍ، ومقصود.

أما القسم الأول أو التمهيد: فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ فيه أصولًا للحق يُرتَكز عليها في دفع الشُبه، ومَن عرف هٰذِه الأصول تبين له فساد الشُبه، فمَن استقرت عنده هٰذِه الأصول سقطت عنده الشُبه الَّتِي تعارض التوحيد الَّذِي جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهٰذِه الأصول نستطيع أن نقول: إنها أصولٌ ثَمَّانية، سنذكر هٰذِه عندما نمر بمكانها من الشرح أصلًا أصل، ونعلق عَلَىٰ كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وأما القسم الثاني: فقد ذَكَرَ فيه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شبهات المخالفين للتوحيد؛ الَّتِي يوردونها عَلَىٰ التوحيد والموحدين، ويُلبسون بها عَلَىٰ الناس، وقد ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خمس عشرة شبهة.

هٰذِه الشبهات هي أصول الشبهات الَّتِي تعرض للتوحيد، فما من شبهةٍ يذكرها المخالفون للتوحيد إِلَّا وهي من هٰذِه الشبهات، أَوْ تتفرع عن شبهةٍ من هٰذِه الشبهات، فمَن عرف رد هٰذِه الشبهات كان قادرًا بحمد الله عَلَىٰ رد شبهات المخالفين للتوحيد.

وهٰذِه الشبهات كلها نستطيع أن نقول: إنها ترجع إِلَىٰ شيءٍ واحد وهو: زعم الفرق بين ما يفعله الناس المنتسبون إِلَىٰ الإسلام الَّذِين يعكفون عَلَىٰ القبور ويستغيثون بأهلها ويدعون أهلها، وبين شِّرْك المشركين الَّذِي هدمه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والزعم أنما عليه الناس يخالف شِّرْك المشركين فلا تنطبق عليه النصوص الواردة في الشِّرْك، ولا يعد شِركًا، وَإِنَّمَا هو من الأعمال الصالحة بزعمهم خابوا وخسروا، فهم يزعمون الفرق.

فكل الشبهات محصلها هٰذَا الأمر، والجواب عنها يؤدي إِلَىٰ نتيجة يقينية وهي: أنه لا فرق بين ما يفعله هؤلاء ممَن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام وبين شِّرك المشركين الَّذِي بُعِث النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدمه وبين أنه شِّرك وقاتل الناس عليه، بل هو عينه، أَوْ ما عليه الناس أشد مِمَّا كان عليه المشركون من الشِّرْك الأكبر كما يتبين إِنْ شَاءَ اللهُ.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في كشف هٰذِه الشبهات سار عَلَىٰ طريقة القرآن: من أن الشُبهة تُرَد جملةً وتُنقَض تفصيلًا؛ فطريقة القرآن أن شبه المشركين الَّتِي تورد عَلَىٰ الأنبياء تُرَد جملةً واحدة، وتُرَد تفصيلًا شُبهةً شُبهة، فشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رد شبهات المُبطلين جملةً، ثُمَّ ردها تفصيلًا شُبهةً شُبهة بالمنقول والمعقول، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ونحن في هٰذِه المجالس الَّتِي نتقرب بها إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ سنقرأ هٰذَا الكتاب ونشرحه شرحًا يليق بمقصود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، منه يقرب معانيه ويقوي مبانيه، فنستعين بالله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ ذلك، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل في كلامنا خيرًا وبركةً ونفعًا، وتبصرةً لأُمة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقويةً لتوحيد الموحدين، وتجليةً للحق، وكشفًا لما يغمي بصائر المخالفين للتوحيد، راجين الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهديهم، وأن يوفقهم إِلَىٰ سلوك طريق الحق.

فيتفضل الأبن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المُجدِد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وجزاه عنا خيرًا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

(الشرح)

بدأ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الكتاب بالبسملة، وذلك من باب الاقتداء بالكتاب والسُّنَّة، أَمَّا الكتاب: فإن المصحف بالإجماع مبدوءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سواءً قلنا: إنها آيةٌ من كل سورة، أَوْ قلنا: إنها أيةٌ مستقلة، فإنه قد أجمع المسلمون عَلَىٰ: أن المصحف مبدوءٌ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وعَلَىٰ أنها تُقرأ في بداية السورة، وَأَمَّا السُّنَّة: فإن كتب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي كان يأمر بكتابتها ويرسلها إِلَىٰ الملوك ونحوهم كانت تبدأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فقد استقرأ العلماء كتب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدوها جميعًا مبدوءةً بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كما أن خُطَب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها كانت مبدوءةً: بالحمدلة، فكانت السُّنَّة في المكتوب: أن يُبدأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وكانت السُّنَّة في المسموع: أن يُبدأ بالحمدلة.

ولما كان العِلم المكتوب أَوْ المسموع يمكن أن يُكتَب إن كان مسموعًا، ويمكن أن يُسمَع إن كان مكتوبًا، فجمع بعض العلماء في كتبهم أي في بداية كتبهم بين: البسملة والحمدلة، فيبدأون بالبسملة باعتبار أنه مكتوب، ويذكرون الحمدلة باعتبار أن الكتاب في الغالب يُقرأ ويُسمَع، وبعض أهل العِلم يقتصرون عَلَىٰ: البسملة باعتبار أنه مكتوب.

كما أنكم تلحظون أن بعض أهل العِلم يبدأون دروسهم وكلامهم في غير خطب الجمعة ونحوها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ يذكرون الحمدلة باعتبار أن هٰذَا العِلم قد يُكتَب، فنعم هو مسموعٌ فالسُّنَّة فيه: أن يُبدأ بالحمدلة، لكن لما كان هٰذَا مظنة أن يُكتَب فإنهم يبدأون: بالبسملة ثُمَّ الحمدلة، وإن كان الأظهر عندي في المسموع أن يُبدأ: بالحمدلة، وألا يُبدأ بالبسملة، لكنني أذكر وجه بعض العِلماء.

إذًا إذَا نظرنا إِلَىٰ صنيع العِلماء في كتبهم نجد أن بعضهم يبدأ بالبسملة لما ذكرناه، وأن بعضهم يبدأ بالبسملة ثُمَّ الحمدلة لما ذكرناه أَيْضًا، وذِكر البسملة في بداية المكتوب للاستعانة، وَالتَّوَسُّل، والتبرُك باسم الله عَزَّ وَجَلَّ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ الباء: لَا بُدَّ لها من مُتعلَق، والأصوب: أنه في كل موضعٍ يُقدَر ما يناسب الموضع، فإذَا كان الإنسان يأكل فقَالَ بسم الله يُقدر آكل بسم الله، أَوْ بسم الله آكل، وإذَا كان يشرب فكذلك، وإذَا كان يكتب كما معنا فإنه يُقدَر: أكتب بسم الله، أَوْ بسم الله أكتب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ.

(الشرح)

يستعمل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذِه الجملة كثيرًا؛ اعلم رحمك الله، (اعْلَمْ)؛ فعل أمرٍ، **والعِلم هنا يراد به معنيان كلاهما مراد:**

❶ **الأمر الْأَوَّلُ**: العِلم الشرعي النافع؛ فالمراد: إني ذاكرٌ لك في هٰذَا الكتاب علمًا شرعيًا ينفعك بِإِذْنِ اللهِ.

❷ **والمعنى الثَّانِي للعلم**: اليقين الَّذِي لَا شَكَّ فيه؛ أي: تيقن.

فيصير معنى الجملة: إني ذاكرٌ لك في هٰذَا الكتاب علمًا شرعيًا ينفعك بِإِذْنِ اللهِ فكن عَلَىٰ يقينٍ منه، هٰذَا معنى اعلم هنا.

(رَحِمَكَ اللهُ) دعوة للقارئ والسامع بأن يرحِمهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وفي هٰذَا تلطفٌ من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وبيانٌ أنه إِنَّمَا يدعو الناس إِلَىٰ التوحيد ويبين لهم التوحيد، ويكتب لهم عن التوحيد من باب الرحمة بهم، فهو لا يتعالى عليهم وَإِنَّمَا يرحمهم، وفيه بيان أن: أعظم الرحمة دعوة الناس إِلَىٰ التوحيد؛ وأن أعظم الناس رحمةً بالناس هو الَّذِي يدعوهم إِلَىٰ التوحيد.

والنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِث رحمةً للعالمين؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن هٰذِه الرحمة العظيمة، بل أعلاها: أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إِلَىٰ التوحيد، وبين لهم التوحيد، وحذرهم من الشِّرْك، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ اصطفى هٰذِه الدعوة: رحمك الله قاصدًا، وليست عارضةً من غير قصدٍ، فيريد أن يبين هٰذَا الأمر العظيم وهو: إن دعوته للناس إِلَىٰ التوحيد إِنَّمَا هي رحمةً بهم وهي أعظم الرحمة.

وفي البداءة بالدعاء جذبٌ للقلوب، وتقريبٌ للقلوب، وهٰذَا من الأسلوب الشرعي المطلوب من الداعية؛ أن يُظهِر كلامه بما يوصل الحق إِلَىٰ الناس، وذلك: باللطف فيه، والبلاغة فيه، وأعظم البلاغة: أن يكون مبنيًا عَلَىٰ الأدلة مجملاً ومزينًا بالأدلة، فهٰذَا أعظم البلاغة، وهٰذَا متحققٌ في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعة.

والعِلماء يقدمون هٰذِه الجملة يدي الأمور المهمة، فإِذَا قَالَ لك العالِم: اعلم؛ فإن هٰذَا يعني: أن الأمر المذكور مهمٌ جدًا ونافع جدًا، فأرعِه سمعك، وأحضر له فهمك.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

(الشرح)

التوحيد مصدر: وحد يوحد؛ ومعنى وحد: جعله واحدًا، وَأَمَّا التوحيد بمعناها فِي الشَرعَ فهو: إفراد الله بما له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما يختص الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التوحيد فيه أن يُفرَد الله به ولا يُشرَك معه أحد؛ فما يختص به ويكون خاصًا بالله عَزَّ وَجَلَّ التوحيد فيه: أن يُفرد الله به وأن يُجعَل لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كالعبادة فإن العبادة حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يختص بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالتوحيد أن يُفرَد الله بها.

وما يشترك فيه الخلق مع الله في الجملة فإن التوحيد فيه: أن يُفرد الله فيه بالكمال اَلْمُطْلَق؛ ما يكون مشتركًا فإن التوحيد فيه: أن يُفرد الله فيه بالكمال اَلْمُطْلَق، فمثلًا: الله عَزَّ وَجَلَّ رؤوفٌ رحيم، والنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، فالتوحيد هنا: أن يُفرَد الله بالكمال المطلق في الرحمة، وأن رحمة غيره دون رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل ما من رحمةٍ إِلَّا وهي من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❍ **والتوحيد بهذَا المعنى العام ينقسم إلَى ثلاثة أقسام:**

❶ **القسم اَلْأَوَّلُ:** إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بأفعاله، وهٰذَا هو توحيد الربوبية.

❷ **والقسم الْثَّانِي:** إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالأسماء والصفات؛ وهٰذَا توحيد الأسماء والصفات.

❸ **والقسم الْثَّالِث:** إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بأفعال العباد عَلَىٰ وجه التقرب.

وهٰذَا هو الَّذِي يتكلم عنه الشيخ في هٰذَا الكتاب؛ يتكلم عن توحيد الألوهية دون بقية الأقسام.

⮨ **فلماذا؟**

الجواب أوْلًا: لأن التوحيد إِذَا أُطلِق في الكتاب والسُّنَّة فإن المراد به: توحيد الألوهية، وإن كان يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وثانيًا: لأن الحاجة إِلَىٰ بيان هٰذَا التوحيد أعظم وأشرف؛ لأن توحيد الربوبية قل مَن يُنازِع فيه، فلا يُنازِع فيه إِلَّا منكوس الفِطرة جدًا.

فكون الله خالقًا رزاقًا هٰذَا لا يكاد يُنازِع فيه أحد إِلَّا مَن انتكست فطرته جدًا، ولكون توحيد الأسماء والصفات قد كتب فيه العلماء كثيرًا، وفيه كتبٌ كثيرة فبقي هٰذَا التوحيد يحتاج إِلَىٰ بيان، وتجلية، ودفاعٍ عنه، وأكثر مخالفات الناس الَّذِين ينتسبون إِلَىٰ الإسلام في زمن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك في زماننا في الحقيقة هي في هٰذَا التوحيد؛ في توحيد الألوهية، فكانت الحاجة داعيةً إِلَىٰ إفراده والكلام عنه، وتمييزه عما يضاده مِمَّا يلبس به عَلَىٰ الناس.

فقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**هُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ**)؛ إفراد الله سُبْحَانَهُ بأفعال العباد عَلَىٰ وجه التقرب؛ لأن أفعال العباد منها ما هو عَلَىٰ وجه العادة وهٰذَا لا يدخل معنا، ومنها ما هو عَلَىٰ وجه التقرب وهٰذَا هو الَّذِي يدخل معنا.

✓ **والعبادة:** ما أمر الله به في كتابه أَوْ عَلَىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة كالخوف، والرجاء، وَالْدُّعَاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر هو التوحيد؛ يعني: توحيد الألوهية الَّذِي خالف فيه المشركون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إِلَىٰ التوحيد وهم يأبون إِلَّا الشِّرْك، ويُنكِرون عليه أنه جعل الآلهة إلهًا واحد.

(المتن)

وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ.

(الشرح)

في أكثر النسخ كما قرأ نور الدين، وفي بعض النسخ قَالَ الشيخ: وهو دين الإسلام وهو أَيْضًا دين الرُسُل، قَالَ: وهو دين الإسلام، وقد ثبت في الصحيحين في صحيح البخاري ومسلم: أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا»، وهٰذَا هو المعنى الَّذِي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فهٰذَا هو دين الإسلام بمعناه العام، فإن الأنبياء جميعًا هو: الإسلام، كما أنه دين الإسلام بمعناه الخاص.

فإن الإسلام بعد بعثة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار يُطلَق عَلَىٰ ما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، ويُمَيز به عن غيره، وذلك نقول: دين الإسلام له معنى عام ومعنى خاص: أَمَّا المعنى العام فهو: دين الأنبياء جميعًا، فإنه يسمى الإسلام، وَأَمَّا الخاص فهو: ما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه بعد بعثة مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار دينه خاصةً يسمى: الإسلام، وصار اتباعه خاصةً يسمون: المسلمين.

وهٰذَا التوحيد هو دين الإسلام بمعناه العام ومعناه الخاص، وهو دين الرُسُل الَّذِي أرسلهم الله عَزَّ وَجَلَّ به إِلَىٰ عباده، هٰذَا يا إخوة هو الأصل الْأَوَّلُ من أصول الحق، والَّتِي يُرتكز عليها في دفع الشبهات وكشف الشبهات، أن التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة وهو الَّذِي جاء به الأنبياء والمرسلون، كل الأنبياء جاءوا بهٰذَا، فدين الأنبياء واحد وشرائعهم شتى؛ فدين الأنبياء جميعًا: التوحيد.

قَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ الأنبياء إخوة لعلات؛ أي: أنهم كأن أباهم واحد وأمهاتهم مختلفات، فدينهم واحد، وشرائعهم فيها شيء من الاختلاف، فما من رسولٍ بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وقد دعا الناس إِلَىٰ التوحيد والسلامة من الشِّرْك، التوحيد الَّذِي هو عبادة الله وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ يعني: ولقد بعثنا في كل أُمةٍ رسولٍ بهٰذِه الدعوة وَبهٰذَا الدين، ما هو؟ أن وحدوا الله في العبادة ولا تعبدوا غيره، فهٰذَا دين الأنبياء، وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، أي: أنك لم تكن يا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدعًا من الرُسُل، بل أنت مبعوثٌ بما بُعِث به الرُسُل، فما بُعِث رسولٌ قبلك إِلَّا بهٰذِه الدعوة العظيمة؛ أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فاعبدوا الله مخلصين له الدين، فهٰذِه دعوة الأنبياء جميعًا، وَهٰذَا هو دين الأنبياء جميعًا.

ولذلك يقول العلماء: مَن وحد الله آمن بدين الأنبياء جميعًا، ومَن أشرك كذب الرُسُل جميعًا.

فالَّذِي يأتي مثلًا ويقول: إن الله ثالثُ ثلاثة، ويقول: أنا أؤمن بعيسى، نقول: كذاب كذبت جميع الرُسُل؛ كذبت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذبت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذبت نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذبت مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذبت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسائر الأنبياء؛ لأن الأنبياء جميعًا قد جاءوا بالتوحيد، فمَن أشرك مع الله أَوْ بالله فهو مكذبٌ للأنبياء جميعًا وإن زعم أنه يؤمن بنبيٍ من الأنبياء فهو كاذبٌ في دعواه.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.**

(الشرح)

أَوْل الرُسُل الَّذِين بعثوا إِلَىٰ المشركين هو: نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]؛ فبدأ الله بنوحٍ أَوْلًا والنَّبِيّين من بعده؛ فجعل النَّبِيّين من بعد نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي حديث الشفاعة في الصحيحين فيه: أن الناس يأتون نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون: يا نوح أنت أَوْل الرُسُل إِلَىٰ أهل الأرض.

وَأَيضًا في الصحيحين في حديث الشفاعة: أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول للناس: ائتوا نوحًا فإنه أول رسولٍ بعثه الله إِلَىٰ أهل الأرض، فإن قَالَ قائل: أليس آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًا؟ قلنا: بلى هو نبيٌّ، بل بعض أهل العِلم يقول: هو أَيْضًا رسول، ولكن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِث إِلَىٰ بنيه وهم موحدون، فما بُعِث إِلَىٰ مشركين وبُعِث إِلَىٰ موحدين، والمعلوم: أن أبناء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته إِلَىٰ عشرة قرون كانوا عَلَىٰ التوحيد.

فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعِث إِلَىٰ ذريته وهم موحدون، أما نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو أَوْل رسولٍ بُعِث إِلَىٰ قومٍ مشركين، من نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان الرسول يُبعَث إِلَىٰ قومٍ مشركين يدعوهم إِلَىٰ التوحيد وإِلَىٰ السلامة والبراءة من الشِّرْك، وإِذَا فُهِم هٰذَا لا يكون هناك إشكالٌ في هٰذِه المسألة.

(المتن)

❏ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ.

(الشرح)

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة لأن هٰذَا يحتاج إِلَىٰ شيءٍ من الكلام، ولا أريد أن أُطيل عَلَىٰ الإخوة، فلعلنا نقف عند هٰذِه النقطة ونُكمِل إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في فجر السبت القادم، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعيننا عَلَىٰ إتمام هٰذَا الكتاب، فإن هٰذَا الكتاب يا إخوة ما قرأه موحدٌ إِلَّا اشتد توحيده وقوي توحيده، فَهٰذَا الكتاب بفضل الله من مقويات التوحيد، ومن أسباب الثبات عَلَىٰ التوحيد، وما قرأه مخالفٌ للتوحيد بإنصافٍ وتجرُد إِلَّا انكشف عنه الغطاء، وتبين له الهدى.

أَمَّا المُعرِض والَّذِي يقرأ الكتاب متلبسًا بالتقليد والهوى فهٰذَا لا ينفع فيه شيء، فَهٰذَا يقرأ القرآن كاملًا، وقد يكون من قُراء القرآن، لكنه يتخبط في الشِّرْك صباحًا ومساءً؛ لأنه مُعرِض فلا يقرأ بإنصافٍ، حَتَّىٰ بلغ الحال ببعض المخذولين أن يقول عن بعض آيات القرآن: هٰذِه آياتٌ وهابية، نعوذ بالله من انحطاط الحال.

✍ إِذًا من يقرأون هذا الكتاب عَلَىٰ ثلاثة أقسام:

➢ اَلْأَوَّلُ: إِمَّا موحدٌ فيشتد توحيده، ويقوى توحيده، ويثبُت عَلَىٰ التوحيد.

وما أحوجنا إِلَىٰ هٰذَا في هٰذَا الزمان الَّذِي قويت فيه قرون أهل البِدَع بهٰذِه الوسائل الحديثة، وصاروا يصلون إِلَىٰ كثير من الناس بشبهاتهم، تسمعون كلامًا كثيرًا للملبسين في زماننا، وإن كان الواجب عَلَىٰ المسلم: أن يجتنب هؤلاء وألا يسمع لهم، لكنهم أحيانًا يعرضون للإنسان عرضًا فيحتاج الإنسان إِلَىٰ ما يقوي توحيده، ويشد توحيده، ويجعله يثبت عَلَىٰ هٰذَا التوحيد، بل إِذَا كانت عنده قدرة يُقارِع هؤلاء الملبسين ويرد عليهم ويبين حقيقة التوحيد.

➢ والقسم الْثَّانِي: مَمَن يقرأون هٰذَا الكتاب مَن يخالفون دعوة التوحيد، لكنهم ليس عندهم إعراض ولكن عندهم شُبَه، فما يقرأ أحد منهم هٰذَا الكتاب بإنصاف إِلَّا تجلى له الحق، وتبين له الحق، وكم من شخصٍ قرأ هٰذَا الكتاب فانقلب من عدائه إِلَىٰ دعوة التوحيد إِلَىٰ كونه عالمًا من علماء التوحيد، وداعيةً إِلَىٰ التوحيد.

➢ **والقسم الْثَّالِث:** مَن يقرأ هٰذَا الكتاب بإعراضٍ وهو أسير الهوى، والتقليد، فهٰذَا لا ينفعه شيء، لم يُرِد الله هدايته فأعمى بصيرته، نعوذ بالله من سوء الحال.

إذًا نحن والناس بحاجةٍ لمثل هٰذَا الكتاب حاجةً عظيمة، وبحاجةٍ إِلَىٰ فهمه، فوصيتي لنفسي وإخواني: أن نصبر ونصابر عَلَىٰ فهم هٰذَا الكتاب، وعَلَىٰ حضور هٰذِه الدروس في مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقربين بها إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واللهُ أَعْلَمُ.

الأسئلة

السؤال: هٰذَا يقول: هناك بعض شركات الأدوية تعرض عَلَىٰ الأطباء هدايا وأموال مقابل الترويج لبعض أنواع الأدوية وكتابتها في الوصفات الطبية للمرض، فما حكم أخذ هٰذِه الهدايا والأموال مقابل هٰذَا العمل؟

الجواب: هٰذَا فيه تفصيل، فإن كان الأطباء ممنوعين من هٰذَا نظامًا: فإنه لا يجوز للطبيب أن يأخذ هٰذَا ولا أن يعمل به، فإن لم يكن الأطباء ممنوعين هٰذَا نظامًا فإنهم ينقسمون إِلَىٰ قسمين:

القسم اَلْأَوَّلُ: أن يكونوا عمالًا للعموم؛ أي: أنهم يأخذون راتبًا من الدولة، وهنا لا يجوز لهم أن يقبلوا الهدايا إِلَّا أن يأخذوها ليصرفوها للمحتاجين، ويعطوها للمحتاجين من المرضى إِذَا راجعوهم، فيأخذ الطبيب مثلًا هٰذِه الأدوية ويجعلها في مكتبه فإِذَا جاءه مريض يحتاج هٰذَا الدواء وهو لا يستطيع شراءه يعطيه له، فهٰذَا فيما يظهر لي واللهُ أَعْلَمُ: لا حرج فيه.

وَأَمَّا إن كانوا من الأطباء الخاصين ليسوا عمالًا للعامة؛ بمعنى: أنهم لا يأخذون راتبًا من الدولة، والمؤسسة الَّتِي يعملون فيها لا تمنعهم من ذلك، فيجوز لهم أخذ ذلك بشرط: ألا يغش المسلمين بها، فيكتبوها للمريض وهي أقل فعالية من غيرها، أَوْ أغلى من غيرها لكون المناديب يعطونهم الهدايا، فإن في هٰذَا غِشًّا لا يجوز من مسلمٍ.

فإِذَا كان أخذهم الهدايا مشروطًا بأن يكتبوا هٰذَا الدواء في الوصفات، وَهٰذَا الدواء أقل فعالية من غيره فإن ذلك: لا يجوز، فلا يجوز لهم الأخذ، ولا يجوز لهم الوصف، وكذلك إِذَا كان هٰذَا الدواء أغلى من غيره مع أن الفعالية واحدة فإنه: لا يجوز للطبيب أن يكتب للمريض الدواء الأغلى من أجل أن المناديب يعطونه هدايا، واللهُ أَعْلَمُ.

السؤال: هٰذَا يقول: تعبت فنمت جالسًا بينما أنتظر صلاة الجمعة، فهل هٰذَا النوم ينقض الوضوء؟

الجواب: هٰذَا فيه تفصيل، فالصحيح والراجح: أن الضابط في النوم الَّذِي ينقض الوضوء: أنه الَّذِي يُذهِب الإحساس بالكلية؛ فلا يحس الإنسان بمن حوله، بل قد يتكلم وهو لا يدري، ولا يدري بمَن

حوله، فإذَا بلغ النوم أنه يُذهِب الإحساس بالكلية فإنه ينقض الوضوء، فإن نام الإنسان جالسًا فإن الأصل في نوم الجالس لا يُذهِب الإحساس بالكلية، ولذلك الأصل فيه: أنه لا ينقض الوضوء.

لكن إِذَا علم الإنسان من نفسه أنه نام نومًا مستغرقًا ذهب إحساسه، ولربما صار يحلم بالأحلام وهو جالس فهٰذَا ينقض الوضوء عَلَىٰ الراجح من أقوال أهل العِلم، وإن كان النائم جالسًا، لعل في هٰذَا كفاية، ونعود للدرس بعد العصر، والله تَعَالَىٰ أعلى وَأَعْلَمُ.

وصلَّى اللهُ علَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فيا معاشر الفضلاء؛ نُواصل شرحنا لكتاب: **(كشف الشبهات)** للإمام المجدد النص شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هذا الكتاب الصغير في حجمه، العظيم في نفعه، الَّذِي مَا قرأه موحد إلَّا اشتد توحيده وقوي، ولا قرأه مخالفٌ لدعوة التوحيد إلَّا انجلت لَهُ الحقيقة وانكشف لَهُ الهدى أَوْ أُقيمت عليه الحجة، ولذلك حقيقٌ بالموحدين قراءته وفهمه وإقراؤه في البيوت والمساجد وغيرها ونشر مَا فيه بمختلف الوسائل.

ولا زلنا مع الأصل اَلْأَوَّلُ من الأصول الَّتِي مهد بها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لكشف الشبهات؛ إذ هِيَ أصول الحق، وبها تُدفع الشبهات، ومن عرفها وأيقن بها كانت شبهات المشركين عنده أوهى من بيت العنكبوت.

هذا الأصل اَلْأَوَّلُ هو: تفسير التوحيد، وأنه إفراد الله سُبْحَانَهُ بالعبادة، وأن هذا التوحيد بهذا المعنى هو الَّذِي خُلق من أجله الإنس والجن، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي إلَّا ليُوحدوني في عبادتي، وَهُوَ الَّذِي بُعث به الرسل جميعًا، فما من رَسُول بُعث إِلَى قوم مشركين من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا وَهُوَ يقول لقومه: أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فاعبدوه ووحدوه.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ التوحيد بهذا المعنى هو دين الإسلام، فالإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، هذا هو دين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعًا، وَهُوَ الَّذِي بُعث به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعا الناس إليه.

وقد قررنا هذا الأصل من خلال كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقرأنا بعض كلامه وشرحناه، ونُكمل اليوم شرح كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المُجدِد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وجزاه عنا خيرًا في رسالته: "كشف الشبهات": فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ -وَدٍّ، وَسُوَاعٍ، وَيَغُوث، وَيَعُوق، وَنَسْرٍ-.

(الشرح)

عرفنا أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أول الرسل الَّذِينَ بُعثوا إلى قوم مشركين، فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبيًا وكان قبل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنه بُعث إلى قوم موحدين، مَا بُعث إلى قوم مشركين، ومات عَلَيْهِ السَّلَامُ والناس موحدون، وبقي الناس عشرة قرون عَلَىٰ التوحيد مَا عرفوا الشِّرْك.

ثُمَّ وقع الشرك في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين، فأول مَا وقع الشرك إِنَّمَا وقع بسبب مجاوزة الحد في تعظيم الصالحين، وهذا هو الأعظم في وقوع الشرك بالله عَلَىٰ مر الأزمان، إِنَّمَا يغر الشيطان الإنسان بالشرك بالغلو في الصالحين وتعظيم الصالحين، هذا هو السبب الأعظم في وقوع الشِّرْك.

قال ابن عَبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرٍ: **"إنها أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح"**؛ من قوم نوح يعني من القوم الَّذِينَ ينتسبوا إليهم نوح وَإِلَّا ذلك كان قبل بعثة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، **"فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم الَّتِي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبد حَتَّىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت"**. وهذا قد رواه البخاري في الصحيح.

فهؤلاء ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرٌ كانوا رجالًا صالحين، وكانوا يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عَنْ المنكر، فلما هلكوا وماتوا كما يموت البشر جاء إبليس فَقَالَ للناس: اجعلوا لهم أصنامًا وأنصابًا واجعلوا كل نُصب وصنم في مكان ذلك الرجل وسموه باسمه، فهذا ود، وهذا يغوث، وهذا

يعوق، وهذا نسر، وهذا سواع، لما؟ حتى إذا رأيتموها تذكرتم فعبدتم الله، حتى تكونوا أكثر عبادة إذا رأيتم هؤلاء الصالحين ففعلوا، فكان مقصودهم حسنًا، لكن فعلهم ليس بحسن.

فلم تُعبد تلك الأصنام؛ لأن الناس يعرفون، فلما مات أولئك القوم بدأ الَّذِينَ بعدهم في تعظيمهم والغلو فيهم، فلما تنسخ العِلم، ومات الَّذِينَ يعرفون حقيقة الأَمْر جاء الشيطان إلى الناس، وَقَالَ: أن أباءكم وأجدادكم مَا وضعوا هَذِه الأنصاب إلَّا لأَنَهَا واسطة تُقربهم إلى الله، فعبدوهم وصاروا يدعونهم من دون الله، ويستغيثون بهم ويذبحون لهم وينذرون لهم، وزعمهم أن هذا يُقربهم إلى الله، فأشركوا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فبعث الله نوحًا أول رَسُولٍ إلى قوم مشركين، كما ذكرنا في المجلس الماضي كما جاء نصًا في حديث الشفاعة: أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من بُعث إلى أهل الأَرْض -أي وكانوا على الشِّرْك-.

فبعث الله نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عَنْ الشِّرْك، طبعًا أولًا في الكتاب لما غلوا في الصالحين ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا بالنصب في بعض النسخ على تقدير -أعني-، وبالجر في بعض النسخ على أنها بدل بعض من كل.

نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا هؤلاء القوم إلى التوحيد وعبادة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، فدعاهم إلى التوحيد، مَا هو التوحيد الَّذِي دعاهم إليه؟ أن اعبدوا الله، فهذا هو التوحيد الَّذِي أمر به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أقوامهم.

فكان جواب الأغلب من قوم مَا حكاه الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم وأخبر به عنهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]، فهذا أول الرسل الَّذِينَ بُعثوا إلى قوم مشركين، وَهُوَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الرسل وأشرفهم وآخرهم وخاتمهم، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير رسل الله وأشرف الرسل وأفضل الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعًا، وَهُوَ آخرهم وخاتمهم، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، وَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "**محفوظ من غير وجه**"، وصححه الألباني.

ومن سخافة العقول أن أحد كبار شيوخ الطرق لما جاء إلى هذا الحَدِيْث قَالَ: "**مُحَمَّد خاتم النبيين، وأنا لا**" لا يعني وأنا لست نبيًا، لا. وأنا لا؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، هو يقول: لا نبيٌّ بعدي، فيقول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خاتم النبيين وأنا لا؛ أي النَّبِيّ بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشيطان يلعب بهؤلاء حتى أوقعهم في شرك الربوبية الَّذِي مَا وقع فيه المشركون المتقدمون، كما سيأتي بيانه إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي حديث الشفاعة يقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»، رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ» رواه مسلم في الصحيح، فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخر الرسل وخاتم النبيين.

(المتن)

قَالَ: وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ.

(الشرح)

فمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبعث الأنبياء إلى قوم مشركين يأمرونهم بالتوحيد وينهونهم عَنْ الشِّرْك، وآخر الرسل مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا قومه والناس كافة إلى التوحيد ونهاهم عَنْ الشِّرْك، وبعد فتح مكة حطم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأصنام، ومنها الَّتِي وقع بها أول شرك في الأَرْض، ثم صارت إلى العرب كما قَالَ ابن عَبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أعني مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث بالتوحيد، وأُرسل بكسر الأوثان، فقد قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. هٰذِه الفطرة، قَالَ: "فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي -أي ركبت راحلتي-، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ -أي تخفيت- حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ:

«أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ...» الحديث، والحديث رواه مسلم في الصحيح.

وعندما فتح الله مكة ودخلها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسَّر الأوثان، وأرسل رجالًا إلى تكسير الأوثان البعيدة عَنْ مكة، قَالَ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "**دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا**"، وفي رواية عند مسلم: "**صنمًا**"، ثلاثمائة وستون صنمًا في الكعبة وحول الكعبة وقريب من الكعبة، قَالَ: "**فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ:** ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝﴾ [الإسراء: ٨١]" رواه البخاري ومسلم، وزاد مسلمٌ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝﴾ [سبأ: ٤٩]، وزاد في رواية: "**يَوْمَ الْفَتْحِ**".

فدعوة نَبِيِّنَا وإمامنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء تقوم على توحيد الله بعبادته سُبْحَانَهُ وحده لا شريك لَهُ، وعلى تكسير الأصنام، والأنبياء أيضًا مَا بين نوح إلى مُحَمَّد كلهم يأمرون بالتوحيد الَّذِي هو إفراد الله بالعبادة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ [الأعراف: ٦٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝﴾ [المائدة: ٧٢].

فكان هذا الأصل يقينًا مقطوعًا به لا يتطرق إليه ريب وَلَا شَكَّ: أن التوحيد الَّذِي هو الإسلام وَالَّذِي دعا إليه الرسل جميعًا هو: إفراد الله بالعبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيراً، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ.

(الشرح)

هٰذَا هو الأصل الثَّانِي من الأصول الَّتِي مهد بها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لكشف الشبهات، وَهِيَ -كَمَا قُلْنَا- أصول الحق الَّتِي يعتمد عليها في دفع الشبهات أصلًا وفي كشفها.

الأصل الثَّانِي: أن المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعرفون الله ويتعبدون غير أَنْهُم يجعلون بينهم وبين الله وسائط ليتقرب إلى الله، فما كانوا جاحدين بالله، بل كانوا يعرفون الله، وما كانوا منكرين لعبادة الله ولا نافرين عَنْ عبادته، لكنهم نفروا عَنْ إفراده سُبْحَانَهُ بالعبادة، وأبو إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة، فما أقروا بالإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كان المشركون يعرفون الله ويُحبون الله، لكن مَا كانوا يُخلصون لله عَزَّ وَجَلَّ العبادة، ولا في المحبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

والمعنى كما قال بعض العلماء، ومنهم الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"أن هؤلاء الَّذِينَ يتخذون الأنداد مع الله لا يُسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وَإِنَّمَا يُسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم ليُقربوهم إلى الله، فهم وإن أحبوا الله فقد أشركوا معه في المحبة، فهم يحبون الله ويُحبون الأنداد الَّتِي يعبدونها من دون الله"**.

بخلاف أهل التوحيد، فإن أهل التوحيد قد أحبوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأخلصوا محبتهم لله، وأحبوا من يستحق المحبة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمؤمنون يُحبون الله، والمشركون يحبون مع الله، الموحدون يجعلون كمال المحبة لله، ويُحبون لله، الموحدون يجعلون كمال المحبة لله، ويُحبون لله، نحن أحببنا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله لا مع الله، أما المشركون فَإِنَّهُم يُحبون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **"فالله سُبْحَانَهُ أخبر عَنْ المشركين الَّذِينَ يتخذون الأنداد أنهم يُحبون الأنداد كما يُحبون الله"**، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]، **"فالمؤمنون أشد حبًا لله من المشركين الَّذِينَ يُحبون الأنداد كما يُحبون الله"**.

وَقَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **في تقدير الآية قولان:**

- **أَحدُهُمَا:** والذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم الَّتِي يُحبونها، ويُعظمونها من دون الله.
- **وَالثَّانِي:** والذين آمنوا أشد حبًا لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والقولان مترتبان على القولين في قوله تَعَالَىٰ:** ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، **فإن فيها قولين: أَحَدُهُمَا: يُحبونهم كما يُحبون الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله، لكنها محبة يُشركون فيها مع الله أندادًا، وَالثَّانِي: أن المعنى يُحبون أندادهم كما يُحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة المؤمنين لَهُ أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم".**

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يُرجح القول الْأَوَّلُ"**؛ يعني: أَنهُم يحبون الله ويحبون الأنداد مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقولوا: إِنَّمَا ذُموا بأن أشركوا بين وبين أندادهم في المحبة ولم يُخلِصوها لله كمحبة المؤمنين لَهُ.

إِذًا انتبهوا: المشركون الَّذِينَ بُعِث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم ليدعوهم إِلَىٰ التوحيد يحبون الله ويعرفون الله، لكنهم يُشرِكون في هَذِه المحبة، وكانوا أَيْضًا يعبدون الله ويُشرِكون به، فقد كانوا ينظرون ويعتكفون في المسجد الحرام، فقد سأل عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ؛ يعني: لله وَهٰذَا في الجاهلية، فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ نَذْرَكَ فَاعْتَكِفْ لَيْلَةً»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فهذا دليل عَلَىٰ: أن نذره كان لله فإنه لو كان نذر للآلهة مَا قَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوفِ بنذرك، إِذًا المشركون كانوا يعبدون الله، ولكنهم كانوا يشركون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكانوا يحجون، وكانوا يلبون تلبيةً أولها توحيد، وآخرها شِّرك.

قَالَ ابن عبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان المشركون يقولون لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، فكان يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ»؛ أي: كفاكم هٰذَا الكلام قفوا عنده، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، قَالَ: فيقولون: إِلَّا شريكًا هو لك تملك وما ملك، فيقولون هٰذَا وهم يطوفون بالبيت.

وعن حكيم بن حزامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ؛ كان يتقرب إِلَىٰ الله بأشياء منها الصدقة؛ وقد جاء عنه أنه تصدق بمئة بعير، ومنها الإعتاق؛ فقد جاء عنه أنه أعتق مائة عبد في الجاهلية، وكان يصل رحمه تحنثًا وتقربًا.

فَقَالَ: فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ أنا كنت أتعبد بها لله في الجاهلية فهل لي فيها من أجر، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ؛ أي: أن مَن كان قد عبد الله حال الجاهلية، لكنه كان يعبد الله بهذا الشيء فأسلم يؤجر عَلَىٰ مَا كان قد عبد الله به.

الشاهد: أن هذا الحَدِيْث الصحيح يدل: عَلَىٰ أن المشركين كانوا يعبدون الله، ولكن عبادتهم مَا كانت لله خالصة فما كانوا موحدين لله، بل يشركون معه غيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، كانوا يعبدون الله، وكانوا يعبدون الأنداد فيذبحون لها، وينذرون لها، ويستغيثون بها، ويدعونها، ويقولون: مَا نعبدها نحن نعرف الله، ولكننا نتقرب إليها لتُقربنا إِلَىٰ الله، وتجعلنا قريبين من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بل كان المشركون في حال الاضطرار يوحدون ويُخلِصون، وفي حال السلامة يشركون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، كان المشركون الَّذِينَ بُعِث إليهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهاهم عَنْ هٰذَا الشِّرْك، بل وقاتلهم عَلَىٰ هٰذَا الشِّرْك، كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

كانوا يعرفون الله، ويحبون الله ولكن يشركون معه، ويعبدون الله ولكن مَا كانوا مخلصين في عبادتهم، وكانوا في حال الاضطرار يوحدون، وهذا أمرٌ عظيم ينبغي معرفته، فمقصود المشركين من عبادتهم لغير الله أن يقربهم ذلك إِلَىٰ الله، ومَن شاركهم في هٰذَا فهو مُشرِكٌ كافرٌ بإجماع العلماء؛ يعني: ممَن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام مَن يعبدون الله فيصلون ويذكرون الله ولكنهم يُشرِكون بالله وسطاء، يقولون: هؤلاء يقربوننا إِلَىٰ الله نحن مساكين.

فمن جهلهم يقول الواحد منهم: أنا مَن أنا حَتَّىٰ أدعو الله؟ أنا لَا بُدَّ أن أجعل بيني وبين الله واسطة أدعوه وَهُوَ يرفع دعائي إِلَىٰ الله، فيدعون أصحاب القبور، بل إنهم كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ يشركون بالله في حال الاضطرار أشد من شركهم بالله في حال الاختيار، ولذلك يقولون: "**إِذَا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**"، إِذَا وقع لهم حادِث ما يُنادون يا الله، اللّهم أغِثنا، وَإِنَّمَا يا سيدي فلان، فهم أجهل من المشركين وأعظم شِركًا، كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فمَن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافرٌ بإجماع المسلمين**".

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"إن أراد بالواسطة أنه لَا بُدَّ من واسطةٍ في جلب المنافع، ودفع المضار مثل أن يكون واسطةً في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم فهٰذَا من أعظم الشِّرْك الَّذِي كَفَر الله به المشركين".**

وهٰذَا يدلنا عَلَىٰ: أن من عبد الله وجرى ذِكر الله عَلَىٰ لسانه، لكنه يعتقد في شيء من المخلوقين أنه يكون واسطةً بينه وبين الله أنه يكون مُشرِكًا عَلَىٰ طريقة المشركين، لا عَلَىٰ سبيل خاتم الأنبياء والمرسلين، حَتَّىٰ لو كان ذلك مجرد اعتقاد، فكيف إِذَا جمع بين الاعتقاد والعمل؟ فاعتقد أن أصحاب من الصالحين واسطة بينه وبين الله وعبدهم؛ فدعاهم واستغاث بهم، فَلَا شَكَّ أنه عَلَىٰ طريقة أبي جهلٍ وأبي لهب، وليس عَلَىٰ طريقة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهٰذَا أَيْضًا يا إخوة: يهدم اعتقاد بعض الجهلة؛ أن ذِكر الله وعبادة الله تمنع أن يكون العبد مشركًا، فبعض الناس إِذَا قلت لهم: يا أخي هٰذَا الَّذِي يفعله هؤلاء الناس شِّرك، قَالَ: يا أخي هؤلاء يصلون، هؤلاء يذكرون، هؤلاء يقولون لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهٰذَا الأصل يهدم هٰذَا الاعتقاد، فالعبادة لا تكون نافعةً ولا مانعةً إِلَّا بدون بالتوحيد، أَمَّا بدون التوحيد فلا تنفع شيئًا؛ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

إِذًا أيها المسلم لا تغتر بكثرة صلاةٍ، ولا بكثرة ذِكرٍ حَتَّىٰ ترى التوحيد، فإن ذِكر الله لا يمنع من أن يكون العبد مُشرِكًا، كيف؟ بأن يعتقد أن هناك وسائط بين خلق والله يُتقرَب إليهم فهٰذَا يجعله من المشركين، وإن كان مصليًا، وإن كان ذاكرًا لله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، فمَن عرف فهٰذَا الأصل الَّذِي لَا شَكَّ فيه وتيقن منه اندفعت عنه شبهات المبطلين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلَ المَلَائِكَةِ، وَعِيسَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

(الشرح)

نعم فهم إِمَّا أن يتقربوا إِلَىٰ الصالحين والأرواح الطاهرة كالملائكة عَلَيْهِم السَّلَامُ، والأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ: كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصالحين: كمريم الصالحة القانتة، وَإِمَّا أن يتقربوا إِلَىٰ أصنامٍ صُورَت عَلَىٰ صور أُناسٍ صالحين في الحقيقة: كود، وسواع، ويغوث ويعوق، ونسر، أَوْ في ظنهم هم.

فمن العجيب أن المؤرخين يذكرون أن إسافًا رجلٌ، وأن نائلة أنثى، وكان إسافٌ يعشق نائلة ويحبها، لكن ما كان يستطيع أن يصل إليها فذهبا إِلَىٰ الحج، وما تمكن منها إِلَّا في داخل الكعبة في الحج في غفلة من الناس فسُخِطَا، وبعد زمن اعتقد هؤلاء المشركون أن هذين صالحين في الكعبة فعبدوهما، وهٰذَا يقع يا إخوة.

ذُكِر لنا أن هناك مقامًا في قرية في بلد من بلاد المسلمين لرجل خواجة مات مُشرِكًا ودفنوه، وكانوا يمرون وكان فيه رجل مجذوب؛ مجنون، فكانوا يمرون عليه فيقولون هٰذَا قبر مَن؟ فيقول: قبر سيدي فلان، أَوْ سيدي فلان، وكل ما مر قوم سألوه، فيقول: كذا، فعبدوا هٰذَا القبر ويتقربون إليه ويقولون: هٰذَا رجل صالح.

بل سمعت الشيخ عبد القادر شيبة الحمد في هٰذَا المسجد في درسه، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد كما هو معلوم أصله من مصر، وهناك شيوخ فضلاء كُثُر ولا زالوا بحمد الله من أهل مصر من أهل التوحيد، فسمعته يقول: أن هناك من قرية من قُرى بلاده فيها مقام كبير، هٰذَا القبر قد دُفِن فيه كلبٌ؛ مات كلب عزيز عَلَىٰ صاحبه فدفنه فكان الناس يسألونه هٰذَا قبر مَن؟ فكان يقول: قبر سيدي كليب، وسار عند الناس قَالُوا: في القرية الفلانية مقام سيدي كُليب رَحِمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ صاروا يتقربون إليه ويطلبون منه الرزق ويطلبون منه الولد ونحو ذلك، فالشأن هو الشأن، والحال هو الحال.

(المتن)

❑ **قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التَّقَرُّبَ وَالِاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ، لَا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا.**

(الشرح)

كان المشركون يعرفون دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعندهم بقايا من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنهم لم يكونوا عليه، بل انحرفوا عن الحنيفية إِلَىٰ الشِّرْك، فبعث الله إليهم مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليجدد لهم دينهم دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي هو الحنيفية الخالصة لله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

فدعاهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ عبادة الله وحدة، وإِلَىٰ الكُفر بالطاغوت، وإِلَىٰ البراءة من هٰذِه الأصنام، وفهموا ذلك، ونفروا منه، وقَالَوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فتقرر هٰذَا الأصل العظيم: أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِث بالتوحيد والبراءة من الشِّرْك إِلَىٰ قومٍ حالهم فِي الشِّرْك كحال مُشركي زماننا، بل مُشرِكي زماننا أشد منهم في هٰذَا الحال.

فَهٰذَا مهمٌ جدًا؛ لأن بعض، بل كثيرًا، بل أغلب الَّذِين يقعون فِي هٰذَا الشِّرْك يقولون: نحن لسنا عَلَىٰ شِّرك ولسنا عَلَىٰ حالٍ كالحال الَّتِي كان عليها المشركون الَّذِين بُعِث إليهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنكم أتيتم بآياتٍ المشركين ونزلتموها علينا، فإننا إِذَا عرفنا هٰذَا الحال وعرضنا حال مُشركي الزمان عَلَىٰ هٰذَا الحال وجدناه منطبقًا عليهم، بل وجدناهم أحق به من أَوْلئك، وهٰذَا أصلٌ عظيم.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونُكمِل إِنْ شَاءَ اللهُ فِي الدرس القادم، وأحب أن أُنبه الإخوة إِلَىٰ أني أعتذر عن درس العصر اليوم.

(الأسئلة)

السؤال: هٰذَا يقول: أنه ذهب إِلَىٰ أحد الأطباء لإجراء فحص طبي في شهر رمضان فأخذ حقنة في الوريد، فما حُكم صومه؟

الجواب: فإننا نقول له: إن كنت سمعت أن الحُقن لا تُفطِر كما ذهب إليه جماعة من العلماء؛ فذهبوا إِلَىٰ أن الحُقن كلها سواء كانت في الوريد، أَوْ العضل، أَوْ موضعية لا تُفطِر فأنت سمعت بهٰذَا وعمِلت به فلا شيء عليك فيما مضى وصومك صحيح.

لكن الَّذِي أرجحه أنا في المسألة: أن الحُقن الَّتِي تصل إِلَىٰ داخل الجسد فتدور في الجسد إِمَّا عن طريق الوريد، أَوْ عن طريق العضل تُفطِر الصائم، أَمَّا الحُقن الَّتِي تكون في نفس الموضع ولا تدور في الجسد كإبرة تخدير الأسنان وكثير من الإبر الموجودة اليوم فهٰذِه لا تُفطِر.

أَمَّا إِذَا كنت يا أخي جاهلًا لا تعلم هل تُفطِر أَوْ لا تُفطِر فإنك معذورٌ بجهلك، فالمُفطِر لا يُفطِر الصائم إِلَّا إِذَا علم أنه مُفطِر، فما دمت جاهلًا ما علمت أنه مُفطِر فأنت معذورٌ بجهلك، لكن اعلم ما ذكرناه الآن ولا تعد لمثل هٰذَا.

السؤال: هٰذَا يقول: هل يجوز تخصيص ذِكرٍ أَوْ دعاء من أذكار الكتاب وَالسُّنَّة بالعدد المعين في وقتٍ معين بدون أن يعتقد أنها سُنَة.

الجواب: يجب يا إخوة أن نُفرِق بين أمرين: بين الذِكر، وبين العلاج؛ الرقية، أَمَّا الذِكرُ فهو عبادةٌ محضة لا يجوز أن تُعمَل إِلَّا بِالتَّلَقِّي، فهي مبنية عَلَىٰ التوقيف؛ أعدادها، إطلاقها، ألفاظها مبنية عَلَىٰ التوقيف.

فلا يجوز للإنسان أن يخترع ذِكرًا يراه حسنًا كبعض الصلوات عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي ما وردت، وتُجعَل ذِكرًا مُقيدًا يلتزمه الإنسان، فَهٰذِه بِدعة في أصلها، ولا يجوز التزام عددًا معين لم يرد في النصوص ولو كان ذِكرًا مشروعًا، كأن يلتزم الإنسان أن يقول: سُبْحَانَ اللَّهِ في كل يوم ألف مرة، هٰذِه بِدعة إضافية؛ لأن العبادة حقٌ لله يُعرَف عن طريق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي دين.

ومَن جاءنا بشيءٍ من هٰذَا قلنا له: هل هٰذَا دين أَوْ ليس ديناً؟ إن قَالَ: ليس دينًا، قلنا: أنت مُكابر أن تتقرب بهٰذَا إِلَىٰ الله، وإن قَالَ: هو دين، قلنا له: هل بين النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدين كله أَوْ

كتم شيئًا؟ إن قَالَ: كتم شيئًا؛ فهٰذَا كفر، وإن قَالَ: بين الدين كله، قلنا له: بين لنا هٰذَا الَّذِي جئت به أين بينه النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإن جاء بحديثٍ صحيح فعَلَىٰ الرأس والعين، وإن لم يأتِ بحديثٍ صحيح وجب عليه أن يترك هٰذَا.

أَمَّا الرُقية الَّتِي هي ذِكرٌ يُقصد منه: العلاج، فهٰذِه بعض أهل العِلم من أهل السُّنَّة يرون: أنها تُعرَف بالتجارب؛ لأن فيها جانب العلاج، وجانب العلاج قد يُعرَف بالتجربة.

مثل: ما هو منتشر مثلًا بين الناس أن الحساسية الجلدية يُكتَب عليها بالزعفران؛ ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾[البقرة: ٢٦٦]، وأن هٰذَا يجعلها تيبس كما هو كلام شيخنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر أنه جرب هٰذَا وجربه غيره، وأنها تجف خلال أسبوع، فَهٰذَا عُرِف تجربة، ويقول: يُقرأ آية كذا سبع مرات مثلًا، يقولون: هٰذَا عُرِف بالتجربة؛ لأن القرآن شفاء وجُرِب وكُرِر سبع مرات مرارًا مثلًا فحصل به الشفاء بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، وهٰذَا معروف عن شيخ الإسلام وابن تَيْمِيَّة، وابن القيم رحم الله الجميع.

وبعض أهل العِلم يقولون: لا يخصص بعدد حَتَّىٰ في الرُقية، بل يقرأ القرآن سبعًا، أَوْ أكثر، أَوْ أقل، إِلَّا ما ورد فيه عدد، وهٰذَا عندي أقرب والنفس تطمئن إليه، لكن المسألة فيها كلام بين أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

إذًا يا إخوة لا تخلطوا بين قضية الذِكر، وقضية الرقية الَّتِي يُقصَد بها العلاج، فهٰذَا بابٌ وهٰذَا باب، وفق الله الجميع، وتقبل من الجميع، وكتب أجر الجميع، وثبتنا عَلَىٰ التوحيد وجعلنا دُعاةً إليه حَتَّىٰ نلقى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ عليه ونرد حوض النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونشرب منه، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٣)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ، فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل، فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يا معاشر الفضلاء؛ ما أشد حاجة المسلمين إِلَىٰ معرفة حقيقة دعوة التوحيد، وحقيقة عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فإني ما سافرت إِلَىٰ بلدٍ، ولا استمعت لِأحدٍ يتحدث عن دعوة التوحيد ويُهاجمها ويُهاجم أهلها كما في بعض وسائل الإعلام الجديد إِلَّا وتيقنت أنهم لا يعرفون حقيقة دعوة التوحيد، ولا يعرفون حقيقة عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وَإِنَّمَا يعرفون عنها ممن يُخالفها، أَوْ يُلزمونها بلوازم لا تلزم لها، فالناس يجهلون في كثيرٍ من الأماكن حقيقة دعوة التوحيد، حَتَّىٰ أن بعض عوام المسلمين يعتقدون أن أهل التوحيد يقتصرون عَلَىٰ شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يقولون: نشهد أن محمدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فالناس بحاجة لِأَن يعرفوا حقيقة دعوة التوحيد، وحقيقة عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فوالله ثُمَّ والله وثم والله أيمانٌ مغلظة سيسألني عنها ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله لو علم الناس دعوة التوحيد، وحقيقة التوحيد، وحقيقة عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لعلموا أنها موافقة للقرآن الكريم، ومطابقة لسنة سيد المرسلين محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل مطابقة لسنن المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِيْنَ، وأَنهَا هِيَ الَّتِي عاش عليها صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات عليها صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنهَا مقتضى اللغة العربية، وأَنهَا الموافقة للفطرة السوية، وأن فيها يسر الدين، وأن فيها الوسطية الشرعية الحقيقية، وأَنهَا تجمع الخير كله.

ولذا فإنَّا بحاجة عظيمة لأن نتعلم حقيقة توحيد، وأن نُعلم حقيقة التوحيد، ومن هنا تظهر الحاجة الكبرى لِأَن نقرأ هذا الكتاب الَّذِي نشرحه كتاب: **(كشف الشبهات)** لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، طلاب العلم بحاجة لأن يقرؤوه وأن يَفهموه وأن يُقرؤوه وأن يُفهموه، فإن فيه بيانًا لحقيقة دعوة التوحيد من زمن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هٰذَا، وفيه بيانُ أن كل ما يُخالف دعوة التوحيد وعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُخالف كل مَا ذكرناه آنفًا.

فنحن بحمد الله في هذا الدرس نشرح كتاب: **(كشف الشبهات)**، ولا زلنا نشرح في مقدمة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّتِي قلنا إنها تنتظم أصولًا ثمانية هِيَ أصول الحق ودفع الشبهات، ومن عرفها وأيقن بها عرف حقيقة التوحيد الَّذِي جاء به المرسلون، وعرف حقيقة الشرك الَّذِي بُعث المرسلون لهدمه ولمحاربته ومحاربة أهله.

وقد تقدم الكلام عَنْ أصلين من هَذِه الأصول الثمانية، ونُواصل شرح مَا قرأه الشيخ ونربطه بهذه الأصول الَّتِي ذكرناها فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه: (كشف الشبهات):

وَإِلَّا فَهَؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

(الشرح)

هذا هو الأصل الثَّالِث في هَذِه المقدمة الشريفة النفيسة، وَهُوَ أن المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرون بتوحيد الربوبية، فكانوا يُقرون بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ في أفعاله، ولم يُدخلهم ذلك في التوحيد الَّذِي جاء به رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُخرجهم عَنْ كونهم مشركين، فمع كونهم يُقرِّون بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ لم يخرجوا بذلك عَنْ كونهم مشركين.

كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهاهم عَنْ شركهم ويُبغضهم ويُعاديهم، ثم حاربهم على ذلك، فأكثر الناس على مر العصور ومنهم أهل الجاهلية والكفر عند بعثة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقرون بوجود الرَّبّ، ويُقرون بحاجة العباد لربهم، ويُقرون بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ لخلقه، فلا يُنازعون في كونه الخالق، ولا في كونه الرزَّاق، ولا في كونه المدبر، ولا في حاجة الناس لربهم إلَّا شواذ من الناس فسدت فطرهم بالكلية.

وأكثر هؤلاء الشواذ على قلتهم ينكرون ذلك بألسنتهم، لا بقلوبهم في الحقيقة، هؤلاء الَّذِينَ يقولون: إنهم ملحدون لا يُقرون بوجود الله فضلًا عَنْ أفعاله هؤلاء أكثرهم إنَّمَا يقولون ذلك بألسنتهم، فيجحدون ذلك بألسنتهم وَإِلَّا فقلوبهم مقرة بذلك.

وعلامة ذلك: أَنَّهُم عند الاضطرار تجدهم يلجئون إلى الله، بل إن الواحد منهم إذا اضطر تراه يرفع نظره إلى السماء مِمَّا يدل على أن نكرانهم لربوبية الله إنَّمَا هو بألسنتهم.

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الخلق كلهم يُقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون به بعد ذلك**"؛ يعني منهم من يُشرك به بعد ذلك.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ.

(الشرح)

الشيخ هنا يفترض أن هناك من يعترض، فيعترض ويقول: هَذِه صورة زاهية للمشركين، فأنتم تصفونهم بأنهم يُقرون بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ، فيحتاج إلى إقامة الدليل على ذلك الَّذِي يدل على هَذِه الدعوى، وأن المشركين مقرون بربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

(الشرح)

الأدلة على إقرار الكفار بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ ظاهرةٌ جدًّا منها: واقع الناس فإنك لا تكاد تجد من ينكر ذلك من الناس، ومنها الأدلة النقلية وَهِيَ كثيرة جدًّا، ومنها مَا ذكر الشيخ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، فجوابهم الله، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]؛ أي إن سألتهم عَنْ ذلك فسيقولون الله، ويُقرون بتوحيد الربوبية فقل لهم: أفلا تتقون الشرك في ألوهيته وعبادته.

وهنا يا إخوة قد سمع المشركون هَذِه الآية فما اعترض منهم معترض، مَا نُقل أن مشركًا من المشركين قَالَ: لا. لا نقول إنه الله، فهذا دليل واضح بين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥].

(الشرح)

يعني سيقولون المالك للأرض ومن فيها الله، قل أفلا تذكرون أن المالك للأرض ومن فيها هو المستحق أن يُعبد فيها، كيف يملكها ويعبد غيره فيها؟ أفلا تذكرون؟!

(المتن)

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٩].

(الشرح)

﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾؛ كيف تُخدعون؟ كيف يخدعكم إبليس وجنوده، ويصرفكم عَنْ عبادة ربكم الَّذِي تُقرون لَهُ بكل هَٰذَا، فإن هذا يلزم منه أن يكون هو المعبود، وأن يُوحد في عبادته.

☜ **ومنها أيضًا**: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

☜ **ومن الأدلة أيضًا علىٰ أن المشركين الَّذِينَ عاداهم رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلهم رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُقرون بتوحيد الربوبية ويُشركون في الألوهية**: أنك تجد في القرآن الاستدلال عَلَىٰ المشركين في توحيد الألوهية بالربوبية، فلو لم يكونوا مقرين بالربوبية لما استقام الاستدلال؛ حَتَّىٰ يُقام لهم الدليل على ذلك، لكن لما كانوا مقرين بالربوبية فإن الاستدلال يقوم عليهم، وتلزمهم هَٰذِه الحجة.

☜ **ومن الأدلة أيضًا**: أنَّا نجد في القرآن كثيرًا أن الله عَزَّ وَجَلَّ يذكر ربوبيته ولم يرد أن مشركًا اعترض على شيء من هَٰذَا، اعترضوا على توحيد العبادة، لكن لم يرد قط أن مشركًا قام، فَقَالَ: ليس الله الَّذِي خلق السماوات، ليس الله الَّذِي خلق الأَرْض، بل يسمعون القرآن ولا يعترضون، ولو وجدوا مجالًا لاعترضوا، مِمَّا يدل على أَنْهُم كانوا يُؤمنون بذلك.

☜ **ومن الأدلة أيضًا علىٰ إقرارهم بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ مع إشراكهم في الألوهية**: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال ابن عَبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]؛ هذا معنى إيمانهم بالله، قَالَ: "**وهم مع ذلك يُشركون به ويعبدون غيره**"، وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: "**يعلمون أن الله ربهم، ويُشركون به بعد**"، وَقَالَ أيضًا: "**يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به**".

إذًا هم يُؤمنون بالله من جهة الربوبية، ويُشركون به من جهة الألوهية، فدلت كل هَذِه الأدلة على أَنْهُم كانوا مقرين بالربوبية، ومع ذلك فهذا الإقرار لم يُخرجهم من الشرك إِلَىٰ التوحيد، بل كان وصفهم في القرآن وعلى لسان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْهُم مشركون، وكانت تُجرى عليهم أحكام الشِّرْك، فدل ذلك على مَا أراده الشيخ حيث قَالَ:

(المتن)

قَالَ: وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ؛ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ - الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاِعْتِقَادَ-.

(الشرح)

هَذِه النتيجة المقصودة من تقرير مَا تقدم، فإن المؤمن إذا علم مَا تقدم يتيقن أن كفار قريش كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ومع لم يُدخلهم ذلك في الموحدين، ولم يُخرجهم عَنْ كونهم مشركين، ويعلموا يقينًا أن التوحيد الَّذِي بُعث به الرسل هو توحيد الألوهية؛ أي توحيد العبادة، مع توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

والعبادة لا يُسميها المشركون في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومن قبله ومن بعده ممن ينتسبون إلى الإسلام ويعبدون غير الله لا يُسمونها عبادة، لا يقولون: نعبد القبور، لا يقولون: نعبد الولي الصالح، وَإِنَّمَا يُسمونها: **"الاعتقاد في الصالحين"**، فيقولون: هذا الرجل يعتقد في هذا المقبور الصالح، مَا يقولون يعبده، يقولون: يعتقد في هذا الولي الصالح، مَا يقولون يعبده؛ لأنهم لو سموها عبادة لأقروا بأن ذلك شرك، فلا يُسمونها عبادة، وَإِنَّمَا يسمونها الاعتقاد.

وهذا لا ينفع شَيْئًا لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء، الشيطان يغر الناس ويُسمي الباطل بغير اسمه ليقع فيه الناس؛ لأَنَهُ لو بقي على اسمه الشرعي لاجتنبه النفس، فيُوسوس الشيطان للناس بتسمية الأَمْر بغير اسمه حتى لا يتبين الناس حقيقته، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني؛ أي أن الخمر سيُوسوس الشيطان للناس بتسميتها بغير اسمها، منشطات بعضهم يقول: هَذِه مصبرات، فإذا سموها بغير اسمها شربوها؛ لأَنَهُ لا يتبين لهم شرها، ولو بقيت على اسمها لاجتنبها كثيرٌ من الناس.

وهكذا هنا لا يُسمي هؤلاء الَّذِينَ يعكفون على القبور دعاءهم وذبحهم ونذرهم لأصحاب القبور لا يُسمونه عبادة؛ لأنه بمجرد أن تقول عبد القبر عُلم أنه شرك، ولكن يُسمونها الاعتقاد، بعضهم يُسميها: **"اليقين في الصالحين"**، هذا رجل عنده يقين، عنده الشِّرْك، يُسمونه يقينًا، وهذا من تلبيس إبليس على الناس.

والواجب على طلاب العلم كشف الحقائق، وتسمية الأشياء باسمها حَتَّىٰ يتنبه الناس ويتخلص كثير من الناس من عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ؛ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ -الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الِاعْتِقَادَ-، كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ لِيَشْفَعُوا لَهُ.

(الشرح)

هذا الأصل الرابع الَّذِي تضمنته هَذِه المقدمة النفيسة الشريفة، وَهُوَ أن المشركين كانوا متفرقين في عبادتهم، فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومنهم من يعبد الأصنام لا لذاتها، وَإِنَّمَا لأَنهَا عندهم ترمز لأناس صالحين، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا على ذلك، لم يُفرق بينهم، لم يُفرق بين من يعبد الملائكة ومن يعبد الصنم، من يعبد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومن يعبد ومن يعبد الشمس والقمر، بل قاتلهم جميعًا.

وهذا يُبطل شبهة المشركين الزاعمين أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّمَا كفروا لكونهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، ويدل يقينًا على أن كل من عبد غير الله بأي عبادة فهو مشرك سواءً عبد ملكًا مقربًا أَوْ نبيًا مرسلًا أَوْ وليًّا صالحًا أَوْ عبد غير ذلك، فكل من عبد غير الله فقد أشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

كما أن المشركين كانوا يعبدون الله، لكن لا يُوحدونه في العبادة، فالمشركون كانت لهم عبادات لله، لكنهم لا يُوحدون الله في هَذِه العبادة، فما أخرجهم ذلك عَنْ كونهم مشركين؛ لأن بعض الناس إذا قلت لَهُ: هذا الَّذِي يُفعل عند قبور الصالحين كما يُقال عنهم هذا شرك بالله، قَالَ: اتق الله، هذا الواقف عند القبر يدعو ويتوسل، هذا صلى معنا، هذا يقول: اللَّهُ أَكْبَرُ، هذا يذكر الله. نقول: إن عبادة

الله من غير توحيد لا تُخرج عَنْ الشِّرْك، بل لو أقر العبد بالربوبية وعبد الله، لكن مع ذلك عبد معه غيره فهو مشرك، وهذا هو حال المشركين الَّذِينَ بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم إلى التوحيد كما هو معلوم.

ولذلك قال الشيخ: (كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا)؛ كانوا يعبدون الله، لكن لا يُوحدون الله في العبادة، ومن ذلك: أَنْهُم كانوا يدعون الله في السراء والضراء، ولكنهم في الضراء يُخلصون، وفي السراء يُشركون، كانوا يدعون الله حَتَّىٰ في السراء، لكنهم في السراء يُشركون، أما إذا كانوا في ظلمات البر والبحر فَإِنَهُم يدعون الله تضرعًا وخفية مخلصين، فإذا نجاهم إلى البر صاروا مشركين، يدعون الله ويدعون معه غيره، فما أخرجهم ذلك عَنْ كونهم مشركين.

وسبب شركهم أَنْهُم يعبدون من يعتقدون صلاحه من الملائكة والجن والبشر؛ لأنهم يقولون -أعني هؤلاء المشركين-: إن أرواحنا ليست سليمة ليست نقية ليست صافية، فليست أهلًا لأن تتقرب إلى الله، فنحن بحاجة -هكذا يزعمون- إلى أرواح صالحة نقية تُقربنا إلى الله، فهم يقولون: أرواحنا الملوثة بالمعاصي ليست أهلًا لِأَن تتقرب إلى الله مباشرةً، وَإِنَّمَا تتقرب إلى أرواح صالحة كالملائكة والأنبياء والصالحين، ثم هَذِه الأرواح الصالحة تُقرب أرواحنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هكذا كانوا يفعلون.

وبهذا تعلم أيُها المبارك التطابق التام بين شرك المشركين الَّذِينَ بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم إلى التوحيد وعاداهم وأبغضهم وقاتلهم، وبين شرك هؤلاء الَّذِينَ ينتسبون إلى الإسلام ويعبدون غير الله ممن يُسمونهم الصالحين، وتلك المطابقة تامة في السبب والحقيقة.

تعالوا للسبب يا إخوة: هؤلاء الَّذِينَ يعكفون عند أصحاب القبور الَّذِينَ يُسمونهم بالصالحين، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، بل ويسجدون لهم، لماذا يفعلون هٰذَا؟ مَا سبب هٰذَا؟ يقولون: أرواحنا ملوثة، نحن أصحاب معاصي، مَا نستطيع أن نرتقي إلى التقرب إلى الله، نحتاج إلى وسائط، إلى أرواح صالحة نظيفة تُقربنا إلى الله، فصاحب هذا القبر وليٌّ صاحب روح طاهرة نقية فنتقرب إليه ليُقربنا إلى الله، هكذا يقولون والله، يقولونه نصًا، دكاترة شيوخ يُسمونهم شيوخ ينصون على هذا نصًا.

فهذا السبب هو ذاك السبب، والحقيقة هِيَ الحقيقة فأولئك يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وهؤلاء يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فتعلم بذلك هذا التطابق.

ولو علم الناس هَذِه الحقيقة لنفر أكثرهم من هذا الشِّرْك، ولكن شياطين الإنس والجن يحولون بينهم وبين ذلك العِلم، فالواجب على الموحد من أمثالكم أن يعلم ذلك، وأن يعرف ذلك ببراهينه وأدلته، ثم يُبَيّن ذلك للناس بالأسلوب الفصيح الصحيح بحسب استطاعته.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ لِيَشْفَعُوا لَهُ.

(الشرح)

انظر إلى قول الشيخ: (ثُمَّ)؛ أي أَنْهُم كانوا يدعون الله ويعبدون الله ثُمَّ فهذه مرحلة (مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ)؛ نعم من الكفار في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان يدعو الملائكة ويتقرب إلى الملائكة، لما؟ لأن أرواحهم صالحة خالصة لله عَزَّ وَجَلَّ، وغرضهم من هذا أن يكون الملائكة واسطة بينهم وبين الله، ليشفعوا لهم عند الله.

وقد كان الجن يستغلون اعتقاد الناس صلاح الملائكة وهم صالحون، لكن الجن كانوا يستغلون ذلك، فيأتون الناس ويُنادونهم وهم لا يرونهم، ويُوهمون الناس أَنْهُم الملائكة فيتقرب الناس إلى هؤلاء الجن وهم يظنونهم مَاذَا؟ الملائكة، ويرون أن هؤلاء الصالحين الملائكة يُقرونهم على هٰذَا فيغترون بهذا، فكان الأَمْر ظلمة إلى ظلمة.

أصلًا لو كانوا يتقربون إلى الملائكة حقيقةً لكان شركًا، فكيف وهم يتقربون إلى الجن يظنونهم الملائكة؟! ظلمات بعضها فوق بعض، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ: ٤٠]، إذًا كانوا يعبدون الملائكة، ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، ننزهك أن يُعبد أحد من دونك، ونعوذ بك أن نقر أحدًا على عبادة أحد من دونك، هذا معنى ﴿سُبْحَانَكَ﴾ هنا.

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [سبأ: ٤١]، وتعلم حالنا، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤١]، هذا الَّذِي قلناه، كانت الجن تستغل اعتقاد الناس صلاح الملائكة، فتُوهمهم

أَنْهُم الملائكة، أن هؤلاء الجن الملائكة، فيتقرب الناس إليهم، وهم مقرون لهم، فيظن أولئك أن الملائكة الصالحين يُقرون هٰذَا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا -مِثْلَ اللَّاتِ-.

(الشرح)

من الكفار من كان يعبد الأصنام لا لذاتها، وَإِنَّمَا لكونها لرجال صالحين، أرواحهم صالحة إما في الحقيقة وإما في اعتقاد هؤلاء العباد، وذلك بغرض أن تكون هَذِه الأرواح الصالحة واسطة بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تُقربهم إلى الله زلفى، فيتقربون إلى الأصنام بالعبادة لتُقربهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد ضرب الشيخ مثلًا وَهُوَ اللات، واللَّات في المثال بالتشديد، واللَّات كما جاء عَنْ ابن عَبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن مجاهد وغيرهما: أنه كان رجلًا في الطائف يلتُّ السويق على صخرة للحجاج، يُطعم الحجاج في الطريق فيلتُّ السويق على صخرة ويُطعمه للحجاج، فلما مات دفنوه هناك، وعكفوا على قبره وصنعوا صنمًا يتقربون إليه.

طبعًا كما قلت لكم يا إخوة اللَّات في المثال بتشديد التاء؛ لأن اللَات تُضبط بتخفيف التاء، فهي بتخفيف التاء من الله، هذا الموضع سموه اللات من الله من اسم الله، وكانوا يعبدونه، واللَّات بالتشديد هذا هو الرجل الصالح كما جاء عَنْ ابن عَبَاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعطاء وجماعة من السَلَف.

إذًا كفار قريش ومن معهم كانت لهم عبادات لله، ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام لا لذواتها، وَإِنَّمَا لكونها لرجالٍ صالحين لتقربهم إلى الله زلفى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْ نَبِيًّا -مِثْلَ عِيسَىٰ-.

(الشرح)

الكفار في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركون كان منهم من يعبد الأنبياء كالذين يعبدون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذًا تقرر في الحقيقة أن المشركين الَّذِينَ بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُخرجهم من الشرك إلى التوحيد كانوا يعرفون الله ويعبدون الله فلهم عبادات، لكنهم كانوا يُشركون في عبادتهم، فكانوا

يدعون الملائكة لصلاح أرواحهم، ويدعون الأصنام؛ لأنها لرجال أرواحهم صالحة، وكانوا يدعون الأنبياء ويعبدون الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لكونهم صالحين.

(المتن)

قَالَ رحِمهُ اللَّهُ: وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الشِّرْكِ.

(الشرح)

وهذه حقيقة يقينية أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاداهم وأبغضهم وتبرأ منهم وقاتلهم على هذا الشِّرْك، فلم يُخرجهم حالهم هذا من الشرك إلى التوحيد.

(المتن)

قَالَ رحِمهُ اللَّهُ: وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ إِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ.

(الشرح)

هٰذَا هو التوحيد الَّذِي بُعث به الرسل جميعًا أَلَّا يُعبد إِلَّا الله، فلا تُصرف ذرةٌ من عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا الَّذِي من فعله كان موحدًا، وكان من حزب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه.

(المتن)

قَالَ رحِمهُ اللَّهُ: كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]، وَقَالَ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ؛ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ.

(الشرح)

نص الشيخ هنا عَلَىٰ الدعاء وعَلَىٰ الذبح وعَلَىٰ النذر وعَلَىٰ الاستغاثة؛ لأن أغلب شرك من ينتسبون إلى الإسلام ويقعون في الشرك في هَذِه العبادات؛ في الْدُّعَاء: يدعون أصحاب القبور ومن يسمونهم بالأولياء الصالحين، في الذبح: يذبحون للقبور وأصحاب القبور، في النذر: النذور ينذرون لأصحاب القبور.

في الاستغاثة: واستغاثة هؤلاء المشركين أشد من استغاثة المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن يُسمونهم بالصالحين؛ لأن أولئك المشركين وسيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ القدامى إذا كانوا في ضرورة وحدوا الله واستغاثوا بالله، وإذا كانوا في سلامة استغاثوا بغير الله.

أما هؤلاء الَّذِينَ ينتسبون إِلَىٰ الإسلام ويقعون في الشرك يستغيثون بغير الله في حال الضرورة، ويقولون: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور، إذا وقع حادث مَا تسمع منهم يا الله يا رب، يا سيدي فلان يا مولانا فلان.

فالشيخ نص على هَذِه العبادات؛ لأن أغلب شرك الناس يقع فيها، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بُعث لتكون لله، فلا يُدعى إِلَّا الله، ولا يُنذر إِلَّا لله، ولا يُذبح إِلَّا لله، ولا يُستغاث إِلَّا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهَٰذِه قد فصلناها فيما وفق الله إليه في شرح كتاب التوحيد التأصيلي، وإن كتب الله لي عمرًا سأعود إلى شرح موسع مفصل لكتاب التوحيد إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ رَحْمَةُ الله عَلَيْه: وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

(الشرح)

هو سيدخل الآن في الأصل الخَامِس، والكلام فيه يطول شَيْئًا، فلعلنا نقف هنا، وفي الأسبوع القادم إِنْ شَاءَ اللهُ نتكلم عَنْ هذا الأصل الخَامِس.

معاشر الأخوة؛ إن أعظم مَا يُدعى إليه التوحيد، وإن أعظم مَا يحتاج إليه الناس التوحيد، والله الَّذِي لا إله إِلَّا هو الناس أحوج إلى التوحيد من الطعام والشراب والهواء والمال، أعظم مصلحة على الاطلاق مصلحة التوحيد، أعظم مصالح الإنسان مصلحة التوحيد.

ولذلك يجب علينا أن نعرف لهذه النعمة قدرها، وأن نشكر الله عليها، وأن نُحافظ عليها، وأن ندعو جاهدين إليها كلٌّ بحسب استطاعته، نُحبب الناس فيها، ونُبيّن معانيها، وننفرهم من ضدها.

ووالله يا طلاب العلم لو أن الواحد منكم فاز في عمره كله بإنقاذ رجل واحد من الشرك وإدخاله إلى التوحيد الَّذِي بُعث به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكان من الفائزين، فعلينا أن نَتَنَبَّه لهذا الأَمْر العظيم، نسأل الله أن يجعلنا مفاتيح خير، وأن يجعلنا دعاة لهذا التوحيد، ولعلنا نجيب عَنْ شيء من الأسئلة.

(الأسئلة)

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، نفعنا الله بما سمعنا.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هَٰذَا أخ يقول: أن عنده شلل في الحركة ولا يقدر على حبس البول، وأهله يجدون مشقة في تغيير الحفاظ لَهُ وشرائه كَذَلِكَ، ويجد مشقة في الوضوء والطَّهَارَةِ، فهل يستطيع الصلاة بالحفاظ وفيه البول؟ وهل يستطيع التيمم فَقَطْ؟

الجواب: أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتب أجره، وأن يُعظم أجر أهله، وأن يشفيه ويشفي مرضى المسلمين.

الأخ يقول: أنه مريض بمرض يجري معه البول ولا يستمسك، فيحتاج أن يلبس الحفاظات، فماذا يفعل عند إرادة الصلاة؟ الأصل: أنه عند دخول الوقت يُغير هذا الحفاظ ويستنجي أَوْ يُغسل لَهُ إن وجد من يغسل لَهُ إن كان لا يستطيع هو بنفسه، ويتوضأ، ثُمَّ لا يضره خروج هذا البول وَهُوَ في وقت الصلاة، ليس وَهُوَ في الصلاة، وَهُوَ في وقت الصلاة من أوله إلى آخره.

ولا يلزمه أن يُغير الحفاظ في وقت الصلاة؛ بمعنى غير الحفاظة وتوضأ بعدما أذن الظهر سيبقى متوضأً ما لم يحصل ناقضٌ آخر إلى أن يدخل العصر يُصلي الظهر، ثم يُصلي السُّنَة البعدية، ثُمَّ يقرأ القرآن إن شاء، ثم يُصلي لو أراد أن يُصلي، إلى أن يخرج وقت الظهر ويدخل وقت العصر، فإذا دخل وقت العصر فعل هذا مرة أخرى.

فإن كان هذا يشق عليه، فإنه يجمع بين الصلوات؛ فيجمع بين الظهر والعصر فيتوضأ إذا دخل وقت الظهر ويُصلي الظهر والعصر ويبقى على طهارته مَا لم يحصل ناقض آخر إلى أن يدخل وقت المغرب، فإذا دخل المغرب فإنه يتوضأ سواءً عند دخول وقت المغرب ولا بعد، ويُغير الحفاظ ويُصلي المغرب والعشاء، ويبقى طاهرًا إلى نصف الليل خروج وقت العشاء، ثُمَّ الفجر صلاة واحدة، إذا كان يشق عليه أن يعمل هذا في كل وقت.

لو فرضنا أنه يتعذر عليه هَٰذَا، مَا يستطيع؛ إما لعدم القدرة، وإما لعدم القدرة المالية، مَا عنده قدرة أنه يشتري هَٰذِهِ الحفاظات بهذه الطريقة، فإن هذا يسقط عنه؛ لأَنَّهُ إذا عجز الإنسان عَنْ الفرض سقط عنه، أَوْ عجز عَنْ الشرط فإنه يسقط عنه، ويفعل مَا استطاع لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ولقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فهذه ثلاث درجات بحسب حال الإنسان، وَالحَمْدُ للهِ.

يسأل عَنْ التيمم هل لَهُ أن يتيمم؟ الَّذِي طبعًا أفهمه أنه يقصد التيمم بدل الوضوء، وَإِلَّا فإزالة النجاسة ليس فيها تيمم، فنقول: إذا كان يستطيع الوضوء أَوْ يجد من يُوضأه بغير منة عليه فَلَا بُدَّ أن يتوضأ، أما إذا كان لا يستطيع الوضوء أَوْ يحتاج إلى غيره في الوضوء ولا يجد من يُوضأه بغير منة عليه، فإنه يتيمم.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هذا يقول: إذا دخل وقت الصلاة على المسافر في سفره، وأخرها حَتَّىٰ دخل إلى بلده هل يُصليها قصرًا أم يُتمها؟

الجواب: لا قصر في البلد، قاعدة: **"لا قصر في البلد"**؛ لا قبل الخروج للسفر ولا بعد الرجوع من السفر، إذا عزمت على السفر وجهزت سيارة وركَّبت العفش على السيارة هل لك أن تقصر الظهر وأنت في البلد؟ الجواب: لا بالإجماع، لا قصر في البلد، فلا يجوز أن تقصر الصلاة حَتَّى تخرج من البلد.

طيب عدت وأذن الظهر وأنا لا زلت مسافرًا، لو وقفت لصليت ركعتين، لكني واصلت حَتَّىٰ دخلت بلدي، وأردت أن أُصلي الظهر هل أُصلي ركعتين؟ الجواب: لا باتفاق العلماء، وَإِنَّمَا تُصلي أربع ركعات.

إذًا خذوها قاعدة: **"لا قصر في البلد"**، بل لو أنك نسيت صلاة وأنت مسافر، ثم تذكرتها وأنت في البلد، يعني نسيت صلاة رباعية وأنت مسافر ثم تذكرتها وأنت في البلد فإنك تقضيها أربعًا.

السؤال: أحسن الله إليكم؛ هذا يقول: مَا حكم هذا العقد: إيجار بيت مقرون بوعدٍ بالتنازل عَنْ البيت عند سداد أشهر معينة متفق عليها مع دفع مبلغ رمزي عند التنازل؟

الجواب: هذا إيجارٌ ثم ينتهي بحسب كلام الأخ بالوعد بالتمليك؛ **لأن عندنا صورتين:**

⇦ **الصورة الأُوْلَى:** الإيجار المنتهي بالتمليك يُؤجره، وهذا العقد بعينه ينتهي بالتمليك، فهذا العقد فيه إجارة وفيه بيعٌ، وهذا لا يجوز؛ لأَنَّهُ يجمع عقدين مختلفي الأحكام في عقد واحد.

⇦ **والصورة الثَّانِية:** الإيجار المنتهي بالوعد بالتمليك، فالعقد عقد إيجار فَقَطْ، ولكن المؤجر يعد المستأجر أنه إذا انتهت الإجارة يبيعه هَذِه السيارة أَوْ هذا البيت إذا أراد البيع، فيستمر في الإيجار

حتى ينتهي العقد، إذا انتهى العقد إن شاء المالك باعه وإن شاء لم يبعه، انتبهوا لهذا: إن شاء المالك باعه وإن شاء لم يبعه، وإن شاء المستأجر أن يشتريه وإن شاء لم يشتريه، فيحتاجان إلى عقد جديد بعد انتهاء الإجارة هذا جائزٌ.

لماذا أفصل هكذا؟ لأن بعض الشركات وبعض الجهات لما أفتى كثيرٌ من العلماء أن الإيجار المنتهي بالتمليك حرام، وأن الإيجار المنتهي بالوعد بالتمليك حلال، غيروا الاسم بس، بدل مَا هو مكتوب فوق: إيجار منتهي بالتمليك، صار إيجار منتهي بالوعد بالتمليك، والحقيقة هِيَ الحقيقة، هذا مَا يُغير شَيْئًا في الحُكم، لَا بُدَّ أن يصير كما ذكرت إذا انتهت الإجارة المالك حر إن شاء باع وإن شاء لم يبع، والمستأجر حر إن شاء اشترى، وإن شاء لم يشتر، إِذَا كان ذلك كذلك، فإن الإجارة المنتهي بالوعد بالتمليك جائزٌ وصحيح.

وفق الله الجميع، ولنا لقاء في العصر إِنْ شَاءَ اللهُ..... واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، حمدًا لربنا وثناءً عليه وتمجيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إفرادًا وإقرارًا وتوحيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اتباعًا له وتجريدًا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اتبعهم بإحسانٍ وَسَلَّمَ تسليمًا مزيدًا.

أَمّا بَعْدُ؛

معاشرَ الفُضلاء، يامن اجتمعتم في مسجدِ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حلقةٍ من حِلق العلم ترجونَ فضلًا من ربكم ونورًا تستنيرونَ به في دربكم، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُحقق لكم الأماني، وأن يدفعَ عكم ما يضركم، وأن يرزقكم ما يسركم.

معاشرَ الفُضلاء، نواصلُ مجالسنا في فجرِ يوم السبت، في مسجدِ رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شرحِ كتابِ كشف الشُبهات لشيخ الإسلام الإمام المُجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائرَ عُلماء المسلمين.

هذا الكتابُ الصغيرُ في حجمه، العظيمُ في فوائدِهِ ومضمونه، هذا الكِتابُ الذي ما قرأهُ موحدٌ إلا ثبتَ بفضل اللهِ على توحيده، واندفعت عنهُ شُبهاتُ المُبطلين، ولم يستمع لدعوات الجاهلين، وأدركَ عِظمَ نعمة اللهِ عليه حيثُ أنارَ بصيرته، فعلمَ أعظمَ معلوم وهو شهادةُ (أن لا إله إلا الله) وعمِلَ بذلك، وهداهُ اللهُ واجتباه، وما قرأهُ ناكصٌ عن التوحيد، واقعٌ في الشرك بتجردٍ وإنصاف، إلا اندفعت عنهُ الشُبهات، واستنارت بصيرته، وعرفَ الحق.

وكُلُّ جُملةٍ سطرها الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب، فيها أنوارٌ من أنوارِ الحق، وتحتها كنوزٌ من كنوزِ العلم، ويحتملُ أن يكونَ في مجالسَ ومجالس، وفي كراريس، لكننا نسيرُ في شرحنا لهذا

الكتاب بما يُحققُ مقصودَ الشيخِ منه، من تثبيت أهل التوحيد، وإزاله الشُبهةِ عن الزائغينَ عنه، وإقامةِ الحُجةِ عليهم.

وكنا قد ذكرنا أن هذا الكتابَ ينقسمُ إلى قسمين:

القسمُ الأول: في مقدماتٍ ومُمهدات، وقد ضمنها الشيخُ أصولًا، من عرفها اندفعت عنه الشُبهات وبانَ له أن شُبهاتِ أهلِ الشرك أوهى من بيتِ العنكبوت، لا وزنَ لها ولا قيمة.

وقد اجتهدنا في ذِكرِ هذه الأصول وجعلناها أصولًا ثمانية مأخوذةً من كلامِ الشيخِ في هذا القسم.

وأما القسمُ الثاني: فهو الردُ على شُبهاتِ المُبطلين في بابِ التوحيدِ وبابِ معرفة ضده، بطريق الإجمالِ وطريق التفصيل، وهذه طريقةُ القُرآن في ردِ كلامِ أهلِ الباطل.

وكنا قد شرعنا في القسم الأول، وقرأنا بعض المقدمات وذكرنا بعض الأصولِ المُمهدات من كلامِ الشيخِ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ونُكملُ قراءةَ ما سطرهُ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا القسم، ونُعلقُ عليهِ بما تيسر، فيتفضل الابن نورُ الدين وفقهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وجزاهُ عنا خيرا في رسالتهِ كشف الشُبهات: وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

(الشرح)

نعم، هذا هو الأصلُ الخامس من الأصولِ المضمنةِ في هذه المقدمةِ العظيمةِ الشريفة، التي قدمَ بها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ **وهو أن الإقرارَ بتوحيد الربوبية،** لا يُدخلُ في الإسلام، ولا يعصمُ الأنفُسَ والأموال، نعم هو حقٌ لأن يدخلَ المؤمنُ به المُقرُ به في الإسلام، ولأن تُعصمَ نفسهُ، ولأن يُعصمَ ماله.

وقد تقدمَ معنا أن كُفارَ قُريش كانوا يُقرونَ بتوحيد الربوبية، ويشهدونَ أن اللهَ هو الخالق الرزاق، المُدبر، المُحيي، المُميت، وأنَّ له مُلكَ السماواتِ والأرض، ومع ذلك، لم يقبل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ مهم ذلكَ للدخولِ في الإسلام، وللخروجِ من الشرك، ودعاهم إلى التوحيد، وبقيَّ ينهاهم عن الشرك، مع إقرارِهم ذلك، وعاداهم من أجلِ الشِرك، بل وقاتلهم من أجل الشِّرْك، لماذا؟ قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلَائِكَةَ وَالأَنْبِيَاءَ وَالأَوْلِيَاءَ - يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ - هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

(الشرح)

أي أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما فعلَ ذلك من مُعاداةِ قومِهِ المشركين ومُنابذتهم وقِتالِهم مع إقرارهم بتوحيد الربوبية، لأنهم يصرفونَ العبادةَ إلى غيرِ الله، بحُجةِ أن غيرَ الله يُقربهم إلى الله، فمنهم مَنْ يعبدُ الملائكة، ويتقربُ إلى الملائكةِ بزعمه بُحجةِ أن الملائكةَ أقربُ منهُ إلى الله، وأنهم شُفعاء له عند الله.

ومنهم مَنْ يعبدُ الأنبياء وهم في قبورهم، أي يصرفُ لهم العبادة ليُقربوهُ إلى اللهِ زُلفى بزعمه.

وكذا، منهم مَنْ يعبدُ الصالحين بحُجةِ أنهم أقربُ إلى الله وأنهم يُقربونهُ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم شُفعاؤهُ عند الله في قضاءِ حاجاته.

هذا هو السببُ الذي جعلهم مُشركين، وعاداهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجله، واستحلَ دماءهم وأموالهم فهم كانوا يؤمنونَ بالله من جهةِ ربوبيته، وقد يؤمنونَ بِهِ من جهةِ العبادةِ أحيانًا، فقد كان من شأنِهم وحالِهم أنه إذا اشتدَ بهم الكرب وكانوا في حالةِ اضطرار يوحدونَ الله ويدعونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنهم يُشركونَ باللهِ في عبادتهِ في حالِ الرخاء، فما نفعهم ذلك، وما أخرجهم من حدِ الشرك، وما جعلهم مُسلمين، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، فهم عندهم إيمان على الوجه الذي ذكرناه، لكنَ هذا لم يُخرجهم من الشرك، بل كانوا مُشركينَ؛ لأنهم كانوا يصرفونَ العبادة لغيرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولاسيما في حالِ الرخاء.

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، أي: ألا للهِ العبادةُ الخالصة، لا شريكَ لأحدٍ معهُ فيها، لأن كُلَّ ما

دونَ الله، وَمَنْ دونَ الله مخلوقٌ وعبدٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ومملوكٌ لله، والمملوكُ يَعبدُ ولا يُعبد، المملوك حقهُ أن يَعبد لا أن يُعبد.

والذين اتخذوا من دون اللهِ أولياء يعبدونهم، كيفَ كانوا يعبدونهم؟ كانوا يعبدونهم بصرفِ أنواعٍ من العبادةِ إليهم، فيذبحونَ لهم، وينذرونَ لهم، ويستغيثونَ بهم، وحُجتُهم أنهم يقولونَ لأولئكَ المعبودين: ما نعبدكم ولا نتقربُ إليكم إلا لتكونوا شُفعاءُ لنا عند الله في قضاءِ حوائجنا فأنتم أقربُ منا إلى الله.

أو أنهم يقولونَ ذلكَ لمن يسألُهم، إنهم ما يعبدونهم إلا لكونِهم شُفعاء لهم عند اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كذا فسرَ ابنُ جرير رَحِمَهُ اللهُ هذه الآية ونقلَ هذا التفسيرَ عن السلف الصالح رضوانُ اللهِ عليهم.

وهذا يكشفُ لكَ حقيقة التوحيد الذي دعا إليه الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقيقةَ ضده وهو الشرك الذي نهى عنهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومهُ وغيرهم من أجله، ولذا قال الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ:

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ. وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

أي أنكَ تتيقنُ من أن: (لا إله إلا الله) التي لابدَ منها في الدخولِ إلى الإسلام، والخروجِ من الشرك، معناها: لا معبودَ حقٌ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ كُلَّ عبادةٍ لغيرهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شركٌ حتى لو قصدَ صاحبُها منها أن يصلَ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن هذه الحُجةَ وهذا المقصود لا يجعلُ ذلكَ الأمرَ حسنا، ولا يُخرجهُ من قُبحِ الشركِ وظُلماته، بل يبقى ذلكَ شركًا قبيحًا وظلمًا عظيما.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَإِنَّ «الإِلَهَ» عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا.

لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ «الإِلَهَ» هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ - كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ -.

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ «الإِلَهِ»: مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا هذا بِلَفْظِ «السَّيِّدِ».

(الشرح)

نعم، هذا هو الأصلُ السادس من الأصولِ المضمنةِ في هذه المُقدمةِ الشريفة العظيمةِ النفع، التي قدمها الشيخ ومهدَ بها لهدمِ شُبهات المشركينَ المُبطلين من المتأخرين، وهو: **بيانُ معنى (لا إلهَ إلا الله) وكشفُ انحرافِ المُنحرفينَ في تفسيرها**، وأن كُفارَ قُريش أعلمُ مِنهم بمعنى (لا إله إلا الله) فإن كُفارَ قُريش ما كانوا يقولون: معنى (لا إله إلا الله) لا خالقَ ولا رازقَ ولا مُدبرَ إلا الله.

فإنهم لو كانوا يفهمونَ أن هذا معناها لأسلموا، وسلموا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا إذا سُئلوا عن ذلك وحدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك، فكانوا يُقرونَ بذلك، لكنهم كانوا يعلمونَ علم اليقين أن الإلهَ هو الذي يُعبدُ ويُقصد في جلبِ الخيرِ ودفعِ الضُر، وتُطلبُ منهُ الحاجات، ويسمونَ مَنْ يُقصدُ لذلكَ إلها، ويرونَ أنهم آلهةٌ مُتعددة، ويُنكرونَ أن يكونَ الإلهُ واحدًا يُسألُ في جميع الحاجات، ويُجيبُ جميعَ المُحتاجين.

وإذا نظرتَ يا عبد الله إلى حال المتأخرينَ الواقعينَ في الشرك، تجدُ أنهُ يُطابقُ حالَ أولئك المُشركينَ في هذا، بل هو أظلمُ منه، فأولئك الكُفار كانوا يقصدونَ غيرَ الله في حالِ الرخاء، أما في حالِ الشِدة فإنهم ينسونَ ما يُشركون ويوحدونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في ذلك.

أما هؤلاءِ المتأخرون فيقصدونَ غيرَ اللهِ في كُلِّ حال، بل تعظمُ رغبتُهم في غير الله في حال الشدة، حتى يقولَ قائلهم: (إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور).

وأولئك الكُفار يُسمونَ مَنْ يقصدونهُ بالعبادة إلهًا؛ لأنهم يعرفونَ معناه الحقيقي، وهؤلاء المشركونَ المتأخرون يُسمونَ مَنْ يقصدونَ الأسياد أو السادة أو السيد، أو أصحاب السِر، يقولون: ذاك سِرهُ باتع، ذاك صاحبُ سِر، ونحوِ ذلك.

ومع شِركِهم فيهم بالألوهية أو في الألوهية فإنهم أيضًا يُشركونَ بهم في الربوبية، فيعتقدونَ أنهم يُدبرونَ الكونَ، وأنهم يتصرفونَ في الكون، وأنهم يخلقون، وأنهم يرزقون، وأنهم يُحيونَ الموتَ حتى قال قائلٌ منهم من المتأخرين: إن الوليَّ يستطيعُ أن يخلقَ الولدَ في رحمِ أُمه، ولا يمنعهُ من ذلك إلا اختلاطُ الأنساب. -نعوذُ باللهِ من هذا الانتكاس العظيم، الذي ما وصلَ إليهِ حتى كُفار قُريش-.

فهؤلاء المتأخرون مع شِركِهم في الألوهية، يُشركونَ في الربوبية، - نعوذُ باللهِ من سوءِ الحال-.

(المتن)

فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ: مَعْنَاهَا؛ لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالتَّعَلُّقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]».

(الشرح)

نعم، أي أن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعثَ نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُبطلَ اعتقادَ المشركين في الآلهة، وأن الآلهة مُتعددة وليست إلهًا واحدا، وأنها يُتقربُ إليها لتكونَ شافعةً لأصحابِها عند الله؛ لأنهم أقربُ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبعثهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم لجعل الإلهِ المعبود واحدًا لا شريكَ له، بأمرهم بأن يقولوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مُدركينَ معناها، مُعتقدينَ لها، عاملينَ بمقتضاها.

وكانت دعوةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأولئك المشركين: «قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا»، والمرادُ معناها: أنه لا معبودَ بحقٍ إلا الله، وليسَ مجردَ نُطقِها باللسان.

وأدركَ أولئك المشركونَ الظلمة الجُهال ذلك، وأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى توحيد المعبود، وتعليق القلوبِ بهِ، والكُفرِ بما يُعبدُ من دونه من جهةِ كونهِ معبودًا، والبراءةِ من الشركِ والمعبوداتِ من دونِ الله، من جهةِ كونِهم معبودات.

ولذلك كان جوابُ المشركين لأمرِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: بأن يقولوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كان جوابهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، أي جعلَ ما يُعبدُ ويُقصدُ في

الحاجاتِ واحدًا يقصدهُ الجميعُ ويسمعُ كلامَ الجميعِ ويُجيبُ الجميعَ بلا وساطةِ آلهةٍ أُخرى، إن هذا هذا لشيءٌ في غاية العجب.

ففهموا معنى (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) وأنكروا ذلك، وتعجبوا منه، لجهلِهم، فإنهم ما قدروا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقَ قدره.

(المتن)

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّالُ الكُفَّارِ!

بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي.

وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللهُ».

فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

واللهِ إنكَ لتعجب غاية العجب ممن يدعي الإسلام، ويقرأُ القُرآن، ومع ذلك هو أبعدُ الناسِ عن معرفةِ معنى (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ)، بل كُفارُ قريش أعلمُ بمعنى (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) منه، فبعضُ المتأخرين ممن وقعوا في الشرك وينتسبونَ إلى الإسلام، يُرددونَ (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) لفظا ولا يُدركونَ معناها، ولا يعملونَ بمقتضاها، بل رأينا أُناسًا يجتمعونَ عند قبرِ مَنْ يسمونهُ السيد، أو من يسمونه الولي، ويرددونَ (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) بطريقةٍ مُبتدعةٍ مُخترعة، ثم إذا فرغوا من ذلك، وضعوا أيديهم على القبر، وقالوا: المدد يا سيدنا فلان.

سبحان الله! يقولون: (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) في نفس الموضع، ثم يُشركونَ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! فهؤلاءِ لا يعرفونَ من (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا لفظها، ولا يعرفونَ معناها الذي أدركهُ كُفارُ قُريش.

بعضهم يُفسرُ معنى (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه: لا خالقَ ولا رازقَ ولا موجدَ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا حقٌّ، لكنهُ ليس معنى (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) وإنما هو داخلٌ في معنى (لا إله إلا الله).

وأما معنى: (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) فهو متعلقٌ بالعبادة؛ لأن الإلهَ بإجماع أهل اللغة هو المعبود الذي يُعبد.

وهم مع تفسيرهم لـ (لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ)، هذا التفسيرَ المنحرف ونحوهُ، يعتقدونَ أن مَنْ اعتقدَ هذا الاعتقاد فهو موحد وهو مُسلم، ولو صرفَ العبادةَ لغير الله.

فلو قُلتَ لهم: إن هذا شِرك، وإن هذا الذي يفعلُ هذا مُشرك، قالوا، وأنكروا عليك: كيفَ تقولُ ذلك، وهو يقولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وهو يعتقدُ بوجود الله، وهو يُصلي وهو يصوم وهو يتصدق ويُزكي، لأنهم ما عرفوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وبعضهم يقول: معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): لا معبودَ إلا الله. وهذا خطأٌ وانحرافٌ في معناها، فإنه إما أنَ قائلَ ذلك يعتقد بوحدة الوجود، وأن الآلهةَ كُلها هي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا أعظمُ من ضلالِ المُشركين.

وإما أنه لم يفهم المعنى؛ فإن هذا المعنى كاذب يُخالفُ الواقع، فإن هناكَ آلهة غير الله تُعبد، ولكن بظلم وطُغيان وعدوان وليسَ بحق، فمعناها: لا معبودَ بحقٍ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: إِذَا عَرَفْتَ مَا ذكرتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ.

(الشرح)

يعني، إذا عرفتَ كُلَّ ما تقدمَ ذِكرهُ معرفةَ قلب وعلمتَ ذلكَ يقينًا؛ لأن المعرفةَ النافعة هي معرفةُ القلبِ، علمُ القلبِ وتسليمهُ.

أما المعرفة التي تكون باللسان أو بالظاهر دونَ أن تُخالطَ القلب؛ فإنها لا تنفعُ صاحبها، فالنفعُ بالعلم إنما هو إذا علمَ القلبُ واستسلمَ لهذا العلم.

فإذا عرفتَ يا عبد الله ما ذكرَ الشيخ وأنتَ عارفٌ إن شاء الله معرفةَ قلب، أيقنتَ وسلمتَ بكُلِّ ما تقدمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

(الشرح)

هذه المقدمة الثانية: إذا عرفتَ حقيقة الشِّرك الذي نهىٰ عنهُ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، طيب ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ مصدر، والمصدر عندَ العلماء نكرة، والقاعدة: أن النكرةَ في سياقِ النفيِّ تعم، فيصير المعنى على هذه القاعدة: إن اللهَ لا يغفرُ أيَّ شِركٍ.

والمعلومُ أن الشِّركَ نوعان:

- شركٌ أكبر؛ يُخرجُ من الإسلام.

- وشركٌ أصغر؛ لا يُخرجُ من الإسلام، ولكنهُ يُنقصُ الإيمان، وهو من أقبح المعاصي، ويكفيهِ قُبحًا أنه سُميَ شِركًا.

لكن القضيةَ هل الشرك الأصغر يدخلُ في قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، إذا أعملنا القاعدة وهي أن النكرةَ في سياقِ النفيِّ تعم؟ نقولُ: نعم، فهذا يعمُ كُلَّ شِركٍ غيرَ أن المُشركَ شركًا أكبر يدخلُ النارَ ويُخلدُ فيها.

وأما الموافي بشركٍ أصغر فإنه يدخلُ النارَ ولا يُخلدُ فيها.

وقال بهذا كثيرٌ من العلماء: أن الشركَ الذي لا يُغفر عام، يشملُ الشركَ الأكبر والشركَ الأصغر.

وقال بعضُ العلماء: بل هناكَ قاعدةٌ أُخرى، وهي قاعدةُ العامِ الذي أُريدَ به الخصوص، ليسَ كُلُّ عامٍ أُريدَ به العموم، بل هناكَ عامٌ يُرادُ به الخصوص، أي يُرادُ به بعضُ أفرادهِ، ولا يُرادُ به كُلَّ أفرادهِ. وهذه قاعدة مُسلمة لُغةً وشرعًا، فيقولون: هذه الآية من بابِ هذه القاعدة، من باب العامِ في اللفظِ الذي أُريدَ به الخصوص.

➢ فالمرادُ بالشرك الذي لا يغفرهُ الله هو الشركُ الأكبر.

➢ أما الشركُ الأصغر فمع قُبحهِ فهو تحتَ مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إن شاءَ لم يغفر لصاحبه وأخذهُ به وإن شاءَ غفرَ له، وهذا أقرب واللهُ أعلم.

لكن يكفي المؤمن حذرًا من الشِركِ كُله أنه سُميَّ شركًان فلا يتساهلُ في شِركٍ أصغر، فضلًا عن الشركِ الأكبر، لكن الذي يظهر واللهُ أعلم: أن الأرجح أن الشركَ الأصغر داخلٌ تحتَ المشيئة.

فإذا عرفتَ حقيقة الشرك الذي نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلَ أهلهُ؛ فهذه المقدمة الثانية.

(المتن)

وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمُ - الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ -.

(الشرح)

نعم، هذه المقدمة الثالثة: إذا عرفتَ دين الله الذي هو الإسلامُ العام، الذي بُعثَ به جميعُ الرُسل، ولا يكونُ الإنسانُ مُسلمًا إلا إذا أتىٰ به من زمنِ آدمَ عليه السلام إلىٰ آخرِ مَنْ يكونُ في الدنيا.

هذا الإسلام العام هو الاستسلامُ للهِ بالتوحيد، والخلوصُ من الشرك، والبراءة من أهلهِ، هذا الإسلام جاءَ به جميع الرُسل، ولا يكونُ الإنسانُ مُسلمًا خارجًا من الشركِ إلا إذا أتى به، بمعنى: لم يوجد مُسلمٌ على الأرضِ قط، إلا وهو موحدٌ بريءٌ من الشركِ وأهله، فإن لم يكن كذلك فإنه لم يكن مُسلما.

ثم بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انضمَ إلى ذلك أن يشهدَ أن مُحمدًا رسولُ الله، وأن يُقرَ بشريعتهِ ويقبلها؛ فهذا الإسلام الذي يقبلهُ الله، ولا يقبلُ دينًا سواه بعد بعثة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◄ يعني يا إخوة: لو جاءنا شخص وقال: أنا أعتقد أنه لا معبودَ حقٌ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكني لا أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله.

نقولُ له: لم تُسلم.

◄ لو جاءنا شخصٌ وقال: أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأعتقدُ أنه لا معبودَ حقٌ إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله، لكن للعرب.

نقولُ له: لم تُسلم.

ولو جاءنا شخصٌ وقال: أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأُقرُ وأعمل بأنه لا معبودَ حقٌ إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسولُ الله، لكن لا أُقرُ بشريعته، والناس أحرار.

نقولُ له: لم تُسلم، ولا يقبلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلكَ منك.

قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، إن عرفتَ هذا معرفةً يقينية فقد حققتَ المُقدمةَ الثالثة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا.

(الشرح)

نعم، وعرفتَ. هذه المقدمة الرابعة: عرفتَ ما عليهِ أغلبُ الناسِ في زماننا من الجهل، بمعنىٰ: **لا إلهَ إلا الله، فهي يقولونها ولا يعرفونَ معناها.** وما نزلت مُصيبةٌ بإنسان أعظمَ من جهلهِ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، والله ما نزلت مُصيبةٌ بإنسان أعظمَ من جهلهِ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فإذا عرفتَ جهلَ كثيرٍ من الناس بمعنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وبالتالي عرفتَ عدم عملهم بالتوحيد الذي جاءَ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرفتَ وقوعهم في الشرك الذي نهى عنهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اجتمعت لكَ هذه المقدماتُ الأربع، كانت النتيجة.

(المتن)

أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: الفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

(الشرح)

نعم، إذا حصلت لك هذه المقدمات الأربع، وعلمتها، فقد أنعمَ اللهُ عليكَ بالتوحيد، بأعظمِ نعمةٍ على العباد، واصطفاكَ واجتباك، حيثُ هداكَ إلى معرفةِ معنى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وإلى اعتقادِ معناها، وإلى العملِ بمقتضاها.

واللهِ لولا الله لكنتَ من أولئك الذين لا يعرفونَ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، والذين يعبدونَ غيرَ الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]، لكن الله رحمك، ولكن الله تفضلَ عليك، فأنعمَ عليكَ بهذه النعمة، فتفرحُ بفضل الله، وتفرحُ برحمة اللهِ لك حيثُ هداكَ واجتباكَ، وأنارَ بصيرتك، ويسرَ لكَ التوحيد، ونجاكَ من الشرك، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، أي قُل يا محمد: بفضل اللهِ عليكم أن دعاكم للإسلام، وهداكم إليه، ونجاكم من الشرك، وأنزلَ إليكم القُرآنَ فرحمكم بذلك، وبيّنَ لكم بالسُنة، فرحكم بذلك، فلتفرحوا بذلك.

فهو خيرٌ مما يجمعهُ الناس، من كنوز الدنيا ومن الذهب، ومن الفضة ومن الأموال، والله إن الفقيرَ الموحد خيرٌ من أغنى أهل الأرضِ من أهلِ الشِّرك، واللهِ لو عاش الإنسانُ أفقرَ الناس لكن على التوحيد، لكانَ خيرًا ممن عاشَ أرفه الناسِ على الأرض لكن على الشرك، فالمؤمنُ يفرحُ بتوحيده، ويسألُ اللهَ رزقه، ولا يغترُّ بما أوتيَّ أهلُ الباطلُ وأهلُ الشركِ من الدنيا، فالتوحيدُ خيرٌ مما يجمعهُ أهلُ الأرضِ كُلِهم أو كُلُهم، فهو خيرٌ مما يجمعون.

وهذا يجعلُ المؤمن مُعتزًا بتوحيده، ثابتًا على توحيده، لا يُزعزعهُ عن هذا التوحيدِ قلةُ يدٍ ولا شُبهةُ مُبطلٍ، وهذا يدعو العبد إلى أن يدعوَ إلى التوحيد، وأن يحرصَ على إدخال الناسِ التوحيد؛ لأن هدايةَ إنسانٍ واحد إلى التوحيد خيرٌ من كنوز الدنيا، وهذا هو الفرحُ المحمود، الفرحُ بفضل الله، الفرحُ بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الفرحُ الذي تطمئنُ به القلوب، ويثبتُ به المؤمن على دين الله، ويعظمُ به المؤمن نشاطًا في عبادة الله، ويوقنُ به المؤمن أن هذا الفضلَ من الله، فيزدادُ تعظيمهُ لله.

وما أعظمها من فائدة أن تكونَ في الدنيا كالجبال الراسيات على التوحيدِ والدين، وأن تكونَ موقنًا أن ما آتاكَ الله وما أنعمَ اللهُ به عليكَ من التوحيد، خيرٌ لكَ من كنوز الدنيا، وتوقن يا عبد الله أن هذا بفضل الله ورحمته.

انظر يا أخي، بعضُ أقربائكَ ما عرفوا هذا التوحيد، يُشركونَ بالله، ويدعونَ غيرَ الله، ويذبحونَ لأصحاب القبور، ويطوفونَ على القبور، لسانُكَ لسانُهم، وبيئتُكَ بيئتُهم، لكنَ اللهَ اجتباك، وهداك، وعلمك، ورزقكَ التوحيد، واللهِ إنه لأعظمُ الفضل، وأعظمُ الرحمة من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذه الفائدة الأولىٰ.

وأما الفائدةُ الثانية نقفُ عند رأسِها؛ لأن في أولها مسألةً شائكةً، يفرُ منها كثيرٌ من الناس، ويمرونَ عليها مرورًا عابرًا، **ألا وهي مسألةُ العُذرِ بالجهل،** وتحتاجُ وقتًا، ونحنُ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سنعرضُها عرضًا علميًا، ونُبيّنُ ما عند العلماءِ فيها.

ولذلك نؤخرُ الكلامَ عن الفائدةِ الثانية إلى أول المجلس القادم في الأسبوعِ القادمِ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فقهنا اللهُ في دينه وجعلنا ممن يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنه.

الطالب: جزاكم اللهُ خيرًا، وباركَ اللهُ فيكم، نفعنا اللهُ بما سمعنا.

هذا يقول: عندنا في بعض القُرى بعض المناطق تُسمى بسيدي فُلان، نسبة إلى صاحب ضريح، فهل يجوز لنا إذا أردنا أن نُعرف بهذه القرية التلفظ بـ سيدي فلان؟

الشيخ: يعني هناكَ ضريحٌ في القرية، ويُسمونه كما قال الشيخ، بالسيد، سيدي فلان أو سيدنا فلان، أو مولانا فلان، وهذا الاسمُ يعني أنه مُدبرٌ متصرف، يُعطي ويمنع، ولذلك يقصدونهُ في الحاجات، من أرادَ ولدًا ذهبَ إليه، من أرادَ مالًا ذهبَ إليه -نعوذُ بالله من الشرك-.

فيقول الأخ: هل إذا عرفنا بالقرية أن لنا أن نقول: التي فيها قبر سيدي فلان؟

والجواب: لا، وإنما يقول القرية الفلانية التي فيها القبر لفلان، والذي يعبدهُ الجُهال من دون الله مثلًا.

أما أن يقول له القبر قبر سيدي فلان من باب التعريف فلا. يجب هجرُ الأسماء المُخالفة للشرع، والألفاظ المُخالفة للشرع، ولا يجوزُ استعمالها. ولو ظننتَ أن هذا السائلَ يسأَلُ عن القريةِ من أجلِ القبرِ، فلا يجوزُ لكَ أن تدلهُ عليها، ويحرمُ عليك أن تُخبرهُ بالطريقِ إليها.

الطالب: أحسنَ اللهُ إليكم، هذا يقول: أن عندهُ مبلغًا من المال بلغَ نصابًا، وقبلَ أن يبلغَ عليه الحول عينَ قطعة أرض، وقال لمالكها سيشتريها منه، لكنه اشتراها بعد أن بلغَ المال الحول وكان المال عنده ولم يُخرج عليه زكاة.

الشيخ: ما دامَ أن الحولَ قد حالَ على المالِ وهو نصاب؛ فإنه تجبُ فيه الزكاة، ولو كان صاحبُ المالِ أرادَ شراءَ أرضٍ، بل فاوضَ عليها قبلَ أن يحولَ الحول، واتفقَ مع صاحبها، غيرَ أن المالَ بقيَ عنده، فإنهُ يجبُ عليهِ أن يُزكيَ هذا المال، نعم، لو دفعَ جُزءًا هذا المال قبلَ حولان الحول ولو بيوم، حتى نقصَ المال عن النصاب فإنهُ لا زكاةَ فيه، أما إن بقيَ المالُ بالغًا نصابًا حتى حالَ عليه الحول، فإن هذا لا يُسقطُ الزكاةَ عنهُ.

بل الراجحُ أيضًا من أقوالِ أهل العلم أنه مَنْ كان عليهِ دينٌ لو دفعهُ لنقصَ المالُ عن النصابِ، لكن حالَ الحولُ ولازال المالُ نصابًا أو زائدًا عن النصاب، ولم يدفع الدينَ الذي عليه؛ فإنه يجبُ أن يُزكيَ هذا المال.

ألا ترى يا عبد الله أنه يُمكنُ له أن يُتاجرَ فيه؟ ألا ترى يا عبد الله أنه يُمكنَ له أن يشتريَ به كُله شيئًا ولا يدفعُ الدين؟ إذًا الجهةُ منفكة، والواجبُ التزكية.

لكن لو أنه قبلَ حولان الحول ولو بأسبوع، ولو بيوم دفعَ الدينَ الذي عليه، فنقصَ المالُ عن النصابِ؛ فإنه لا يُزكيه، ولو بقيَ المال نصابًا فإن الذي دفعهُ في الدين قبلَ أن يحولَ الحول لا يُزكى.

لعلَ في هذا كفاية، ونلتقي إن شاء الله عصرَ اليوم في كُرسينا المعتاد في شرح دليل الطالب.

هٰذَا واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٥)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بَعْدُ؛

فمرحبًا بالفضلاء في مجلس علم في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث نجلس بعد فجر السبت في مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نتدارس كتابًا من كتب العقيدة تتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا، وَمَا يجب أن يعتقده العبد، ونحن في هٰذِه الأوقات أو الأيام نتدارس كتاب: (**كشف الشبهات**) للإمام المُجَدِّدِ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

هٰذَا الكتاب الَّذِي ما قرأه موحدٌ إلَّا ثبت بفضل الله عَلَىٰ توحيده، لا تضره الشبهات، ولا تُزعزعه الفتن، ولو كان بين أقوامٍ يُخالفونه فإنه يكون ثابتًا كالجبال الراسيات، وما قرأه مخالفٌ بتجردٍ وإنصاف إلَّا عرف الحق وانكشفت عنه الشبهات، وهُدي هداية الدلالة والبيان، أما هداية التوفيق فهي بيد الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولا زلنا نقرأ في المقدمة الممهدة الَّتِي مَهَّد بها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لكشف الشبهات، وقلنا: إنها تتضمن أصولًا.

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بعد أن قرَّر بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة أن ما بعث به رُسل الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جميعًا، وبُعث به خاتمهم وأشرفهم نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التوحيد؛ أن يُعبد الله وحده، وأن يُكفر بالطاغوت، خاطب المُوحِّد الَّذِي أنعم الله عليه بالتوحيد، أنه إذا عَرَف معرفة يقينية من قلبه أن معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أن يُعبد الله وأن يُكفر بالطاغوت، أن يقول ذلك المسلم بلسانه ويعتقده بقلبه ويعمل به ويحققه.

وأن كفار قريش الَّذِين كانوا في جاهلية جهلاء أدركوا هٰذَا، وعلموا أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دعاهم إِلَىٰ قول لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، دعاهم إِلَىٰ توحيد المعبود، والكفر بالطاغوت، فنفروا واستكبر كثير منهم وتعجبوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وأيقن من قلبه -أعني: الموحِّد- أن الدين الَّذِي بُعث به الرسل هو التوحيد وهو الَّذِي أنعم الله عليه به، وأيقن من قلبه أن كثيرًا من الناس جُهَّال بهٰذَا، فنظر إِلَىٰ واقع الحال فرأى الأعداد الكبيرة من الناس تجهل هٰذَا الأمر.

أفاده ذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: أن يفرح بفضل الله عليه، حيث اختص من بين المليارات من الناس بهذه النعمة نعمة التوحيد والكفر بالطاغوت والبراءة من الشِّرْك، وقد تقدم شرح هٰذَا والتعليق عليه.

وتوقفنا عند الفائدة الثانية: فيتفضل الابن نور الدين، وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين، يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المجدد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ الله تَعَالَى في رسالته: (كشف الشبهات):

وَالثَّانِيَةُ أَفَادَكَ أَيْضًا: الخَوْفَ العَظِيم.

(الشرح)

هٰذِه الجملة متعلقة بما قبلها، وهي أَيْضًا متضمنة لأصل من الأصول الممهدات لدك الشبهات ونسفها.

وذلك الأصل: هو أن من علامات صحة التوحيد: الخوف من الشِّرْك، فالموحِّد لا يغفل عن نفسه ويظل خائفًا من الشِّرْك كله كبيره وصغيره؛ يخاف الشِّرْك عَلَىٰ نفسه، ويخاف الشِّرْك عَلَىٰ أهله، ويخاف الشِّرْك عَلَىٰ من حوله، فيظل طول عمره يقرأ في التوحيد ويُعلِّم التوحيد ويدعو إِلَىٰ التوحيد.

فهو لإدراكه عِظَم نعمة التوحيد يخاف عليها ويحذر أن يُكدِّرَهَا أو يزيلها بشرك، قَالَ تَعَالَىٰ في دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

يخاف الشرك ويحذره، ويسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُجنِّبه وبنيه الشِّرْك، وهو لنا أُسوة ولنا قُدوة، فإنَّا أَوْلى بذلك وأحرى بذلك أن نخاف الشِّرْك وأن نحذر الشِّرْك، ولذلك قَالَ إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"من يأمن البلاء بعد قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** [إبراهيم: ٣٥]".

وَمِمَّا يجعل المؤمن شديد الخوف من الشِّرْك أنه يعلم أن من الشِّرْك ما يكون خفيًا جدًا، فعن أبي علي قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ -يعني لتأتين بدليلٍ عَلَىٰ ما قلت-، أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ.

قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»، فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**» رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني.

وروى البخاري في الأدب المفرد، وصحَّحه الألباني رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظروا قَالَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لخير الناس بعد الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ: «**يا أبا بكرٍ، لَلشِّركُ فيكم أخفىٰ من دبيبِ النَّملِ**».

وهٰذَا يجعل المؤمن خائفًا من الشِّرْك، حريصًا دائمًا عَلَىٰ أن يتقي الشِّرْك، يخاف عَلَىٰ نفسه كدر الشِّرْك ما دامت روحه باقية في جسده، فيجمع المؤمن الموحد بين الفرح العظيم بنعمة الله وفضل الله، والخوف مِمَّا يُضاد التوحيد من الشِّرْك الأكبر، أو يُنقصه من الشِّرْك الأصغر.

هٰذِه حياة الموحِّد؛ فرحٌ بالتوحيد وحرصٌ عليه، وخوف من الشِّرْك وحذرٌ منه، حَتَّىٰ يُفارق هٰذِه الدنيا ويكون آخر كلامه من هٰذِه الدنيا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيعيش عَلَىٰ التوحيد محققًا، معتزًا، فرحًا، خائفًا من الشِّرْك ويثبت عَلَىٰ ذلك، حَتَّىٰ يخرج من هٰذِه الدنيا وهو يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فيُبشر بالبشارة العظمى عند لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ مَازِحًا.

(الشرح)

إن الكلام ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن ينتبه له انتباهًا عظيمًا، فإن الإنسان «قَدْ يَقُولُ الكَلِمَةَ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، إن الإنسان قد يقول الكلمة مازحًا من سخط الله، الكلمة من سخط الله لكن يقولها مازحًا، ويقول: ما هو إِلَّا مزاح، قد يهوي بها في النَّار سبعين خريفًا، كما أخبر بذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواجب عَلَىٰ المؤمن أن يبتعد عن كل قول يُسخط الله، وألا يستقل من ذلك شيئًا، فلعله أن يقول من ذلك شيئًا لا يظن أنه يبلغ ما يبلغ من إسخاط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيسخط الله عليه، فيهوي بهذه الكلمة الَّتِي استقلها في النَّار سبعين خريفًا.

ومن ذلك الكلمات الشركية، كما يحصل من بعض الناس اليوم من الاستهزاء بالدين وبفرائض الدين المعلومة لتضييع الوقت كما يقولون وللمزاح، فتجد أنهم يصورون مقاطع فيها سخرية من الصلاة واستهزاء بالمصلين، يقولون زعموا: مزاحًا، وكالاستهزاء بالموحِّدين، والاستهزاء بالدعوة إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاستهزاء بطلب العلم، يقولون: إِنَّمَا نخوض ونلعب.

وأعظم من ذلك الاستهزاء بالله عَزَّ وَجَلَّ، والاستهزاء برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما نرى في هٰذِه الأمراض الَّتِي شاعت في زماننا في هٰذِه الوسائل والبرامج والتطبيقات الَّتِي يجب عَلَىٰ المؤمن أن يحذر حذرًا شديدًا من أن يُشارك أهلها في هٰذَا البلاء العظيم.

إياك يا عبد الله إذا رأيت هٰذَا المقطع أن تنظر إليه، إن كنت نظرت إليه لأول مرة؛ لأنك لا تعلم مضمونه فإياك أن تُعيد النظر إليه فإنك تشارك أهله، وإياك أن تُرسل هٰذَا المقطع إِلَىٰ غيرك، والشيطان يضحك عَلَىٰ بعض الناس يقول: أرسله لإخوانك حَتَّىٰ يُنكروه، لا حاجة لأن يعلموه.

ينبغي يا إخوة الحذر من هٰذَا الزلل العظيم، ومن هٰذَا الباب ما حصل من النفر الَّذِين كانوا يستهزئون بصحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وبرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون إِنَّمَا كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فقد روى ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا ولَا أكذبَ ألسنةً، ولَا أجبنَ عند اللقاء! فَقَالَ رجلٌ في المجلس: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزل القرآن.

قَالَ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما فأنا رأيته متعلقًا بناقة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنكبُهُ الحجارة، وهو يقول يا رسول الله إِنَّمَا كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، قَالَ الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"هٰذَا الحديث رجاله رجال الصحيح، إِلَّا هشام ابن سعد فلم يُخرِّج له مسلم إِلَّا في الشواهد"**، قَالَ: **"وله شاهد حسن عند ابن أبي حاتم من حديث كعب بن مالك"**.

فالإنسان قد يقول الكلمة بلسانه من الكفر وَالشِّرْك يمزح بها، يستهزأ بها، يقضي بها الوقت فيكفر بهذا -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، إذا علم المؤمن هٰذَا كيف لا يكون حذرًا من الشِّرْك؟ كيف لا يكون خائفًا من الكفر؟

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ.

(الشرح)

قد يقول الكلمة الكفرية وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل، فيكفر بذلك مع جهله، وهٰذِهِ المسألة أعني: مسألة العذر بالجهل في مسائل الشِّرْك، مسألة دقيقة، وضَلَّت فيها أفهام، وحصلت فيها أوهام، وزلَّت فيها أقدام.

- **وأنا سأعرضها هنا بين أيديكم عرضًا علميًا من جهتين:**
  - الجهة الأولى: تحرير رأي الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.
  - والجهة الثانية: كلام أهل العلم في المسألة.

وقبل أن نتكلم في المسألة، أُؤكد أن كلامنا فيها إِنَّمَا هو بين أقوام يعلمون التوحيد ويعتقدونه ويدعون إليه، ويعلمون الشِّرْكَ وقُبحه وينهون عنه جملةً وتفصيلًا، ويعتقدون الإيمان قول واعتقاد

وعمل، وأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن الكُفر ليس خاصًا بجحود القلب كما هو معلوم ومتقرر عند أهل السُّنَّة.

✍ فهم لا يختلفون في أصول أهل السُّنَّة، وَإِنَّمَا يختلفون في شيء واحد: من فعل مسألةً من الشِّرْك الَّتِي يُكَفَّرُ مَن فَعَلها إذا اجتمعت فيه الشروط وانتفت الموانع وكان جاهلًا عند فعله لها، هل يُقال: إنه فعل شركًا وعَلَىٰ خطر عظيم، لكنه لا تُجرىٰ عليه أحكام الكافر لجهله؟ أم يُقال: إنه خرج بذلك عن ملة الإسلام، وتُجرىٰ عليه أحكام الكافر؟

وقبل أن أقرر المسألة من الجهتين: أُحرر محل الكلام فيها؛ لأن محل الكلام فيها لم يُحرر عند كثير من الخائضين فيها، فنتج عن ذلك إلزام ما لا يلزم وتباعد الآراء والخصومات.

❑ وأحرر ذلك في نقاط:

☜ **النقطة الأولى:** نحن في هٰذِه المسألة لا نتكلم عمن لم يأت بالشهادتين، فإن من لم يأت بالشهادتين بعد بعثة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس مسلمًا، وهو كافر في الظاهر مطلقًا -أي: في أحكام الدنيا- وتلحقه أحكام الكفار، أما في الآخرة فإن كان علم بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يؤمن به، فإنه من أهل النَّار.

أما من لم يعلم بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا تقوم عليه به الحُجة فالله أعلم به، لكن أقوى ما قيل: **"أنه يُختبر يوم القيامة"**، فإن أطاع دخل الجَنَّة، وإن عصى دخل النَّار، فهو كأهل الفترة بين الرسل، هٰذَا انتهينا منه.

☜ **النقطة الثَّانِية:** نحن لا نتكلم في هٰذِه المسألة عمن أتى بالشهادتين فلم يُقبل ذلك منه أصلًا ولم يُحكم بإسلامه، فهٰذَا لم يدخل في الإسلام أصلًا.

☜ **النقطة الثَّالِثة:** نحن نتكلم عمن أتى بالشهادتين، وقُبل ذلك منه، وحُكِم بإسلامه، ثُمَّ أتى بناقض من نواقض التوحيد وهو لا يعلم، فإنه وقع في كفرٍ وعَلَىٰ خطرٍ عظيم، لكن هل يُحكَم بكفره أو يُعذر بجهله؟ هٰذِه المسألة.

☜ **النقطة الرابعة:** نحن لا نتكلم مع من يُنازع في كون الناقض لمرتكب كفرًا أن ذلك كفر، وَإِنَّمَا نتكلم مع من يعتقد مثلنا أن فعل ذلك كفر، وننظر نحن وهو: هل يُعذر فاعله بجهله أو لا؟

النقطة الخامسة: الجهل نوعان، لَا بُدَّ من معرفة هٰذَا:

النوع اَلْأَوَّلُ: جهل إعراضٍ وإباء، وذلك إذا وُجد من يُعلِّمُ وينبه، ولكن أعرض المعرض وأبى أن يتعلم، وقد بُذل له العلم وقُرِّب إليه العِلم. هٰذَا نعم جاهل، لكنه قصد الجهل وأراد الجهل وتعمَّد الجهل، وأبى أن يعرف حق ربه عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والقسم الثَّانِي من الجهل: جهلٌ لعدم وجود من يُنبِّه، وعدم وجود من يُعلِّم، وقد يجتمع مع ذلك وجود من يُرشد إِلَىٰ الضلال، ويزعُم أنه هُدى وأنه الإسلام، فهٰذَا الجاهل لا يُريد الشِّرْك ولا يُريد الجهل، لكن لم يجد من يُعلِّمه، ولم يجد من يُنبِّهه، ويُقرر له التوحيد ويُبيِّن له الشِّرْك، ولو وجد لتعلَّم، ولم يُنبهه أحدٌ أن هٰذَا شِرك، بل قد يوجد في بلاده من يُقرِّر في الخطب وغيرها الشِّرْك عَلَىٰ أنه توحيد ويدعو الناس إليه، فهٰذَا جهل لا يستطيع صاحبه أن يدفعه.

وبناءً علَى ذلك نتكلم في المسألة من جهتين، كما قدمت لكم:

الجهة الأولى: تحرير رأي شيخ الإسلام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في المسألة، وذلك أن الإمام رَحِمَهُ اللهُ جاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ عدم العُذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وجاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ العُذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وجاءت عنه عباراتٌ تدل عَلَىٰ العُذر بالجهل في بعض هٰذِه المسائل، وعَلَىٰ عدم العُذر بالجهل في بعض هٰذِه المسائل، فَلَا بُدَّ من التأليف بين هٰذَا الكلام، والتوفيق بينه.

فمن العبارات الَّتِي جاءت عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ وتدل عَلَىٰ عدم العذر بالجهل في هٰذِه المسائل: هٰذِه العبارة الَّتِي معنا، الَّتِي قرأها الابن نور الدين، ومن تلك العبارات أَيْضًا قوله (في النواقض): **"ولا فرق في جميع هٰذِه النواقض بين الهازل الجاد، والخائف، إِلَّا المُكرَه"**، ففهم جماعةٌ من الشيوخ وطلاب العلم أنه لا يعذر في النواقض إِلَّا بالإكراه؛ لاستثنائه الإكراه، فهو إن لم ينص عَلَىٰ الجهل، لكنه لم يستثني إِلَّا الإكراه، وفي كتاب التوحيد، في مسألة: (لُبس الحلقة من صفر من أجل الواهنة)، قَالَ: **"إنه لم يُعذر فيها بالجهالة"**.

ومن العبارات الَّتِي تدل عَلَىٰ أنه رَحِمَهُ اللهُ كان يرىٰ العذر بالجهل إذا تحقق في هٰذِه المسائل كلها: قوله رَحِمَهُ اللهُ كما في الدرر السُّنِّيَّة: **"وإذا كنا لا نُكفِّر من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد الأحمد البدوي، وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم"** انتبهوا يقول:

"وإذا كنا لا نُكفِّر"؛ نص في عدم التكفير، **"من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر الجيلاني، والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد البدوي"**؛ مسألة كبيرة جدًا من مسائل التوحيد، وَهٰذَا الَّذِي وقع من أعظم مسائل الشِّرْك.

يقول: لماذا؟ **"لأجل جهلهم وعدم من يُنبِّهُهُم، فكيف نُكفِّر من لم يشرك بالله، إذا لم يُهاجر إلينا. سبحانك هٰذَا بهتان عظيم"**؛ فالحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هٰذَا الكلام يُقرر أنه لا يُكفر من عبد الصنم هكذا سماه، وَهٰذِه مسألة ظاهرة جدًا **"الَّذِي عَلَىٰ قبر عبد القادر وعَلَى قبر أحمد البدوي"**؛ من أجل جهله الحقيقي وهو عدم من يُنبههم، ثُمَّ الحظ: أنه وصف نسبة التكفير إليه بغير برهان من الله بأنها بهتان عظيم عليه رَحِمَهُ اللهُ.

وهناك عبارات كما قلت تدل عَلَىٰ أنه يعذر بالجهل في مسائل الشِّرْك الخفية، دون مسائل الشِّرْك الظاهرة: حيث قَالَ كما في الدرر السنية: **"الشخص المعين إذا قَالَ ما يُوجب الكفر فإنه لا يُحكم بكفره، حَتَّىٰ تقوم عليه الحُجَّة الَّتِي يكفر تاركها، وهٰذَا في المسائل الخفية الَّتِي قد يخفى دليلها عَلَىٰ بعض الناس، وَأَمَّا ما يقع في المسائل الظاهرة الجليَّة، أو ما يُعلم من الدين بالضرورة، فهٰذَا لا يُتوقف في كفر قائله"**، في العبارة هٰذِه فرَّق بين المسائل الخفية والمسائل الظاهرة.

وقال كما في الرسائل الشخصية له رَحِمَهُ اللهُ: **"فإن الَّذِي لم تقم عليه الحُجة هو حديث العهد بالإسلام، وَالَّذِي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل: الصرف والعطف، فلا يُكفَّر حَتَّىٰ يُعرَّف"**، والحظ رعاك الله: أنه مثَّل للمسائل الخفية بالصرف والعطف، وتذكر أنه ذكر في النواقض من النواقض السِّحر، ومنه الصرف والعطف.

فأشار هنا، بل ذكر هنا: أنه في سحر الصرف وسحر العطف، الَّذِي هو ناقض للتوحيد كما قرره رَحِمَهُ اللهُ يُعذَر فيه بالجهل؛ لأن بعض الناس قَالَ: قصده بالمسائل الخفية الفروع، هٰذَا غير صحيح، فإن الكلام عن المسائل الَّتِي يُحكم فيها بالكفر، فإذا كانت خفيةً قد تخفَى عَلَى البعض هكذا ضبطها رَحِمَهُ اللهُ، فإنه يعذر فيها بالجهل، فَلَا بُدَّ من التوفيق بين هٰذَا الكلام.

ما رأي شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، هل رأيه اَلْأَوَّلُ، أو الثَّانِي، أو الثَّالِث؟

فمن الناس: من حمل كلامه في عدم العذر بالجهل: عَلَىٰ المسائل الظاهرة، وحمل كلامه في العذر بالجهل: عَلَىٰ المسائل الخفية، وفعلوا مثل هٰذَا في كلام شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، قالوا: **"كلامه**

المُفَصَّل نحمل عليه كلامه اَلْمُطْلَق"؛ فكلامه اَلْمُطْلَق في عدم العذر بالجهل: إذا كانت المسألة ظاهرةً، وكلامه المطلق في العذر بالجهل: إذا كانت المسألة خفيةً.

وإذا قلنا بهذا عَلَىٰ هٰذَا، فإن الظاهر والخفاء ليس وصفًا ملازمًا للمسألة، بل قد تكون المسألة في مكان وزمان ظاهرةً، وتكون في زمان ومكان آخرين خفيةً، بدليل أنه في كلامه رَحِمَهُ اللهُ في العذر بالجهل، ذكر مسألة من حيث ذاتها ظاهرة جدًا، لكنها قد تكون خفية لعدم وجود من ينبه، كما نص عَلَىٰ ذلك.

✍ **ومن الناس من قال:** إن رأي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هو عدم العذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وما جاء عنه من عباراتٍ فُهِم منها العذر لها سبب خاص، كَرَدٍّ ما اتخذه الأعداء وسيلةً للتنفير من دعوة التوحيد.

وفي هذَا التوجيه نظر والله أَعْلَمُ: فإن المعروف عن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنه لا يقول خلاف ما يعتقده، لا لرد تُهَم الخصوم ولا لغير ذلك، فحاشاه أن يقول: أنا لا أُكفِّر، وهو يُكفِّر، والله إنا ندفع عنه ذلك رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

✍ **ومن الناس من قالَ:** إن الكلام الَّذِي فيه العذر بالجهل، المقصود به: في أحكام الدنيا، أما في الباطن عند الله: فالجهل لعدم وجود من يُنبِّه أو يُعلِّم، عُذر، ويُعامل معاملة أهل الفطرة؛ يعني: قَالَ هؤلاء: إن الكلام الَّذِي فيه عدم العذر بالجهل مطلقًا في هٰذِه المسائل المقصود به: في أحكام الدنيا، في إجراء الأحكام في الدنيا، حمايةً للتوحيد وتقبيحًا للشِّرْكِ، واحتياطًا للإنسان حَتَّىٰ لا يُوالي مشركًا ولا يستغفر لمشرك.

أما العبارات الَّتِي فيها العذر بالجهل، فالمقصود منها: إذا كان الجهل عن عدم تنبيه وتعليم، لا عن إعراض، وذلك يوم القيامة، فإن هٰذَا يكون كأهل الفطرة عند الله، يُختبر وعَلَىٰ اختباره يكون مآله هل إِلَىٰ الجنة أو إِلَىٰ النَّار.

وأنقل لكم هنا كلام الشيخ العالم المُحقِّق الشيخ: صالح آل الشيخ، هٰذَا الرجل دقيقٌ في علمه مفيدٌ في فوائده، اثنان أفرح بكلامهما كَثِيْرًا لما فيه من التدقيق والإفادة للبحث الجيد والعلم، نحن نفرح بكلام كل العلماء، ولكني أنا أقول: إن اثنين إذا وجدت لهما كلامًا في المسألة أفرح بكلامهما لما ذكرت أَحَدُهُمَا: الشيخ صالح آل الشيخ، مُوفَّقٌ مُدقِّق، وَالثَّانِي: الَّذِي يُدرِّس عَلَىٰ هٰذَا الكرسي: الشيخ

عبد الرزاق البدر، في كلامه فوائد عجيبة، ولا سيما في النقل عن السلف، فمنذ عرفته وأنا طالبٌ في الكلية، وهو يتميز بهذه الميزة، النقل عن السلف، يأتيك بفائدة نفيسة جدًا في نقله أثرًا والتعليق عليه ونحو ذلك، وفي كل علماء أهل السُّنَّة خيرٌ وفوائد.

الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ عند هٰذَا الموطن في كشف الشبهات.. أنا كما قلت سأعرض المسألة عرضًا علميًا، وأقررها تقريرًا علميًا رحمةً بطلاب العلم أَجْمَعِيْنَ، الَّذِين يقولون: بالعذر، وَالَّذِينَ لا يقولون: بالعذر، وسأذكر رأيي في آخر الكلام إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

يقول الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ: التوحيد تركه ممن تركه راجعٌ إِلَىٰ أحد شيئين، أو هما معًا في بعض الأحوال:

- اَلْأَوَّلُ: الجهل به؛ وقد يكون لعدم وجود من يُنبِّه، وقد يكون للإعراض عن البحث فيه، هٰذَا وضحناه.
- وَالثَّانِي: العناد والاستكبار؛ وهٰذَا يكون مع العلم وإقامة الحُجة.

وكُلٌّ من الأمرين مُكفِّر، فمن لم يأتِ بالتوحيد عن إعراضٍ منه وجهلٍ فهو كافرٌ، ومن لم يأتِ بالتوحيد ويترك الشِّرْك بالله عن عنادٍ واستكبارٍ فهو كافرٌ، ولهذا قَالَ العلماء: **"الكفر كفران"**؛ يا إخوة الآن الشيخ يتكلم عن الحكم عَلَىٰ الفعل، الَّذِي يُسميه: **"بالتأصيل"**؛ **لأن الشيخ ينظر إِلَىٰ المسألة من جهتين:**

- **جهة يُسميها: "التأصيل"**؛ وهي الحكم عَلَىٰ الفعل، فالفعل الكفري كفرٌ، سواءً كان فاعله عالـمًا معاندًا أو جاهلًا، هٰذَا لا يُخرجه عن وصفه بكونه كفرًا.
- **والأمر الثَّانِي الَّذِي يذكره الشيخ:** يسميه هو **"بالواقع"**؛ وهو الحكم عَلَىٰ المُعيِّن، الحكم عَلَىٰ الفاعل.

يا إخوة قلت لكم مرارًا وتكرارًا: من يقرأ كلام العالم لَا بُدَّ من أن يعرف منهج العالم ومصطلحات العالم حَتَّىٰ لا يقع في الخطأ في فهمه، إذًا نحن الآن مع الشيخ في تقرير التأصيل، وهو الحكم عَلَىٰ الفعل.

قَالَ: لهذا قَالَ العلماء: الكفر كفران:

- اَلْأَوَّلُ: كفر إباء واستكبار كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

- وَالثَّانِي: الإعراض كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

فهٰذَا وصف بيان، كيف لا يعلمون الحق؟ لإعراضهم، فهم معرضون، فليس كل كافر كَفَر عن عنادٍ واستكبار، بل قد يكون كفره عن الإعراض، ولهذا جاء في أواخر نواقض الإسلام الَّتِي كتبها إمام الدعوة رَحِمَهُ اللهُ: **"الناقض العَاشِر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به"**، لا يُهِمّهُ أن يعلم التوحيد، ولا يُهِمّهُ أن يعرف الشِّرْك، مع تيسر ذلك، ولا تُهِمّهُ هٰذِه المسائل، يُعرض عن دين الله أصلًا.

وإذا تقرر ذلك، فهنا ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بذلك، هٰذَا من جهة الحكم عَلَىٰ الواقع، الحكم عَلَىٰ الناس، عَلَىٰ المعينين، وذلك الَّذِي تكلمنا عليه من جهة التأصيل: أن الكفر قد يكون من جهة الإعراض والجهل، وقد يكون من جهة الإباء والاستكبار، هٰذَا التأصيل.

ومن جهة الواقع: يعني: الحكم عَلَىٰ الناس، فإن المتلبس بالشرك يُقال له: مُشرك، سواءً أكان عالمًا أم كان جاهلًا، هٰذَا من جهة الاسم، والحكم عليه بالكفر يتنوع.

إذًا الشيخ بَيَّن أن فعله يُحكَم عليه بأنه شِرك، وأن الفاعل يُسمى مشركًا، ولا حرج في هٰذَا إذا عُرف المراد، وَأَمَّا الحكم عليه بأحكام الكفر في الدنيا والآخرة فيتنوع، وسيذكر الشيخ التفصيل، وسأشرح تفصيله، هٰذَا نجعله إِنْ شَاءَ اللهُ في الدرس القادم.

هٰذِه المسألة الوحيدة الَّتِي سنُطيل فيها، وقد تقتضي منا عدة أسابيع لنعرضها عرضًا علميًا لينكشف حالها، لعل ذلك أن يُؤَلِّفَ بين القلوب، ولا يلزم أن يُؤَلِّفَ بين الآراء، لا يلزم أن يعود الَّذِي يقول بعدم العذر إِلَىٰ القول بالعذر، أو يعود الَّذِي يقول بالعذر إِلَىٰ القول بعدم العذر.

لكني آمل من طلبة العلم أجمعين إذا تقررت المسألة تقريرًا علميًا أن يدفع ذلك تنافر القلوب، والتشاتم، والتباغض، والتعادي بين أقوام كما قدمنا يتفقون عَلَىٰ التوحيد، ويتفقون عَلَىٰ تقبيح الشِّرْك، ويتفقون عَلَىٰ أصول أهل السُّنَّة، فليس عندهم أصلٌ يوافقون فيه المُرجِئَة، بل يدُكُّون أصول المُرجِئَة دكًّا، وليس عندهم أصلٌ يوافقون فيه أهل الاعتداء في التكفير كالدواعش ونحوهم، وَإِنَّمَا يختلفون في هٰذِه المسألة في الحكم عَلَىٰ مُعيَّنٍ بشروطها.

لعلنا نستمر في بيانها حَتَّىٰ نفرغ إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مقررين ومقربين، ثُمَّ سأُبَيِّن رأيي في المسألة إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أجيب عن ثلاثة أسئلة:

⇦ **السؤال اَلْأَوَّلُ:** هل اَلَّذِي لا يُكفِّر المشرك الجاهل ويعذره بجهله، يَكفر بذلك ويخرج من الإسلام؛ لأن من لم يُكفر الكافر فهو كافر؟ لأنا سمعنا أن هناك طلاب علم يُكفِّرون من يعذُرُ بالجهل في هٰذِه المسائل بحُجة هٰذِه القاعدة: **"من لم يُكفِّر الكافر فهو كافر"**.

كان هنا في المملكة قبل سنين طويلة، وسأنقل لكم كلام أحد علمائنا معهم، من يُكفِّرون الألباني رَحِمَهُ اللهُ؛ لأنهم يقولون: لأنه يعذر بالجهل في مسائل الشِّرْك، واليوم من عَجَب -أسأل الله أن يهديني وسائر المسلمين- أن بعض من يقولون: أنهم طلاب علم في بعض البلدان غير الإسلامية، يقولون: إن اَلَّذِي يقول بالعذر بالجهل في هٰذِه المسائل كلامه يُخرِجه من الدين، فسنجيب عن هٰذَا السؤال.

⇦ **السؤال الْثَّانِي:** هل من يعذر بالجهل في هٰذِه المسائل مرجئ؟ لأن هٰذِه الكلمة شائعة، وسنجيب عن هٰذَا بعلم بِإِذْنِ اللهِ.

⇦ **والسؤال الْثَّالِث:** هل من لا يعذر بالجهل في هٰذِه المسائل تكفيري خارج عن أهل السُّنَّة في صف الدواعش وغيرهم؟ لأن هناك ممن يقول بالعُذر بالجهل من يرمي من لا يعذر بالجهل بأنهم خوارج، بل سمعت من يقول عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بأنه تكفيري، وأنه مثل اَلَّذِين تنقمون عليهم أنهم يُكفِّرون المسلمين بالجملة، اَلَّذِين يقولون: إن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لا تنفعهم، وهٰذَا ضلال، وسأجيب عن هٰذَا السؤال بعلم إِنْ شَاءَ اللهُ.

هٰذِه الأسئلة الثلاثة سأجيب عنها في آخر المسألة، قلتها الآن تشويقًا، حَتَّى لا يمل الإخوة، وينتظرون حَتَّى نفرغ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُؤَلِّفَ بين القلوب، وأن يهدينا إِلَىٰ ما اُختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يُسدِّدَ ألسنتنا ويجعلنا حماةً للتوحيد وأهله دعاةً إليه.

وفق الله الجميع..... واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نجتمع في مسجد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس عِلم نرجو أن يكون نورًا لنا في الدنيا، ونرجو برَّه في الدنيا والآخرة.

حيث نجتمع عَلَىٰ عِلم من أفضل العلوم وأزكاها، نجتمع عَلَىٰ عِلم يتعلق بأعظم الحقوق، يتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فحق ربنا سُبْحَانَهُ أن يُوحد وأن يُفرد بالعبادة، فلا يُعبد إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكل عبادة سواءً كانت صغيرة أَوْ كبيرة هِيَ محض حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وصرفها لغير الله أعظم الظلم، وظلم عظيم نعوذ بالله من كل ظلم، الدعاء كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يجوز لأحد أن يدعو مع الله أحدًا، لا يجوز لأحد أن يدعو ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا وليًا صالحًا، ولا غير ذلك، فالنافع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الَّذِي يجلب النفع ويُعطيه، وَهُوَ الَّذِي يدفع الضر ويرفعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُنذَر إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يُذبحُ إِلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولو أن عبدًا ذبح ذبابةً أَوْ بعوضةً لغير الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يكون قد أشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هٰذَا العلم العظيم عِلم التوحيد يتعلق بحق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ أعظم مَا ينبغي أن يعتني به المسلم وأن يحرص عليه المسلم وأن يحميه المسلم مقتديًا في ذلك برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث بالتوحيد ودعا إِلَىٰ التوحيد وحقق التوحيد وحارب الناس عَلَىٰ تحقيق التوحيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِلم أمته كلها أن يُوحدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلى المسلم أن يحرص عَلَىٰ هٰذَا التوحيد.

وينبغي أن يعلم المؤمن أن عبادته لله لا تقبل إِلَّا إِذَا كان فيها مخلصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى متبعًا فيها لسنة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشرط قبول العبادة -أي عبادة-: الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإتباع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وضد الإخلاص: الشرك بالله، الشرك الأكبر بأن يعبد العبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشرك الأصغر من الرياء ونحوه، هٰذَا ينبغي أن يُخلِّص الإنسان عبادته منه، وأن يُخلص في عبادته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كما أن من شرط العبادة أن يتبع العبد فيها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل عبادة لم يعملها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرشد إليها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعملها من علمهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم صحابته فإن الله لا يقبلها، بل هِيَ بدعة مردودة عَلَىٰ أصحابها.

❑ فينبغي عَلَى العبد إِذَا أراد أن يفعل أمرًا يظنه أن يتحقق من أمرين:

الأَمْر الْأَوَّل: أنه مخلص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يبتغي بهذه العبادة أحدًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والأمر الْثَّانِي: يتحقق أنه متبع في هَذِه العبادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا علم أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعمل هَذِه العبادة وكان يحث عليها أَوْ كان يُرشد إليها كسنة الفجر القبلية الَّتِي عندما أذن المؤذن قمنا جميعًا لنُؤديها، فإن هَذِه سنة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحث عليها وأخبر أنها خيرٌ مِمَّا طلعت عليه الشَّمس.

أَمَّا إِذَا عِلم المؤمن أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعمل هٰذَا الشيء الَّذِي يُريد أن يجعله هٰذَا العبد عبادة ولم يُرشد إليه، فإنه يستحي من الله أن يتقرب إليه بعبادة لم تأتِ عَنْ طريق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينفر من هٰذَا الفعل، ولا يفعله مهما زخرفه المزخرفون ومهما زينه المزينون.

فإنا نعلم مثلًا أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعظم نعمة أنعم الله بها عَلَىٰ أهل الأَرْض قاطبة منذ أن نزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ الأَرْض إِلَىٰ أن يرث الله الأَرْض ومن عليها، أعظم نعمة أنعم الله بها عَلَىٰ الناس أن بعث إليهم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا ونبيًا يُعلمهم دينهم، ويُبيّن لهم طريق وصولهم إِلَىٰ ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولن يصل الناس إِلَىٰ الجنة بعد بعثته إِلَّا من طريقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أغلق الله الطرق إِلَىٰ الجَنَّة بعد بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا من طريقه صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداه نفسي وأبي وأمي والناس أَجْمَعِيْنَ، نعلم هٰذَا ونُوقن بهذا ونحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعلنا من أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ ننظر هل كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل مولده ويوم ميلاده موعدًا لأمرٍ يتقرب فيه إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكرر كل عام؟ بحثنا عَنْ ذلك في سنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما وجدنا في سنة حبيبنا وإمامنا وقدوتنا وقرة أعيننا وسيدنا وسيد ولد آدم أجمعين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة تعلقت بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا عبادة واحدة تكون في كل أسبوع، ولا تكونوا في كل سنة: أَلَا وَهِيَ صيام يوم الإثنين، فإن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد في يوم الإثنين وعلمنا من السُّنَّة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلد يوم الإثنين، وسنَّ لنا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نصوم يوم الإثنين.

وفتشنا وفتش غيرنا وبحث غيرنا فلم نجد عبادة تتعلق بمولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا هَذِه العبادة.

أَمَّا عبادة سنوية تتكرر في كل سنة يتقرب بها العباد إِلَىٰ الله بسبب مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنا لم نجد ذلك في سنته لا من قوله؛ لا بنص جلي ولا بظاهر ولا بغير ذلك، ولم نجد ذلك من فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ فتشنا ووجدنا أن أحب الناس إِلَىٰ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحب الناس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ قاتلوا عنه وعن دينه وفدوه بأنفسهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُم، فما وجدناهم يفعلون عبادة تتعلق بمولد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكررونها كل سنة، مَا كانوا يحتفلون بهذا، بل ولا كانوا يفعلون أي عبادة في يوم من السنة يتكرر كل عام يتعلق بمولد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل أعظم من هٰذَا نجد أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُعلمنا مَتَىٰ وُلد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعلمنا متى ولد من السنة، وأن صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُخبرونا متى ولد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنة، وأن علمائنا لم يُجمعوا عَلَىٰ تاريخ مولده من السنة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل اختلفوا في ذلك.

ووالله ثُمَّ والله لو كانت هناك عبادة تتعلق بيوم مولد رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحفظ الله لنا يوم مولده -أعني تاريخه- أَوْ أخبرنا بذلك رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أخبرنا بذلك صحابة

رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الدين لا يضيع، فلو كان هناك أمرٌ من الدين يتعلق بذلك لأُخبرنا بذلك.

ثُمَّ نظرنا فيمَنْ جاء بعد صحابة رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علماء الإسلام، فلم نجد أن التابعين ولا الأئمة الأربعة كانوا يعملون عبادة سنوية تتعلق بمولد رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يرد عنهم في ذلك كلمة واحدة لا من باب الإثبات ولا من باب النفي؛ لأن هٰذَا العمل لم يكن معروفًا عندهم أصلًا، ولا يعملونه أصلًا، فما احتاجوا إِلَىٰ نفيه؛ لأَنَّهُ لم يكن يخطر على بال.

واستمر الحال في هَذِه الأمة عَلَىٰ هٰذَا إِلَىٰ القرن الرَّابع؛ حيث أنشأ الفاطميون بدعة الموالد للشيوخ، والموالد لكذا، والمولد للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصاروا يتقربون بذلك إِلَىٰ الله، وأنكر ذلك العلماء، ولم يقبله العلماء.

فالواجب عَلَىٰ المؤمن المحب لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلزم غرز رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتقدم عليه أبدًا، ويُحاول أَلَّا يتأخر عنه أبدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يتبع سنته ويبتعد عما لم يفعله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رجاءَ أن يرد حوضه يوم القيامة، وأن يدخل معه الجنة كما اتبعه في الدنيا.

ونبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله قد بلغ الدين كله، أقسم بالله العظيم أقسم بالله العظيم أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ترك صغيرًا ولا كبيرًا مِمَّا يُشرع لنا أن نتقرب به إِلَىٰ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وبينه لنا بيانًا واضحًا كافيًا صافيًا، وما ترك من دين الله شَيْئًا.

ولذلك أيها الإخوة من ابتدع في الإسلام بدعة يرى أنها حسنة فقد اتهم محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه مَا بلغ الرسالة ولا أدى الأمانة حاشاه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هٰذَا البهتان العظيم.

بل إن نَبِيَّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن لنا أن الله لا يقبل من عبد عملًا إِلَّا إِذَا كان عَلَىٰ أمر رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فمن أحدث في دين الله عَزَّ وَجَلَّ مَا لم يأت به مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو رد مردود عَلَىٰ صاحبه.

وَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»، فكل من يعمل بعمل ليس عليه أمر حبيبنا وقدوتنا وقرة أعيننا وسيدنا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه مردود عليه لا يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بل يا معاشر الفضلاء؛ إن ثلاثة نفر من أصحاب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهبوا إِلَىٰ بيوت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عَنْ عبادته، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد غفر الله لَهُ مَا تقدم من ذنبه وما تأخر وَأَمَّا نحن فمؤاخذون بذنوبنا؟ فقَالَ أحدهم: أَمَّا أنا فأصوم ولا أفطر، وَقَالَ الآخر: وَأَمَّا أنا فأقوم ولا أرقد، وَقَالَ الثَّالِث: وَأَمَّا أنا فلا أتزوج النساء، فلما علم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبرهم ولقيهم، قَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ تَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

هؤلاء الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم نياتهم طيبة، ومقاصدهم حسنة، يُحبون الله ويحبون رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأولوا وقالوا: إن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غُفر لَهُ مَا تقدم من ذنبه وما تأخر، أَمَّا نحن فمُؤاخذون بذنوبنا، فنحتاج أن نزيد في العبادة، وأن نعبد الله بعبادة شرعها الله، ولكن نزيد في هَذِه العبادة، رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أقرهم، بل أخبرهم أن الله لا يقبل من العمل إِلَّا مَا وافق سنته، بل قَالَ: قولًا عظيمًا: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، يا لَهُ من أمرًا عظيم!

أيها المؤمن أيسرك أن يقول رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حقك: لست مني، أعوذ بالله من أن يقول رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حق أحدنا ذلك.

إذًا الزم سنته وأحذر أن تعبد الله بعبادة مَا جاء بها رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذِه القصة الَّتِي ذكرناها لم يكتفِ بقوله للَّذِينَ قالوا هٰذا، بل صعد المنبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

ثُمَّ يا عبد الله مَا حاجتنا إِلَىٰ أن نتقرب إِلَىٰ الله بعبادةٍ لم تأتِ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله لو أَنَّا قضينا أعمارنا نتقرب إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بما جاءَ عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرنا أعمارنا كلها بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

واعلم يا عبد الله أنه مَا قام حب بدعة في قلب عبد إِلَّا مَات حُب سنة في قلبه، وما عمل ببدعة إِلَّا أُميتت سنة، اللَّهُ أَكْبَرُ، الله عَزَّ وَجَلَّ بعث لنا رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا ديننا، فلنقدر هَذِه النعمة قدرها، ولنلزم غرز نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنبتعد عَنْ كل أمرٍ لم نعلم أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرب إِلَىٰ الله به، أَوْ دلنا عليه مهما زخرف المزخرفون، ومهما قَالَ المتكلمون.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ والمتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يهدي أتباع مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ القيام بحقه، وأعظم حقوقه علينا أن نلزم سنته وألا نتقرب إِلَىٰ الله بعبادة إلَّا من طريقه.

معاشر الفضلاء؛ كلمة مَا خطرت في بالي قبل أن أجلس عَلَىٰ هٰذَا الكرسي، رأيت أن أطرحها عَلَىٰ مسامع إخواننا محبة لرسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة لأتباع رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحق المسلمين علينا أن نُبيِّن لهم مَا نعلم، وأن نذكر لهم مَا يقربهم إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وما يُوصلهم إِلَىٰ جنة الله عَزَّ وَجَلَّ آخذين ذلك من مشكاة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إن درسنا كما علمتم في شرح: (**كشف الشبهات**) لشيخ الإسلام الإمام المجدد السائر عَلَىٰ سنن علماء أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، لا يحيد عَنْ طريقهم، ولا يُحدث أمرًا لم يقلوه: الإِمَام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هٰذَا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في نفعه.

وكنا في درسنا الماضي قد شرعنا في مسألة عظيمة كثر فيها الخلط وكثر فيها الخبط وكثر فيها الاعتداء؛ أَلَا وَهِيَ: (**مسألة العذر بالجهل**)، وقد بَيَّنَّا إذ ذاك حدود هَذِه المسألة، وما هِيَ المسألة التي نتكلم عنها عندما نتكلم عَنْ العذر بالجهل في مسائل الشِّرْك؛ حَتَّىٰ لا تُنقل المسألة إِلَىٰ غيرها.

❍ **والقضية**: لو أن مسلمًا أسلم وحُكم بإسلامه، ثُمَّ فعل شركًا أكبر كدعاء غير الله وكالاستغاثة بغير الله وكالنذر لغير الله وكالذبح لغير الله، فإنه عند أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فاعلٌ للشرك الأكبر، وعَلَىٰ خطرٍ عظيم.

لكن إن فعل ذلك عَنْ جهل حيثُ لم يجد من يُنبهه، ولم يجد من يُعلمه، بل ربما وجد من يقول لَهُ: إن هٰذَا من دين الله، أَوْ إن هٰذَا من الواجب عليه، ففعل هٰذَا وَهُوَ يجهل أنه حرام ويظن أنه من دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فهل لا يُعذر بجهله في أحكام الدنيا والآخرة، فيكون مشركًا تجري عليه أحكام المشرك

في الدنيا فلا يُصلى عليه ولا يُستغفر لَهُ ولا يُحج عنه، ولا يُعتمر عنه، ويُفرق بينه وبين زوجته، ونحو ذلك من أحكام الدنيا، وكذلك في الآخرة تجري عليه أحكام المشركين، فلا يغفر الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ولا يدخل الجنة ويكون خالدًا مخلدًا في النَّار أبدًا؟

أم أنه يُعذر بالجهل في مسائل ولا يُعذر في مسائل؟ أم أنه يُعذر بالجهل في أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، فلا تُجرى عليه أحكام المشركين في الدنيا ولا تُجرى عليه أحكام المشركين في الآخرة، بل أمره إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ قد يغفر الله لَهُ وقد يُعذبه الله وقد يختبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أم يُقَالَ: أنه تجرى عليه أحكام الكفر والشرك في الدنيا، وَأَمَّا في الآخرة فأمره إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يغفر الله لَهُ، وقد يُؤاخذه بذنبه، وقد يختبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ هَذِه المسألة.

وقد علمنا أن المسألة تطرح من وجهين:

⇦ **الوجه الأول:** تحقيق قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.

⇦ **والأمر الثاني:** كلام أهل العِلم في المسألة؛ حيث سنذكر كلام أهل العِلم في المسألة، ونذكر الأدلة، ثُمَّ نذكر الراجح فيما يظهر لنا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقد شرعنا في الوجه اَلْأَوَّلُ؛ وَهُوَ تحقيق قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في المسألة.

وعلمنا أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جاءت عنه نصوصٌ ظاهرها: أنه لا يعذر بالجهل في هَذِه المسائل مُطْلَقًا.

وجاءت عنه نصوص: فيها العذر بالجهل حَتَّىٰ في المسائل الظاهرة كفعل الَّذِينَ يعكفون عَلَىٰ قبر البدوي ونحوه، فقد جاء عنه مَا يدل عَلَىٰ أَنَّهُم يُعذرون.

وجاءت عنه نصوصٌ: فيها التفريق بين المسائل الظاهرة والخفية في هٰذِه المسألة.

وقلنا إذ ذاك: إنه لَا بُدَّ من التأليف بين هٰذِه النصوص، والجمع بينها، وتحقيق الرأي فيها.

وقلنا: إن الناظرين في هٰذَا؛ منهم من قَالَ: إن نصوص شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي فيها العذر بالجهل تُحمل عَلَىٰ المسال الخفية، وأن نصوص شيخ الإسلام الَّتِي فيها عدم العذر بالجهل تُحمل عَلَىٰ المسائل الظاهرة.

وقلت: إن بعض الناظرين في هٰذَا؛ قالوا: إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أنه لا يُعذر بالجهل في هٰذِه المسائل، وأن النصوص الَّتِي نص فيها عَلَىٰ العذر بالجهل فَهٰذِه خرجت لمناسبة خاصة لرد تشنيع المخالفين له عَلَىٰ دعوته الَّذِينَ يُريدون بذلك أن يقطعوا الطريق بين دعوة التوحيد وبين الناس.

وقلت: إن هٰذَا التخريج لا يستقيم، وإنه لا يصح، فإن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يُجامل في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يقول خلاف مَا يعتقد، بل هو من أصرح الناس في عقيدته، دعا الناس إِلَىٰ التوحيد صراحةً، ونهاهم عَنْ الشرك صراحةً، وعاداه من عاداه من أجل ذلك، فليس من الصحيح أنه يقول للناس إنه يعذر الناس بالجهل والحقيقة أنه لا يعذرهم، هٰذَا لا يستقيم أبدًا في حق هٰذَا الإمام العظيم رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَة وَاسِعَةً.

وقلنا: إن من الناظرين في هٰذِه المسألة من ذهب إِلَىٰ أنَّ رأي شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة في هٰذِه المسألة أن جهل الإعراض لا يُعذر به لا في أحكام الدنيا ولا في أحكام الآخرة، أَمَّا الجهل الحقيقي لعدم وجود من يُنبه، ولعدم وجود من يُعلم هٰذَا لا يُعذر به في أحكام الدنيا، بل تُجرى عَلَىٰ فاعل الشِّرْك أحكام الدنيا في الظاهر، ولكن يُعذر به في أحكام الآخرة.

وقد شرعنا في قراءة كلام العلامة الشيخ المحقق المدقق: الشيخ صالح آل الشيخ حَفِظَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في هٰذَا الصدد، والشيخ حَفِظَهُ اللهُ بعد أن أصل المسألة، وبين أن الكفر منه كفر الإباء والجحود والعناد ومنه كفر الإعراض، ثُمَّ ذَكَرَ الواقع الَّذِي ذكره جده شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهُوَ: أن كثيرًا ممن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام يجهلون حقيقة التوحيد الَّذِي جاءت به الرسل، ويجهلون كثيرًا من مسائلِ الشِّرْك.

وبين أن من فعل شيئًا من الشِّرْك الأكبر يُقال له: مشرك، أَمَّا في تنزيل الأحكام عليه، فإن ذلك يتنوع حيث قَالَ: "فإن أقيمت عليه الحجة الرسالية" وأظن أنَّا وقفنا هنا قَالَ: "لمن فعل الشِّرْك الأكبر، فإن أقيمت عليه الحجة الرسالية من خبير بها؛ ليُزيل عنه الشبهة وليفهمه بحدود مَا أنزل الله عَلَىٰ رسوله من التوحيد وبيان الشِّرْك فترك ذلك مع إقامة الحجة عليه، فإنه يُعد كافرًا ظاهرًا وباطنًا؛ أي في أحكام الدنيا وفي أحكام الآخرة، تُجرى عليه أحكام الكفر في الدنيا ويُعتقد فيه جريان أحكام الكفر عليه في الآخرة".

"وَأَمَّا المعرض"؛ يقصد الشيخ هنا الجاهل لعدم من يُنبهه، كما سيأتي في كلامه، ولا يقصد المُعرض عَنْ التَّعَلُّم، مع أن العلم مبذول لَهُ، عندما قَالَ الشيخ هنا: "وَأَمَّا المعرض" فقصده: وَأَمَّا الجاهل جهلًا حقيقيًا لعدم وجود من يُنبهه، وَهٰذَا سيتضح في كلامه إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ: "وَأَمَّا المعرض فهو يُعامل في الظاهر معاملة الكافر"؛ أي أنه لا يُعذر بجهله في أحكام الظاهر في أحكام الدنيا، فالجاهل جهل أعراض والجاهل جهلًا حقيقيًا لعدم وجود من يُنبهه يستويان في عدم عذرهما بالجهل في أحكام الدنيا، وأنا أشرح كلام الشيخ، وَأَمَّا رأيي فسأذكره إِنْ شَاءَ اللهُ لاحقًا.

قَالَ: "وَأَمَّا باطنه فإنه لا نحكم عليه بالكفر الباطل إِلَّا بعد قيام الحجة عليه"؛ يعني إِلَّا بعد زوال الجهل عنه؛ لِأَنَّهُ من المتقرر عند العلماء أن من تلبس بالزنا فهو زانٍ، مَا دام أنه فعل الزنا فهو زانٍ، وقد يُؤاخذ وقد لا يُؤاخذ، قد تُجرى عليه العقوبة وقد لا تجرى عليه العقوبة، فإذا كان عالمًا بحرمة الزنا فزنا فهو مؤاخذ، وإِذَا كان أسلم حديثًا وزنا غير عالم أنه محرم فاسم الزنا باقٍ عليه؛ لأن حقيقة الفعل قد وقعت منه، لكن لا يُؤاخذ بذلك لعدم علمه.

وَهٰذَا -أعني الجهل بالمسائل الظاهرة- ممكن في حال فشو الجهل، عندما سقط الإتحاد السوفيتي وتحررت الدول الَّتِي كانت تحته ذهب من ذهب من الجامعة الإسلامية وغيرها إِلَىٰ تلك الدول الإسلامية الَّتِي كانت تحت الإتحاد السوفيتي، فوجدوا من الناس من يفتح الخمر، ويقول: بسم الله ويشرب الخمر، ويقول: بسم الله، مَا يعلمون أن الخمر مُحَرَم، أكثر من سبعين سنة من الإظلام والتعتيم مَا كان أحدهم يستطيع أن يتعلم الدين إِلَّا من كان يتخذ سردابًا تحت الأَرْض يجتمع فيه مع قليل من الطلاب يتعلمون الدين، فكانوا جاهلين بحكم الخمر، ولما بين لهم من ذهب إليهم حكم الخمر تركوه.

فقصدي أن المسائل الظاهرة في بعض دول المسلمين هِيَ خفية في بعض دول المسلمين، وَهٰذَا سنكرره ونقرره عندما نُبين رأينا في هَذِه المسألة.

قَالَ: "وَهٰذَا هو الجمع بينما ورد في هٰذَا الباب من أقوالٍ مختلفة"؛ يعني في مسألة العذر بالجهل، قَالَ: "فإذًا يُفرق في هٰذَا الباب بين الكفر الظاهر والباطن، والأصل: أنه لا يُكفر أحد إِلَّا بعد قيام

الحجة عليه؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، والعذاب هنا إِنَّمَا يكون بعد إقامة الحجة عَلَىٰ العبد في الدنيا أَوْ في الآخرة.

قد يُعامل معاملة الكافر"؛ يعني الدنيا، "استبراءً للدين وحفظًا لَهُ"؛ يعني قد..، وَهٰذَا الَّذِي يرى الشيخ أنه رأي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة أنه من فعل الشِّرْك الأكبر في الدنيا يُعامل معاملة المشرك، لا لكونه عندهم مشركًا في الباطن، وَإِنَّمَا استبراءً للدين وحفظًا للموحدين من جهة الاستغفار له؛ يعني حَتَّىٰ لا يستغفر الموحد للمشرك، ومن جهة عدم التضحية لَهُ وَأَلَّا يُزوج وأشباه ذلك من الأحكام.

قَالَ: "فإِذًا كلام أئمة الدعوة في هَذِه المسألة فيه تفصيلٌ مَا بين الكفر الظاهر والكفر الباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يُفرقون، فإذا أُوتي للتأصيل قالوا: هٰذَا كفرٌ سواءً كان كفره عَنْ إعراض وجهلٍ، أَوْ كان كفره عَنْ إباءٍ واستكبار، وإِذَا أُوتي للتطبيق عَلَىٰ المعين أطلقوا الكفر عَلَىٰ من أُقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تقم عليه الحجة، فتارةً لا يُطلقون عليه الكفر، كما قَالَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع: (**وإِذَا كنا لا نكفر من عبد الصنم الَّذِي عَلَىٰ عبد القادر والصنم الَّذِي عَلَىٰ قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم**).

الشيخ مَا كفر أهل الجبيلة ونحوهم ممن عندهم بعض الأوثان في أول الأَمْر لأجل عدم بلوغ الحجة الكافية لهم، وقد يطلق بعضهم"؛ يعني بعض أئمة الدعوة، "عَلَىٰ هؤلاء الكفر ويُريد به أن يُعاملوا معاملة أهل الكفر"؛ يعني في الدنيا، "حرزًا ومحافظةً لأمر الشريعة والإتباع حَتَّىٰ لا يُستغفر لمشرك، وَحَتَّىٰ لا يضحى عن مشرك، أَوْ أن يتولى الموحد مشركًا ونحو ذلك من الأحكام".

إذًا أنتبه هنا الشيخ صالح آل الشيخ وَهُوَ من أعرف الناس بعلم أئمة الدعوة يقول: إن أئمة الدعوة منهم من لا يُطلق الكفر عَلَىٰ هؤلاء حَتَّىٰ في أحكام الدنيا، ومنهم من يُطلق عليهم الكفر في أحكام الدنيا، لا في الباطن إِذَا كان جهلهم حقيقيًا؛ لعدم وجود من يُنبههم.

يقول: "فإذًا نخلص من ذلك أن قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وعرفت مَا أصبح غالبًا الناس عليه من الجهل بهذا**) أنَّ هٰذَا الجهل بالتوحيد مذمومٌ غاية الذم سواءٌ أطلقنا عليه حكم الكفر ونعني به الظاهر، لا

الكفر الكامل الَّذِي هو ردة ومخرج من الدين أصلًا، وَإِنَّمَا الكفر الظاهر الَّذِي تترتب عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا"؛ وَهٰذَا قول بعض أئمة الدعوة.

"أَوْ قلنا أنه في هٰذَا أتى بخطرٍ عظيم في جهله بالتوحيد، لكن لم نُطلق عليه أحكام الكفر وَهٰذَا القول الآخر الَّذِي أشار إليه في كلامه، فهذا يُنبئك عَنْ أن غالب الناس اليوم كما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ١٠٦﴾[يوسف:١٠٦]".

قَالَ إِلَىٰ أن قَالَ: قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وقد يقولها وَهُوَ وجاهْل فلا يُعذر بالجهل**)؛ قَالَ الشيخ صالح: "لأَنَهُ أعرض مع تمكنه من المعرفة، أعرض مع قرب الحجة منه، فجهله لا بسبب خفاء الحق أَوْ بسبب عدم وجود من يُنبهه، وَإِنَّمَا جهله بها لأجل الإعراض"؛ يعني أن جهل الإعراض لا يعذر فيه بالجهل لا في الظاهر ولا في الباطن، أَمَّا الجهل الحقيقي فأئمة الدعوة يرون أنه يُعذر فيه في الباطن، أَمَّا في الظاهر منهم من يقول: لا يُعذر فيه، لا بالجهل في أحكام الدنيا الظاهرة، ومنهم من يقول: يُعذر، هٰذَا كلام الشيخ.

فقَالَ: "فإذًا هنا نُلحظ التفريق في الجهل مَا بين الجهل الَّذِي سببه عدم وجود من ينبه بالحق، والجهل الَّذِي سببه الإعراض؛ فالجهل الَّذِي سببه الإعراض مع وجود من يُنبه هٰذَا لا يُعذر به العبد"؛ تذكروا الَّذِي قلت لكم في تفسير: "وَأَمَّا المعرض"، وقلت: سيأتي تفسيره في كلامه.

قَالَ: "فالجهل الَّذِي سببه الإعراض مع وجود من يُنبه هٰذَا لا يعذر به العبد، وَأَمَّا الجهل الَّذِي يكون لأجل عدم وجود من يُنبه، فإنه يُعذر به حكمًا في الآخرة حَتَّىٰ يأتي من يُقيم عليه الحجة، ولا يُعذر به في أحكام الدنيا، فهو عَلَىٰ كل حال متوعدٌ بهذا الوعيد العظيم".

ومن الناظرين في كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ من قَالَ: إن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يَعذر بالجهل في هَذِه المسائل بلا شك، ولكن الجهل الَّذِي يعذر به هو الجهل الحقيقي؛ لعدم وجود من يُنبهه، لعدم وجود من يعلموه، أَمَّا جهل الإعراض فلا يَعذر به رَحِمَهُ اللَّهُ.

وممن قرر هٰذَا الإِمَام الفقيه المتفنن في علومه الَّذِي لا تقرأ لَهُ شَيْئًا إِلَّا وتخرج بفوائد، هٰذَا الإِمَام الَّذِي لو تعلم طلاب العِلم عليه -أعني ولو بقراءة سيرته والسماع لَهُ- لتهذبت أخلاقهم واندفع كثير من الشر بينهم، ولحسن علمهم، ذلكم الإِمَام الشيخ بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه عَلَىٰ قول الشيخ: "فإنك إِذَا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وَهُوَ جاهل فلا يُعذر الجهل" قَالَ: تعليقنا عَلَىٰ هَذِه الجملة من كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أولًا: لا أظن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرى العذر بالجهل، اللّٰهم إِلَّا أن يكون منه تفريط"؛ يعني إِلَّا أن يكون من الجاهل تفريط، "اللّٰهم إلا أن يكون منه" الضمير هنا يرجع إِلَىٰ الجاهل.

"تفريط بترك التعلم مثل: أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يُعذر بالجهل، وَإِنَّمَا لا أظن ذلك من الشيخ"؛ يعني لا أظن الشيخ لا يرى العذر بالجهل؛ لأن لَهُ كلامًا آخر يدل عَلَىٰ العذر بالجهل، فقد سُئل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عما يُقاتل عليه، وعما يُكفر الرجل به"؛ فذكر الكلام الَّذِي يعني ذكرنا بعظه فيما مضى.

قَالَ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في تخريج كلام الشيخ: يرى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَعذر بالجهل إِذَا كان عَنْ إعراض، أَمَّا الجهل الحقيقي فإن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يعذرُ به ولو كان في المسائل الكبيرة، ولا شك أن من عُرض عليه العِلم فأبى، وتيسر لَهُ العِلم فأبى أن يتعلم التوحيد وأصر إِلَّا أن يبقى عَلَىٰ الشِّرْك، لا شك أن هٰذَا ليس بجاهل، بل هٰذَا معرض. هٰذَا أبى الحق ودفع الحق ولم يُرد الحق.

أَمَّا مَنْ لَم يتيسر لَهُ ولم يجد من يُنبهه عَلَىٰ أن الَّذِي يفعله شِّرْك، وبل يكون قد وجد ممن ينتسب إِلَىٰ العِلم في زمانه ومكانه من يقول لَهُ: إن هٰذَا هو الدين، وإن هٰذَا هو تحقيق عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هٰذَا لا شك أنه جاهل ولم يكن معرضًا.

✍ **والظاهر من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:** أنه يعذره حَتَّىٰ يعلم أَوْ يُبذل لَهُ العِلم فيأبى أن يتعلم، هٰذَا الَّذِي يظهر من كلام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وَأَمَّا الوجه الثَّانِي: فهو تقرير كلام العلماء في العذر بالجهل:

وهم ينقسمون إِلَى ثلاثة أقسام:

١) قسم: يرون أنه لا يُعذر بالجهل في هَذِه المسائل، ويذكرون شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب معهم في هٰذَا الرأي.

٢) وقسم: يرون أنه يُعذر بالجهل في المسائل الخفية، ولا يُعذر بالجهل في المسائل الظاهرة، ويرون كَذَلِكَ أن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يرى هٰذَا الرأي.

٣) وقسم يرون أنه يُعذر بالجهل في هَذِه المسائل، وهم أيضًا يرون أن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يرى هٰذَا.

وإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الدرس القادم سنذكر أقوال العلماء في كلٍّ -أعني في الأقوال الثلاثة-، وننقل نصوصهم؛ لنعرف أن العلماء منهم من ظاهر كلامه هٰذَا القول، ومنهم من ينص عَلَىٰ هٰذَا القول، ومنهم من ينص عَلَىٰ هٰذَا القول.

ثُمَّ نذكر أدلة كل قول إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ نذكر الراجح، وَهٰذَا إِنْ شَاءَ اللهُ سنجعله في مجلس واحد قد يطول المجلس، لكن حَتَّى لا نُفرق الكلام سنجعله إِنْ شَاءَ اللهُ في مجلس واحد، وَهُوَ مجلسنا القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهنا في دينه، وأن يجعلنا محققين للتوحيد، وأن يجعلنا حماةً للتوحيد، وحماةً لدعوة التوحيد من أن يُلصق بها مَا ليس منها، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فإن من أعظم الله عَزَّ وَجَلَّ على عبده المسلم: أن يجعله من عُمار مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي فيه، وصلاةٌ في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»، ويطلب العِلم فِيهِ.

ولطلب العِلم في مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَزيةٌ على غيره؛ فمَنْ طلب العِلم في مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُجي لَهُ الفوز بالأجور المُرتبة على طلب العِلم عمومًا، وعلى طلب العِلم في المساجد خصوصًا؛ فمَنْ غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أَوْ يُعَلِمَه كان لَهُ كأجر حاجٍ تامةً حجته، ومَنْ غدا إلى مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمُهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ» فهذه والله نِعمةٌ عُظمى.

فعلى مَنْ أنعم الله عليه بأن يكون من سُكان المدينة، أَوْ من زوار المدينة عليه أن يغتنم هَذِه الغنيمة العظيمة وأَلَّا يُضيع وقته وَهُوَ في مدينة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما لا ينفعه، وقد أنعم الله علينا بالجلوس في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتعلم العِلم ونُعَلِمُه؛ فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص في ذلك، وأن يكتب لنا أضعاف أضعاف مَا نرجو.

درسنا في فجر السبت كما عهدتم يكون في كتابٍ من كتب العقيدة، ونحن نشرح في هَذِه الأيام كتاب **"كشف الشُبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين.

☜ **وقد بينا فيما مضى:** أن هذا الكتاب مع صِغر حجمه قد حوى قواعد عظيمةً في العقيدة، مَنْ قرأها قويت عقيدته، وقوي يقينه، واندفعت عنه الشُبهات من أصلها، ومَنْ كان على شُبهةٍ وقرأ هذا الكتاب بإنصاف فإن هَذِه فإن هذا الكتاب يُزيل عنه بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ درن الشُبهات.

ولا زلنا مع مسألةٍ عظيمة كَثُر فيها الخوض في زماننا، وكَثُر فيها التراشُق بين الأطراف؛ وسبب ذَلِكَ: أن كثيرًا مِمَّنْ يتكلمون في هَذِه المسألة يظنون أن كلام أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيها قولٌ واحد مما يؤدي إلى إنكار القول الذي يظنون أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لم يقل به أحدٌ منهم.

وقد بينا محل النزاع في هَذِه المسألة.. ثم بينا نصوص شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هَذِه المسألة.. ثم بينا مواقف العلماء في التوفيق بين هَذِه النصوص.. وإن شاء الله في هذا المجلس نُتِم الكلام عَنْ هَذِه المسألة ونختم الكلام عَنْ هَذِه المسألة.

واليوم ننتقل إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ إلى بيان كلام أهل العِلم في هَذِه المسألة؛ أعني مسألة: العُذر بالجهل.

فبعض أهل العِلم؛ جاء عنهم مَا يدل على عدم العُذر بالجهل في مسائل الشرك، وقد تقدم نقل بعض كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا.

ومن العُلماء؛ مَنْ فرق المسائل الظاهرة والمسائل الخفية.. كما تقدم أيضًا في بعض كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"ولهذا يُكَفَر جاحد الأحكام الظاهرة المُجمَع عليها وإن كان عاميًا دون الخفية"** فكون المسائل ظاهرةً وخفية كان هذا موجودًا في كلام أهل العِلم، شيخ الإسلام ابن تيمية بَيَّن أن المسائل الظاهرة التي عُلِم ظهورها وأجمع عليها العلماء مَنْ أنكرها يُكَفَر ولو كان عاميًا دون المسائل الخفية التي قد تخفى على كثيرٍ من الناس.

وقال أيضًا في المقالات الخفية: **"قد يقال: إنه فيها مُخطئٌ ضال لم تقم عليه الحُجة التي يَكفُر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائفٍ منهم في الأمور الظاهرة التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين أن محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِث بها وكَفَر مخالِفَها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك لَهُ ونهيه عَنْ عبادة أحدٍ سوىٰ اللهِ".**

✍ وقال الشيخ بَطين رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُعلقًا علىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

"فانظر إلىٰ تفريقه بين المقالات الخفية والأمور الظاهرة؛ فقال في المقالات الخفية التي هِيَ كُفرٌ: (قد يقال إنه فيها مُخطئٌ ضال لم تقم عليه الحُجة التي يكفُر صاحبها) ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة؛ فكلامه ظاهرٌ في الفرق بين الأمور الظاهرة والخفية؛ فيُكَفَر بالأمور الظاهر حُكمُها مطلقًا ولا يُكَفَر بالأمور الخفية جهلًا".

✍ وقال الشيخ الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "الجهل يكون فيما يمكن خفاؤه وأما الأمور الظاهرة من الدين فلا يُعذَر فيها الجاهل كأمور التوحيد وأمور الصلاة، أما الذي يمكن جهله مثل: بعض صفات الله عَزَّ وَجَلَّ التي خفيت عليه، أَوْ مَا درىٰ أنها من صفات الله فأنكرها؛ مَا يَكفُر بذلك".

ومن العلماء من أهل السُّنَّة مَنْ قال: يُعذَر بالجهل في هذه المسائل.. وسأذكر لكم بعض كلامهم.

✍ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في مجموع الفتاوىٰ: "وكثيرٌ من الناس قد ينشأ في الأمكنةِ والأزمنة التي يندرس فيها كثيرٌ من علوم النبوات حتىٰ لا يبقىٰ مَنْ يبلغ مَا بعث الله به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والحِكمة؛ فلا يعلم فلا يعلم كثيرًا مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك مَنْ يبلغه ذَلِكَ؛ ومثل هذا لا يُكَفر".

☜ **يعني يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ**: أنه إذا انتشر الجهل وقل العِلم ولم يكن هناك مَنْ ينشر العِلم الذي جاء به محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه عند ذاك يُعذَر بالجهل حتى يُعَلَم الناس ويُبَين للناس.

✍ وقال رَحِمَهُ اللهُ في رده علىٰ البكري: "إنَّا بعد معرفة مَا جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات: لا الأنبياء، ولا الصالحين.. ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت.. ونحو ذَلِكَ؛ بل نعلم أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عَنْ كل هَذِهِ الأمور وأن هذا من الشِرك الذي حرمه الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

ثم قال: "لكن لغلبة الجهل وقِلة العِلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتىٰ يتبين لهم مَا جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يخالفه".

✍ وقال في جامع المسائل: "هذا الشرك إذا قامت علىٰ الإنسان الحُجة فيه ولم ينتهي وجب قتله كقتل أمثاله من المشركين" أي: وجب على الإمام أن يقتله، "ولم يُدفَن في مقابر المسلمين، ولم يُصلىٰ عليه، وأما إذا كان جاهلًا لم يبلغه العِلم ولم يعرف حقيقة الشِرك الذي قاتل عليه النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين؛ فإنه لا يُحكَم بكُفرِه، ولا سيما وقد كَثُر هذا الشِرك في المنتسبين إلىٰ الإسلام".

وأما أعلام أهل السُنَة من المعاصرين؛ فقد نص جمعٌ منهم على مسألة: العُذر بالجهل وعلى أنه يُعذَر بالجهل في مسائل الشرك؛ منهم: شيخنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وله تقريراتٌ كثيرة في هَذِه المسألة بعضها سمعناه منه مباشرةً في الدروس التي حضرناها لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وبعضها سمعناه مُسَجلًا لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعضها قرأناه لَهُ مكتوبًا.

➢ ومن أوضح ذَلِكَ: مَا جاء في كلامه عَنْ هَذِه المسألة في شرح هذا الكتاب الذي نشرحه وَهُوَ "كشف الشُبهات"؛ حيث ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن الجهل بالمكفر على نوعين:

النوع الأول: "أن يكون من شخصٍ يدين بغير الإسلام، أَوْ لا يدين بشيء، ولم يكن يخطر بباله أن دينًا يخالف مَا هو عليه؛ فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا" يعني: أنه في الظاهر كافر ونعامله معاملة الكافر فلا نستغفر لَهُ، وإذا مات لا نصلي عليه، ولا ندفنه في مقابر المسلمين.. وقد نقلنا في أول المسألة الإجماع على هذا والاتفاق على هذا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى.

☜ **والقول الراجح:** أنه يُمتَحن في الآخرة بما يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ والله أعلم بما كانوا عاملين، لكنَّا نعلم أنه لن يدخل النار إلَّا بذنبٍ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قال: "وإنما قلنا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا وَهِيَ أحكام الكُفر؛ لأَنَهُ لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يُعطىٰ حُكمه، وإنما قلنا: بأن الراجح أنه يُمتَحن في الآخرة؛ لأَنَهُ جاء في ذلك آثارٌ كثيرة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في كتابه (طريق الهجرتين) عند كلامه علىٰ المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام علىٰ الطبقة الرابعة عشر".

☜ **وهذا الكلام مُهِمٌ جدًّا يا إخوة**؛ لأنَّا نرى أن بعض إخواننا قد يتجارون في مسألة العُذر بالجهل حتى يسوقونها إلى مسألة الكفار الذين لم يُسلِموا أصلًا.

النوع الثاني: "أن يكون من شخصٍ يدين بالإسلام ولكنه عاش علىٰ هذا المُكَفِر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام ولا نبهه أحدٌ علىٰ ذَلِكَ؛ فهذا تجري عليه أحكام الإسلام ظاهرًا" فنحكم بإسلامه في الظاهر ونعامله معاملة المسلمين، **"وأما في الآخرة فأمره إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ"** يعني: أن الله يعلم بحقيقة حاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وقد دل على ذلك الكتاب والسُنَة وأقوال أهل العِلم وذكر أدلةً تدل على ذَلِكَ، ثم ذكر كلام بعض أهل العِلم.

ثم بَيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن القول بالعُذر بالجهل الحقيقي إذا وُجِد الجهل هو مقتضى الأدلة، ونَصُ أهل العِلم ومقتضى العدل ومقتضى الحِكمة.

قال: **"فالأصل في مَنْ ينتسب للإسلام بقاء إسلامه يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضىٰ الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره؛ لأن في ذلك محظورين عظيمين؛ أحدهما: افتراء الكذب علىٰ الله تعالىٰ في الحُكم، وعلىٰ المحكوم عليه في الوصف الذي نبذه به"** أما الأول فواضح: حيث حكم بالكُفر على مَنْ لم يكفره الله تعالى، وأما الثاني: فلانه وصف المسلم بوصفٍ مضاد فقال: إنه كافر مع أنه بريءٌ ذَلِكَ؛ وحريٌ به أن يعود وصف الكفر عليه.

ثم قال: **"فالواجب قبل الحُكم بالتكفير أن يُنظَر في أمرين: الأَمْر الأول: دلالة الكتاب والسُنَة علىٰ أن هذا مُكَفِرٌ؛ لئلا يُفترىٰ علىٰ الله الكذب"** لَا بُدَّ أولًا يا إخوة: من أن يثبت أن هذا القول أَوْ الفعل مُكَفِر؛ وذلك بالدليل.

"الثاني: انطباق الحُكم علىٰ الشخص المُعَين بحيث تتم شروط التكفير في حقه وتنتفي الموانع".

قال: **"ومن أهم الشروط أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت كفره"**.. إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الموضع، وكلامه دقيقٌ مُحَقق أنصح طلاب العِلم بمراجعته في هذا الموطن من **"كشف الشُبهات"** وقراءته.

✍ وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الشرح الممتع: **"لكن مَنْ كان جاهلًا ولم يكن عنده أي شُبهةٍ فيما هو عليه ويعتقد أن مَا عليه حق؛ فهذا لا شك أنه لا يريد المخالفة ولم يُرِد المعصية والكفر فلا يمكن أن نكفره حتىٰ ولو كان جاهلًا في أصلٍ من أصول الدين؛ وبناءً علىٰ هذا يتبين حال من المسلمين في بعض الأقطار الإسلامية الذين يستغيثون بالأموات وهم لا يعلمون أن هذا حرام، بل قد يُلَبس عليهم أن هذا مما يُقرِب إلىٰ الله ولم يأتي أحدٌ ينبههم؛ فهؤلاء معذورون لا يؤاخذون مؤاخذة المعاند".**

والشيخ الإمام صالح الفوزان حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ نص على أن الجاهل يُعذَر في بعض كلامه؛ حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ.

✍ قال حفظه الله مثلًا في شرح "القواعد الأربع" عند تعليقه علىٰ حديث: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»؛ قال: **"قال موسىٰ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] أي: لولا الجهل لعذبهم الله عذابًا شديدًا، لكن الجاهل يُعذَر إذا وقع في الشرك عَنْ جهلٍ حتىٰ يُبَيّن لَهُ ذَلِكَ".**

والشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ نبه على هَذِه المسألة بكلامٍ متين، ونبه على أن أهل العِلم مع اختلافهم في هَذِه المسألة مَا كانوا يتراشقون التهم بسبب هَذِه المسألة، وبَيَّن حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ: أنه يُعذَر بالجهل في هَذِه المسائل، وبَيَّن أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمها الله عَزَّ وَجَلَّ يريان ذَلِكَ.

✍ وقال في ضمن كلامه: **"والمذهب الراجح اشتراط إقامة الحُجة؛ وإذا مَا ترجح لَهُ فعليه أن يسكت ويحترم إخوانه الآخرين فلا يُضَلِلَهُم"** يعني: إذا لم يترجح عنده أنه يُعذَر بالجهل؛ فعليه أن يسكت ويحترم إخوانه الآخرين فلا يضللهم؛ لأنهم عندهم حق، وعندهم كتاب الله، وعندهم سُنة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندهم منهج السَّلَف.

☜ وقد سُئِل حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ: **هل الناس الذين يقعون في الشرك الأكبر في بعض بلاد الإسلام يُعذَرون بالجهل؟ أم أن الحُجة قامت عليهم لانتشار الكتب والشرائط العلمية والمجالس العلمية في الفضائيات التي تبين التوحيد للناس؟**

فأجاب حفظه الله: "مَنْ عرفت أنه فَهِم وقامت عليه الحُجة فلك أن تكفره، وكثيرٌ من الناس لا يفهمون، وكثيرٌ من الناس لا يسمعون، يقرأ القرآن ويسمع الحَديْث لكن لا يفهمه؛ فَلَا بُدَّ من الصبر وعدم التعجل في الحُكم علىٰ الناس".

قال: "وقد أجبت علىٰ هذا السؤال قبل أن تسأل" لأن الشيخ كان تكلم عَنْ قبل السؤال، "وسُقت الآيات الدالة علىٰ أنه لَا بُدَّ من أن يفهم الضال ويفهم منك الحُجج؛ قد يكون عنده كُفر وعنده ضلال فلا تتعجل في تكفيره حتىٰ تُقيم عليه الحُجة، وقد ذكرنا لكم مذهب أحمد وابن تيمية وذكرنا لكم الأدلة".. انتهى كلامه حفظه الله عَزَّ وَجَلَّ.

والشيخ العلامة المربي المحقق الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تكلم عَنْ هَذِه المسألة بكلامٍ عظيم، وبَيَّن أن المنهج الرشيد السديد: أن يُتَريث في هَذِه المسألة، وأَلَّا يُندَفَع إلى التكفير، وضرب أمثلة فيما يتعلق بالصفات وغيرها.

إلىٰ أن قال: "إذا عَلِم وفَهِم مَا جاء به النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلِم الهُدىٰ، وبعد ذلك اتبع غير سبيل المؤمنين بعد أن تُبَيَّن لَهُ وبعد إقامة الحُجة كَفِرْهُ بعد ذلك، أما قبل ذلك ارحمه وارفق به؛ لأَنَّهُ لم تقم عليه الحُجة فالحُجة بالفَهم تقوم لا بمجرد قراءة القرآن كم قارئٍ وحافظ لكتاب الله لا يعلم منه شَيْئًا، ولكن إنَّمَا تقوم الحُجة بالفَهم حتىٰ يتبين لَهُ الهدىٰ ويُعذَر قبل ذَلِكَ؛ وإِلَّا في الحقيقة مَا أجمع عليه السَّلَف: مَنْ شُبه الله بخلقه فهو كافر، ومَنْ نفىٰ صفةً ثابتةً في الكتاب والسُنَة فهو كافر؛ هَذِه قاعدة لكن هَذِه القاعدة هل تُطَبق علىٰ جميع الأفراد؟ لا، ليس الأَمْر كَذَلِكَ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وهم يشكون منه وَهُوَ في الواقع من أكثر الناس شفقةً عليهم: قد يُرتَكب المُكَفِر قوليًا أَوْ فعليًا، فبعضهم يُكَفَر وبعضهم لا يُكَفر، فمَنْ قامت عليه الحُجة يُكَفَر وقبل ذلك لا يُكَفر".

وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قِصصًا تتعلق بهذا إلىٰ أن قال: "السلفيون من أشد الناس تحفظًا في باب التكفير لا يُكَفِرون إلَّا من كَفَره الله ورسوله" وذكر كلامًا متينًا عريضًا في هذا.

ثم قال: "وهذه الأمور تؤكد أن كثيرًا وكثيرًا جدًّا من علماء الكلام وأولئك الذين يطوفون بالأضرحة إنَّمَا أوقعهم في ذلك الجهل وعدم تبين الهدىٰ؛ وَلَا بُدَّ من التأني معهم والصبر معهم حتىٰ

يتبين لهم الهدىٰ؛ فيُحكَم بكفرهم بعد ذلك كُفرًا بواحًا، وقبل ذلك كُفرُهم كُفرٌ دون كُفرٍ، عملهم كُفر لكن ليسوا بكافرين، فكم من قائلٍ للكفر وليس بكافر" وذكر أمثلةً كثيرة.

الشيخ علامة اليمن مُقبِل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قال في هَذِه المسألة: "قد اختلف أهل السُنَّة أنفسهم في هَذِه القضية في شأن العُذر بالجهل في التوحيد؛ والذي يظهر: أنه يُعذَر بالجهل؛ لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]".

ثم قال: "فهذه الأدلة تدل علىٰ أنه يُعذَر بالجهل والذين لا يقولون بالعُذر بالجهل ليس لهم أدلةٌ ناهضة".

المقصود من هذا يا إخوة: أن نعرف أن من أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة مَنْ نص على أنه لا يُعذَر بالجهل في هَذِه المسائل، ومن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة مَنْ نص على أنه يُعذَر بالجهل في هَذِه المسائل؛ فَلَا بُدَّ من أن نعلم: أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ليسوا على قولٍ واحدٍ في هَذِه المسألة.

ثم أذكر رأيي في هَذِه المسألة من ثلاثة وجوه:

- **الوجه الأول:** من الناحية العلمية.
- **الوجه الثاني:** من الناحية العملية.
- **الوجه الثالث:** من الناحية الدعوية.

أما الوجه الأول؛ وَهُوَ من الناحية العلمية: فالذي يظهر والله أعلم أن مسائل هنا علىٰ أربعة أقسام:

القسم الأول: مسائل لا يُتَصور الجهل بها؛ كمسائل: سب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسب الدين؛ فهذه لا يُتَصور أن يجهل جاهلٌ أنها مُحَرمة، أما كونها كُفرًا أَوْ ليست كُفرًا فهذا لا أثر لَهُ، لكن لا يُتَصور أن جاهلًا يجهل أنها مُحَرَمة؛ فهذه مَنِ وقع فيها يُكَفَر بعينه، إلَّا إذا كان مُكرهًا أَوْ كان مغلوبًا على عقله، إذا كان مُكرهًا على سب الله عَزَّ وَجَلَّ أعوذ بالله أَوْ على سب رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعوذ بالله أَوْ على سب الدين نعوذ بالله؛ فإن الإكراه يرفع عنه الحُكم، أَوْ كان مغلوبًا على عقله كأن كان سكرانًا، أَوْ غضب غضبًا شديدًا أطبق عليه حتى صار لا يعلم مَا يقول؛ فالذي لا يعلم مَا يقول لا يؤاخذ بقوله.

القسم الثاني: مسائل ظاهرة يغلب على الظن العِلم بها؛ وهذه المسائل لا يُقبَل فيها دعوى الجهل حتى يثبت الجهل؛ فإن ثبت الجهل كان عُذرًا لكنَّا لا نقبل الجهل فيها إلَّا إذا تحققنا من وجوده؛ لأن الأصل: العِلم بهذه المسائل.

القسم الثالث: مسائل خفية قد تخفى على كثيرٍ من الناس؛ فهذه تُقبَل دعوى الجهل بها، ولا يُكَفَر الجاهل بها.. والثاني والثالث قد يكون نسبيًا؛ فقد تكون المسألة ظاهرةً في بلد وخفيةً في بلد، قد تكون المسألة ظاهرةً في زمن وخفيةً في زمن.

القسم الرابع: مسائل كثُر تلبيس أهل الباطل فيها حتى صار المعلوم عند الناس في كثيرٍ من البلدان، وصار كثيرٌ من المسلمين يعتقدونها حقًا وتوحيدًا وهم مسلمون؛ فهؤلاء لا يُكَفَرون حتى تُقام عليهم الحُجة وحتى يُعَلموا وحتى يُبَيّن لهم الحق وتُدفَع عنهم الشُبهة.

هذا مقتضى النصوص، ومقتضى كلام كثيرٍ من أهل العِلم، ومقتضى العدل والحِكمة.

أما الوجه الثاني؛ وَهُوَ من الناحية العملية: أعني مِنْ جهة عمل الإنسان: فإن مَنْ ارتكب مُكَفِرًا وثبت أنه قد ارتكب المُكَفِر وكان ذلك من المسائل الظاهرة؛ فإنه بالنسبة للأعمال التي تعود إلى الإنسان فإنه يُعامِله معاملة الكافر؛ فلا يستغفر لَهُ، ولا يصلي عليه.. ونحو ذَلِكَ.

وأما بالنسبة للأحكام المتعدية كالتفريق بينه وبين زوجته، وحِرمانه من الميراث.. ونحو ذَلِكَ؛ فهذا لَا بُدَّ فيه من حُكم حاكم.. وهذه طريقة الفقهاء.

الفقهاء عندهم: أن مَنْ ثبت إسلامه لا تُرَتَب عليه أحكام الكُفر إلَّا إذا حَكم حَاكِمٌ بكُفرِه؛ فلا يُفرِق بينه وبين زوجته إلَّا إذا حكم حاكمٌ بكفره، ولا نحرمه من الميراث إلَّا إذا حكم حاكمٌ بكفره.. كما تقدم معنا في **"دليل الطالب"** في درس البارحة، وأما في الباطن فأمره إلى الله، ونحن نتكلم هنا عَنْ الجاهل، في الباطن أمره إلى الله والله أعلم بحقيقة حاله.

أما الوجه الثالث؛ وَهُوَ من الناحية الدعوية: فأرى والله أعلم: أنه لا ينبغي الاشتغال بهذه المسألة لا من جهة الإثبات ولا من جهة النفي؛ لأن القول بأنه لا يُعذَر بالجهل في هَذِه المسائل إذا نُشِر؛ يُنَفِر الناس من دعوة التوحيد، ويُكَرِه الناس في دعوة التوحيد، ويمنع وصول دعوة التوحيد إلى

الناس، ويُجرِأ المعتدين في التكفير على هَذِه الجُرأة؛ فيُكَفِرون الحكام بهذا، ويُكَفِرون عوام المسلمين بهذا؛ وهذا سببٌ لفسادٍ كثيرٍ كبير.

☜ **ومن جهةٍ أخرىٰ**: أن القول بالعُذر بالجهل في هَذِه المسائل لو انتشر فَإِنَهُ يُهوِن الكفر في نفوس كثيرٍ من الناس، ولربما يعني بقي على مَا هو عليه؛ لأن المسألة اختلف العلماء هل يكفر فاعلها جهلًا أَوْ لا يكفر.. ونحو ذَلِكَ؛ وهذا يُضاد مقصود الشارع.

☜ **فحقيقٌ بنَا**: أن نُعَلِم الناس التوحيد ونفصل ذلك، ونُعَلِم الناس الشِرك ونُفَصِل ذلك ليجتنبوه، ونعظم شأن التوحيد، ونعظم قُبح الشرك، وأن نعتني بهذا الأَمْر، وأن نشتغل به، وأن ندعو الناس بهذه الطريقة، وألَّا نشتغل بتلك المسألة.

الأسئلة

السؤال الأول: هل ينطبق على مَنْ يرى العُذر بالجهل في مسائل الشرك أن مَنْ لَم يُكَفِر الكافر أَوْ شك في كفره فهو كافر؟

والجواب: لا، قطعًا؛ فإن القاعدة أعني قاعدة: **"أن مَنْ لَم يُكَفِر الكافر أَوْ شك في كُفرِه فهو كافر"** شرطها عند أهل العِلم: أن يعلم أنه كافر، وألَّا يعتقد وجود مانعٍ يمنع من تكفيره، فإذا عَلِم أنه كافر ولم يعتقد وجود مانعٍ يمنع من تكفيره فلم يكفره أَوْ شك في تكفيره فإنه يكفر، أما إذا لم يعلم أنه كافر فإنه لا يُكَفَر بعدم تكفيره حتى يُعَلم أنه كافر، وإذا كان يعتقد بوجود مانع يمنع من تكفيره فإنه لا يُكَفَر إذا لم يكفره؛ لأن هذا هو الواجب عليه بحسب اعتقاده، مَنْ وجود المانع حَرُم عليه التكفير، فهو فاعلٌ مَا يجب عليه.. طبعًا يا إخوة هنا يذكر العلماء أن هَذِه المسألة كانت معروفة عند أهل العِلم من قديم، وما كان العلماء الذين يرون عدم العُذر بالجهل يُكَفِرون مَنْ لا يُكَفِر الجاهل.

وأما السؤال الثاني: هل يكون مَنْ يُعذَر بالجهل في هَذِه المسائل من المُرجئة كما نسمعه كثيرًا على ألسنة بعض الناس؟

والجواب: إن الذي يعرف أصول العقيدة يُدرِك جازمًا أنه لا يكون مُرجئًا، فمَنْ كان يعتقد أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الكفر ليس كفر جحود فقط؛ فإنه لا يمكن أن يأتيه الإرجاء أبدًا، فمن عَلِمْنَا من أصوله أنه يقول مَا ذكرنا ويعتقد فيقول: إن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل، ويقول: إن الإيمان يزيد وينقص، ولا يَقصُر الكفر على كفر الجحود فقط؛ عَلِمْنَا

أنه قد بَرِئ من الإرجاء ولا يجوز أن يُرمى بالإرجاء، وهذا أمرٌ لَا بُدَّ من فهمه حتى لا تختل الأصول..

ولتعلم أيها المؤمن: أن الرمي بالإرجاء سَبٌّ من أعظم السَب و «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» فما لم تتيقن أن الشخص مستحقٌ لهذا الوصف فإياك أن تُقدِم على وصفه.

والسؤال الثالث: هل يُوصَف القائلون بعدم العُذر بالجهل بأنهم تكفيريون؟

والجواب: أن مَنْ يقول بعدم العُذر بالجهل للأدلة التي فَهِم منها هذا، ولكلام بعض أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يُوصَف بأنه تكفيريٌّ، بل يقال: إنه مُخطئٌ في رأيه.

☜ **على أني أُنبه إلى أن:** بعض التكفيريين يستغلون هذا الكلام وينشرونه من أجل تقرير مذهبهم الفاسد في الاعتداء في التكفير؛ هَذِه المسألة طرحناها، ولولا الخوف من الإملال لفصلنا فيها أكثر رحمةً بالأمة ودلالةً لِمَنْ يريد أن يعلم، وأما مَنْ أعرض فلا حول ولا قوة إلَّا بالله.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدينا والمسلمين صراطه المستقيم، وأن يثبتنا عليه.

بهذا نكون انتهينا من هَذِه المسألة، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٨)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء! نجتمع في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم السبت، نجتمع على عِلم عظيم ينبغي على كل مُسلمٍ أن يعتني به، وكيف لا يكون ذلك كذلك! وَهُوَ عِلم يتعلق بأعظم المأمورات، وأول الحقوق وأعلى الحقوق، ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة؛ يتعلق بعِلم التوحيد.

حيث نشرح في هذا الدرس كتابًا صغيرًا في حجمه، عظيمًا في نفعه، كبير الفائدة، عظيم العائدة، مَا أحوجنا إليه في هَذِهِ الأيام التي كَثُرَت فيها شُبهات المخالفين ووصلت إلى الناس بواسطة هَذِهِ الأجهزة التي في أيديهم؛ فصار المخالفون لدعوة الأنبياء والمرسلين يُلقون شُبَهَهُم هنا وهناك، والناس يسمعون لها فما أحوجنا إلى أن نعرف دفع هَذِهِ الشُبهات.

وهذا مَا يوجد كثيرٌ منه؛ أعني: كيف ندفع شبهات المُبطلين على توحيد العبادة في هذا الكتاب الذي معنا، أعني كتاب **"كشف الشُبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

< وهذا الكتاب كما علِمنا على قسمين:

القسم الأول: في مُقدَمَةٍ تُكتَب بماء العين لِما فيها من غزير العِلم، وعظيم النفع، مَن عرفها تيقن من صحة دعوة التوحيد، وازداد يقينه بتوحيده، واندفعت عنه الشُبهات من أصلها.. وقد قرأنا كثيرًا منها وبَيَّنا أنَّا نستخلص منها ثمانية أصول ولا زلنا نقرأ فيها.

والقسم الثاني: في بيان رد الشُبهات على توحيد العبادة.. وَهُوَ مَا سنصل إليه إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ كَمَا ظَنَّ الكُفَّارُ خُصُوصـًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

(الشرح)

هذا مُتَعَلِقٌ بالأصل السابع الذي استخلصناه من هَذِه المُقدمة؛ وَهُوَ: أن علامة صحة التوحيد الخوف من الشِرك، المُوحِد يعلم أن توحيده كَنزٌ عظيم، وأنه تجب العناية بالتوحيد.. ومن عنايته بالتوحيد: أنه يخاف من الشِرك، فإن الإنسان قد يقول كلمةً يظن أنها تُقربه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ تهوي به في النار عياذًا بالله من ذَلِكَ.

فالمُوحِد يحذر الشِرك دائمًا ويسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجنبه الشِرك؛ كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ المُوحِد الحنيف الذي أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أن نتبع مِلته عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاف على نفسه وعلى ذريته الشِرك؛ فينبغي أن يكون هذا دَيدنًا للمؤمن.

إذا كان الإنسان قد يقول الكلمة يظن أنها قُربَة، وحقيقتها أنها شِرك وكُربة؛ فكيف لا يخاف الشرك، وكيف لا يحذره وهذا الخوف خوفٌ يدعو إلى الحذر وإعمال الأسباب التي يبتعد بها المؤمن عَنْ الشِرك وأهله؛ ومن ذَلِكَ: تعلُم التوحيد ومعرفة أدلته، ومعرفة الشِرك حتى يحذره المؤمن.

وإذا كان أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم مع نبيٍ من أنبياء الله عَزَّ وَجَلَّ قالوا لَهُ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ فكيف بغيرهم؟!

وإذا كان أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَنْ كان حديث عهد بإسلام قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» فكيف يستبعد الإنسان الشِرك عَنْ نفسه، وكيف يغفل عَنْ نفسه؟!

لا شك أيها الفضلاء! أن الشيطان أحرص مَا يكون على أن يُسقِط الإنسان في الشِرك، هبط إبليس إلى الأَرْض مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحكمةٍ عظيمة، وكان الناس على التوحيد، وظل إبليس يوسوس لهم راجيًا أن يُوقِعَهم في الشِرك وظلوا عشرة قرون على التوحيد وإبليس لا ييأس منهم، ولا يَفتُرُ عَنْ وسوسته حتى ظفر منهم بباب الغلو في الصالحين، وأخذهم إلى الشِرك خُطوةً خُطوة، فكيف نغفل عَنْ أنفسنا في باب التوحيد، والحذر من الشِرك ونحن ندرك هذا الأَمْر العظيم؟!

إذًا أيها المُوحِد! عليك أن تفرح فرحًا شرعيًا بتوحيدك أن هداك اللَّهِ، وعلمك اللَّهِ، وبَصَّرك اللَّهِ، وأنقذك الله، وأنت ترى كثيرًا من الناس يَتَرَدون في الشِرك، أُناسٌ معهم شهادات عُليا، أُناسٌ يُدَرِسون الناس.. ومع ذَلِكَ: تجد في كلامهم الشِرك، وتجد في أفعالهم الشِرك، والله أنقذك من هذا وجعلك مُوحِدًا على الجادة على صراط الله المستقيم؛ ينبغي أن تفرح بفضل الله عليك، ونعمة الله عليك، وأن تعتقد اعتقادًا جازمًا أن هذا إنَّمَا هو من فضل الله والله ما نلته بذكائك، والله مَا نلته بعلمك، والله مَا نلته بنسبك، وإنما هو محض فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعليك أيضًا: أن تكون خائفًا من الشِرك حَذِرًا منه، فَمَنْ يعلم أن عدوًا يتربص به يريد قتله يكون حَذِرًا منه دائمًا ولا يغفل عَنْ نفسه.

(المتن)

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

(الشرح)

☜ **سُنَة الله في خلقه لحِكمةٍ عظيمة**: أنه مَا قام قائمٌ يدعو إلى التوحيد، وإلى الحق إلَّا كان لَهُ مُخالفون يقابلونه، ويردون قوله، وينالون منه ومن دعوته، يُعَاضِد بعضهم بعضًا مع اختلاف مشاربهم، لكن يجمعهم مخالفة الحق، وإرادة كسر الحق ودفعه، فخير الناس وأخلص الناس وأحسن الناس بَيانًا رُسُل الله عَلَيْهِم السَّلَامُ الذين يُوحَى إليهم، وجاءوا بالحق المُبين وبينوه وبلغوه البلاغ المُبين، ودل على ما يقولون: الوحي، والآيات الكونية، والآيات النفسية.. وغيرها؛ ومع ذَلِكَ كان لهم

أعداء يخالفونهم فيما يدعون إليه، ويقابلونهم ويَعضُد بعضهم بعضًا، ويُوحِي بعضهم إلى بعض مَا يظنونه عِلمًا يزخرفونه بحُسن البيان ليصدوا الناس عما يأتي به رُسُل الله عَلَيْهِم السَّلَامُ.

كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ هَذِه كُلية تامة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ يقول العُلماء: كل بعيدٍ عَنْ الخير شيطان؛ لأن الشيطان معناه من البُعد، فكل بعيد عَنْ الخير شيطان، فشياطين الإنس هم البعيدون عَنْ الخير من الإنس، وشياطين الجن هم البعيدون عَنْ الخير من الجن، ورأسهم الذي يقود الجميع: إبليس.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ فهم يزخرفون مَا يقولون، فقولهم له رونقٌ يغرون به قُصار النظر ففي كلامهم زُخرفٌ، وجمالٌ، وبلاغةٌ، ورونقٌ، لكنه في الباطل يخدعون الناس الجُهال بأساليبهم ويغرونهم.

وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، فهؤلاء الأعداء للرُسُل المُتعاضدون مع اختلافهم مجرمون؛ لأن همهم دفع الحق والحيلولة بينه وبين الناس ويستعملون في ذلك كل طريقٍ؛ فتارةً يُشوِهون الرُسُل برميهم بما يعلمون هُم أن الرُسُل بُرئاءُ منه.

فقد يقولون عَنْ الرسول: إنه ساحر، وقد يقولون عنه: إنه مجنون، وقد يقولون عنه: إنه يأخذ عَنْ الجن.. ونحو ذلك من الألقاب التي يعلمون أن الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ سليمون منها، وتارةً يشوهون الحق نفسه بأن يصوروه على غير صورته، وتارةً يضعون الشُبهات الحائلة بينه وبين الناس.. فهذه ثلاثة أساليب للمجرمين أعداء الرُسُل.

وكذلك لأعداء أتباع الرُسُل؛ مَا من داعٍ يدعو إلى الحق، يدعو إلى السُنَة، يدعو إلى الرجوع إلى صافي الدين إلَّا ويقوم لَهُ أعداء يخالفونه ويتخذون هَذِه الأساليب الثلاثة وكلها إجرام، تشويهٌ للداعية بنبزه بألقاب تُنَفِر الناس عنه، أَوْ ربطه بأمورٍ تجعل الناس يكرهونه وَهُوَ بريءٌ من ذَلِكَ، أَوْ بتشويه دعوته والزعم أنه يخالف الإجماع، ويخالف أكثر المؤمنين.. ونحو ذَلِكَ، أَوْ بوضع الشُبهات وإلقائها على الناس بأساليب متنوعة لتحول بينهم وبين الحق، هؤلاء قُطاع الطُرق المجرمون الذين يحولون بين الناس وبين الخير والحق والهدى.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ في آخر الآية: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ فيا أيها الموحد! يا أيها الداعي إلى الحق! لا تخف ولا تحزن، ولا تفتر عَنْ دعوة الحق فإنك مع اللَّهِ.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ يهديك إلى الحق.

﴿وَنَصِيرًا﴾ يُقدِرُك على كسر الباطل.

فلا يهولنك أيها الداعي إلى الحق ما تراه وتجده من الأعداء والمخالفين، وكُن على يقينٍ من ربك ومن نصر الله عَزَّ وَجَلَّ لجُنده، ابذل العِلم النافع محتسبًا الأجر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تلتفت إلى كثرة المُخالفين.

➢ وإذا تيقن المؤمن المُوحِد الداعِ إلى التوحيد وإلى كل حق من هَذِه القضية اليقينية؛ فإن هذا يثمر لَهُ أمورًا:

الأمر الأول: أن يثبت على دعوته ولا ينقص عنها لكثرة المُخالفين، وأن يصبر ويُصابِر ويرابط، المُوحِد السُني الذي أكرمه الله بهذه الكرامة العظيمة إذا عَلِم أن الرُسُل أشرف المُوحِدين كان لهم أعداء ومُخالِفون كُثر؛ فإنه يثبت على توحيده وإن خالفه أكثر الناس، وإن خالفه أكثر أهل البلد، وإن كان داعيةً إلى التوحيد وإلى الحق يثبت عَلَى دعوته ولا ينقص عَنْ ذلك أبدًا ولا يَفتر، بل يصبر ويُصابِر ويرابط متقيًا الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ مُوقِنٌ أنه على فلاح، وأنه يدعو إلى الفلاح.

الأَمْر الثاني: أن يُوَطِن نفسه على مَا سيلقاه من خِلافٍ وأذى، أن يُوَطِن نفسه على أنه سيجد مُخالفين وسيؤذونه ولا يتقون الله فِيهِ.. فيُهيئ نفسه لذلك.

الأمر الثالث: أن يتسلح بسلاح العِلم الصحيح المبني على الكتاب والسُنَة بفهم السلف الصالح الذي يقرر به الحق ويدفع به الشُبهات.

الأمر الرابع: أن يتيقن أن الحق مهما كان وضوحه لا يلزم الاتفاق عليه، فالعِبرة بالحقِ لا باتفاق الناس عليه، ولا بمواقِف الناس منه، وسُنَة اللَّهِ الجارية: أن أهل الحق أقل من أهل الباطل، فأكثر الناس يكونون في ضلال، وفي مُخالفةٍ للحق.

الأَمْر الخامس: أن يتيقن أن صاحب الحق إنَّمَا يتسلح بالحق، ولا يلزم أن يكون معه مَا يؤيده مما يراه أهل الدنيا قوة كما يظن المُبطِلون.

يا إخوة! أهل الباطل يقيسون الحق بموازين الدنيا فيقولون: نحن على الحق؛ لأن أكثر أهل الأَرْض على هذا، أَوْ يقولون: لأن معنا كذا وكذا.

أما أهل الحق فيَزِنون الحق بالحق، هل هم على مَا كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؟ فإن عرفوا ذلك بالدليل علموا أنه الحق، المبطلون قالوا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

المبطلون قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

☜ **مقاييس أهل الباطل**؛ مقاييس دُنيوية: مال، أمور دُنيوية يقيسون بها الحق ويزعمون بها أَنْهُم على الحق.

☜ **أما أهل الحق**؛ فإن المقياس عندهم: هو مَا جعله الله مقياسًا للحق، مَا كان عليه الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ، فإذا عرف المسلم الحق تسلح به وعرف أنه به قوي وأنه على الحق.

(المتن)

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ.

(الشرح)

المخالفون للتوحيد ودعوة التوحيد الذين يدعون إلى الشِرك باسم الإسلام، والمخالفون للحق كلمَا ذُكِر الحق خالفوه، عندهم حُجج يُزخرِفونها وإن كانت في داخلها ضعيفة، لكنهم يُزَينونها، ويلمعونها، ويلمعون أصحابها، يُثني بعضهم على بعض، العَالِم فلان، والعَالِم فلان، والعَالِم فلان، ويُزخرِفون الأقوال، وعندهم كُتب تُكتَب وتقرر باطلهم.. وهذا موجودٌ في الواقع قديمًا وحديثًا.

فيا أيها الموحد! يا أيها الداعي إلى الحق! لا تظن أنك تقابل قومًا ليس عندهم حُجَج، ليس عندهم كُتب، بل عندهم حُججٌ مُزَخرَفة، وعندهم كُتبٌ مُؤلَفة.

(المتن)

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

(الشرح)

انظر: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ البَينة: هِيَ التي تُظهِر الحق وتوضحه.

﴿ فَرِحُوا ﴾ أي: أن المخالفين للرُسُل، ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ فعندهم عِلمٌ.

➢ **وَهُوَ عِلمٌ من جهتين:**

الجهة الأُوْلَى: من جهة ظنهم؛ فهم يظنونه عِلمًا وإن كان باطلًا في حقيقته.

والجهة الثانية: من جهة زخرفتهم لَهُ، وتحسينهم له، وتزيينهم لَهُ؛ وإن كان هو في الحقيقة ليس عِلمًا بل هو أجهل الجهل، لكن من هاتين الجهتين هو عِلمٌ.

وانظر إلى المُقابَلة مَا مع أهل الحق بَينات، وما مع الذين يخالفونهم شيءٌ يظنونه عِلمًا يزخرفونه ويزينونه وإن كان في حقيقته ليس كَذَلِكَ.

(المتن)

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ.

(الشرح)

يعني: أيها المُوحِد! إذا عرفت هَذِه الحقيقة اليقينية، أيها الداعي إلى الحق إذا عرفت هَذِه الحقيقة اليقينية، وعرفت يقينًا أن الطريق إلى الله لَا بُدَّ لَهُ من أعداء قاعدين عليه، والله صراط الله المستقيم الواضح البَيِّن على جنبتيه الأعداء من شياطين الإنس والجِن بالشُبهات والشهوات يدعون إلى مخالفته، وعلى رأسهم إمامهم إبليس.

هؤلاء الأعداء متكلمون بالألسنة ليسوا خُرسًا، بل هم متكلمون عندهم عِلمٌ على مَا وصفنا، وعندهم حُجَجٌ مُزَخرَفة؛ إذا تيقنت ذَلِكَ: فالواجب عليك أن تحذر من الأعداء؛ وذلك: بأن تُعرِض عنهم ابتداءً وأَلَّا تسمع لهم، إذا استطعت أَنْ لَا يدخل سمعك إلَّا الحق فافعل، لا تُمكِن مبتدعًا من أذنك ولو على سبيل الفضول، كان السلفُ إذا سمعوا مُبتَدِعًا يتكلم، قالوا لِمَنْ معهم: أغلِقوا آذانكم.

☜ **ولذلك أنا أقول يا إخوة:** مقاطع المخالفين للتوحيد، المخالفين للحق؛ لا يجوز لعامة المُوحِدين أهل السُنَة أن يستمعوا لها ولو على سبيل الفضول نريد أَن نرى مَاذَا يقولون، نريد أن نضحك منهم؛ فَإِنَّهُم يُزَخرِفون الكلام، أما أهل العِلم والبصيرة فلا بأس أن يعرفوا مَا يقوله المُبطلون ليردوه، ويكسروه، ويدفعوا شره عَنْ عامة المسلمين.

➢ **فإذًا أيها المُوحِد! أنت في نفسك عليك أن تلزم أمرين:**

الأَمْر الأول: أن تتعلم التوحيد بأدلته، وأن تتعلمه من أهل العِلم المعروفين كما في كتاب "التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الأَمْر الثاني: أن تحمي سمعك وقلبك من شُبهات المخالفين للتوحيد وألَّا تُمَكِنهم من نفسك، أما أنت أيها الداعي إلى التوحيد: فينبغي عليك مع الأَمْر الأول وَهُوَ تعلم التوحيد وتعلم أدلته وأوجه دلالتها: أن تعرف مَا عند أهل الباطل من شُبه وحُجَج حتى تستطيع كسرها، وردها.

➢ **والمعلوم يا إخوة! أن أهل الباطل عندهم حُجَج على نوعين:**

النوع الأول: حُجَجٌ صحيحةٌ في ذاتها؛ هِيَ حُجَةٌ عليهم لا لهم.

أهل الباطل أيًا كانوا عندهم من الحجج نوعان؛ النوع الأول: حُجَجٌ صحيحة: إما آية، أَوْ حديث صحيح يحتجون بها وَهِيَ عليهم وليست لهم، فمَنْ تعلم يستطيع أن يقلب حُجَجهم عليهم.

كما احتج واحدٌ من أهل الإشراك على رجلٍ مُوحِد، وقال: الشهداء أحياء عند ربهم ونحن نجعلهم وسائط بيننا وبين الله وهم أحياء؛ فقال لَهُ المُوحِد: هم أحياء يَرزقون أَوْ يُرزقون، فقال: يُرزقون كما قال اللَّهِ، قال: إذًا مَن الذي يرزقهم؟ قال: اللَّهِ، قال: إذًا أطلب من الذي يرزقهم، أطلب من الذي يَرزق لا من الذي يُرزق.

مَا من حُجَةٌ صحيحة يحتج بها مُبطِلٌ على أي باطل إلَّا وَهِيَ عليه وليست لَهُ؛ فينبغي على الداعية إلى التوحيد أن يتعلم هذا.. ومن أصول تعلم هذا أن يقرأ للعُلماء الذين مارسوا هذا كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حتى تكون عنده مُكنَة من الباب.

النوع الثاني من حُجَج أهل الباطل: حُجَجٌ ليست صحيحة، وهذا كثيرٌ عندهم؛ كأن يحتجوا بأحاديث موضوعة، أَوْ ضعيفة، أَوْ بأمور يدفعها العقل؛ وهنا الداعية إلى التوحيد يُبيّن بهذا الاحتجاج منهم جهلهم، ويكشف جهلهم، ويكشف كلامهم الساقط.

عندما يأتي رجلٌ من أهل الباطل ويقول: أنتم تأخذون علمكم عَنْ الأموات، ونحن نأخذ علمنا عَنْ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما يأتي واحد منهم ويقول: عِمامتي هَذِه أخذتها بالسند ليس بيني وبين رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا رجلٌ واحد هو أبي، مَا شاء الله أبوه صحابي وَهُوَ تابعي؛ لأن أباها أخذها من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رجل يعيش الآن معنا حي موجود الآن.

بل سمعت أحدهم يقول: عِمامتي هَذِه صحابية، والله لا عقل له، الموحد هنا يتعلم؛ أعني: الداعي إلى التوحيد يتعلم كيف يكشف بهذه الحُجج جهل أولئك المتكلمين، وسقوط دعاواهم، وأنَّهُم لا يبنون دينهم على شيء، وإنما يبنونه على هواء، على باطل.. فالواجب هذا.

إذًا عرفنا مَا يجب على المُوحِد، وما يجب على الداعي إلى التوحيد، مَا يجب لَمن هو على الحق، وما يجب على مَنْ هو داعي إلى الحق.

(المتن)

فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

(الشرح)

فإبليس وأعوانه يقعدون للناس على الصراط المستقيم، ولا يتركون طريقًا يستطيعون الوصول منها إلى إغواء الناس إلَّا فعلوه: باب الشُبهات، باب الشهوات.. وإن كانوا أحرص على باب الشُبهات؛ لأن الشُبهات تُفسِد الدين مباشرة وتصعب التوبة منها.

☜ **إذًا الآن الشيخ صور لنا صورة:** أنت أيها المُوحِد الداعي إلى التوحيد، الداعي إلى الحق؛ ستواجه أعداءً، ستواجه مخالفين، عندهم عِلمٌ، حُجَجٌ، كُتبٌ يعضد بعضهم بعضًا وهذا شأن أهل الباطل على مر العصور يتحدون ضد أهل الحق وإن اختلفت مشاربهم.. وعرفت مَا يجب عليك؛ سيلتفت الشيخ الآن إلى قلبك: مَاذَا تُثمر هَذِه المعرفة في قلبك؟ هل يهولك هذا، ويُخيفك هذا، ويجعلك هذا تتردد، أم أن قلبك يكون مَليئًا باليقين؟ هذا مَا يبينه الشَّيْخِ.

(المتن)

وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَى اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَى حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ؛ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

(الشرح)

إذا أقبلت على اللَّهِ، وأخلصت لله، وقلت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتسلحت بحُجَج الله من القرآن والسُنَة؛ فأنت القوي بإذن اللَّهِ وبقوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكُن قوي القلب على يقين، لا تخف من كثرة الأعداء، ولا تحزن مما تلقاه من أذى، فكيد مُخالفيك ضعيف وحُجَجك قوية، أنت تأخذ حُجَجك من الكتاب والسُنَة من وحي اللَّهِ، وهم إنَّما يكيدون بكيد الشيطان وكيد الشيطان ضعيف؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ هو في حقيقته ضعيف؛ فإذا قُوبِل بالحُجَج انهار.

فحُجَج أهل الباطل مهما زينوها داحضة، زاهقةٌ، باطلةٌ أمام عِلم أهل الحق، أمام حُجَج أهل الحق، ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، وحُجَج أهل الحق ناهضة، قائمة، مستقيمة، وتأييد الله لهم ظاهر.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومَن كان الله معهم فَإِنَهُم منصورون.

(المتن)

وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

(الشرح)

العامي المُوحِد الذي عَرف التوحيد بأدلته، ليس مُراد الشيخ بالعامي هنا الجاهلة، وإنما مُراده: العامي المُوحِد الذي عرف التوحيد بأدلته، لم يكُن من العُلماء فهو عامي، لكنه مُوحِدٌ، على يقينٍ من توحيده، عرف التوحيد بأدلته مع سلامة فطرته.

(يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ) نعم والله، المُوحِد منصورٌ بنصر الله لَهُ، فلو اجتمع عليه ألف عَالِمٍ من علماء الباطل لغلبهم بتوحيده وعلمه بالتوحيد وفطرته.. وهذا معلوم.

☜ **ولذلك يا إخوة**: لما دخل الهمداني وكان الجويني يُقرِر أن الله في كل مكان وينفي أن الله في السماء، فما كان من الهمداني إلا أن قال لَهُ: فما تقول في انجذاب قلب المحتاج إلى السماء، ورفعه يديه عند حاجته؟ دليل الفِطرة، فقال الجويني: حيرني الهمداني حيرني الهمداني وأصبح يضرب على رأسه.

☜ دخل أعرابيٌ في العراق المسجد وكانت ناقته قد سُرِقَت منه فأخذ يبحث عَنْ شيخ أَوْ رجل صالح ليدعو الله لَهُ أن يردها إليه، فوجد شيخًا من المعتزلة وحوله بعض طلابه، فذهب إليه وطلب منه أن يدعو لَهُ أن يرد الله ناقته، فقال هذا الشَّيْخِ: اللَّهم إن دابة هذا العبد قد سُرِقَت منه وأنت لم تُرِد سرقتها اللَّهم فارددها إليه، قال: إليك عني مَا أريد دعاءك، قال: لِمَ؟ قال: إله عاجزٌ تُسرَق الدابة وَهُوَ لا يريد سرقتها لن يستطيع ردها، فِطرة تهدم علوم المبطلين.. فلا شك في هذا يا إخوة.

ولذلك ترى المُوحِد العامي الذي عرف التوحيد وتيقن منه على يقينٍ وثباتٍ أكثر من عُلماء أهل الباطل في باطلهم، مهما كان أهل الباطل في تردد، وهم يستيقنون في قلوبهم أَنْهُم على باطل، أما أهل التوحيد وأهل الحق تجد أَنْهُم على يقين وهم من جُند الله وجُند الله طال الزمان أَوْ قَصُر هم الغالبون.

(المتن)

فَجُنْدُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

(الشرح)

نعم يا إخوة! الجهاد في سبيل الله قد يكون بالحُجَج والبيان لتقرير الحق ودمغ الباطل وهذا هو الجهاد الكبير؛ قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أي: جاهدهم بالقرآن جهادا كبيرًا، كما يكون الجهاد بالسيف والسِنان على الوجه المشروع كما هو معلومٌ في كتب الفِقه.

وإذا أخلص المجاهدون لله واتبعوا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعدوا كما أمرهم الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] كتب الله لهم الغلبة ونصرهم على أعدائهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١].

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

لا نشك في هذا مقدار شعرةٍ ورب الكعبة، إن عَزَّ وَجَلَّ ينصر جُنده، إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينصر المؤمنين إنْ هُم نصروه؛ فهم الغالبون.

وإذا كان كما قال الشَّيْخ: (وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ الباطل) فكيف بالعَالِم من المُوحِدين؟ الذي عرف التوحيد بأدلته مع عِلمٍ يشمل: علم الأصول، وعلم الآلة؟ لا شك أنه الجيش المنصور وإن كان واحدًا، والأمة والفِرقة الناجية ولو كان وحده.

فالمُوحِد ينبغي أن يستعد مع قوة قلبه، المُوحِد ليواجه أهل الباطل إذا كان سيدعو إلى التوحيد، إذا كان سيدعو إلى الحق لَا بُدَّ من أن يستعد بعِلمٍ، ومن أن يعالج قلبه حتى يصير مُخلصًا لله وأن يُجرِد اتباعه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يقوي قلبه.. لِمَا تقدم ذِكره.

(المتن)

وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

(الشرح)

(وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ) الذي يدعو إلى التوحيد وليس معه سلاح، مَا عنده عِلم يكفي لتقرير الحق وَرْدَ الباطل فإن هذا يخشى عليه.

➢ **لأن مَن يدخل المعركة لَا بُدَّ لَه مع قوة النفس من أمرين:**

١-أن يكون معه سلاحٌ ماضٍ.

٢-وأن يُحسِن استعماله.

مَنْ لَم يكن معه سلاح يُقتَل في أول الأَمْر، ومَنْ كان معه سلاحٌ لا يُحسِن استعماله لن ينتفع به؛ يكون حاله كما قال القائل:

جاء شَـقـيـقٌ عـارضًـا رُمْـحَـه   إن بـنـي عـمـك فـيـهـم سـلاح

شقيق عنده رمح لكن مَا جاء به مستعدًا جاء به عارضًا لَهُ، والقوم عندهم سلاح.. وهكذا أنت أيها الداعي إلى التوحيد، إذا دعوت إلى التوحيد بلا عِلم فإنك كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاحٍ.

وإذا دعوت ومعك عِلم لكنك لا تُحسِن إعماله؛ فإنك لن تنتفع بذلك وسيعود الضرر عليك وعلى دعوتك، ستنكسر أمام أهل الباطل، فيعلو أهل الباطل أمام الناس وتضعف حُجتك، وينظر الناس إلى دعوتك على أنها باطل، وإلى دعوة أهل الباطل على أنها حق.. وهذا ضررٌ عظيم.

إذا كان هذا في كل زمان فهو في زماننا أعظم، الداعي إلى التوحيد إلى الحق والله في هذا الزمان يحتاج إلى صبر عريض، السُفهاء في زماننا أكثر، وسوء أدبهم أعظم، ووسائل إيصال آذاهم أكثر، وانظر إلى الواقع! انظر إلى هَذِه الساحة الموجودة اليوم! مَا أن يقول قائل من أهل الحق شَيْئًا إلَّا يتناوشه أهل الباطل من العامة وغيرهم بالسب، والشتم، والأذى بل والتهديد.

☜ **من عجيب يا إخوة:** أن واحدًا من فلسطين ولا يمثل أهل فلسطين، أرسل لي رسالة يقول: أبشر بالقتل فإنَّا قادمون لقتلك، قلت: سبحان اللَّهِ! كيف تتقلب الأمور بالناس ويتمادون في الأذى، نعوذ بالله من سوء الحال.

فالداعي إلى الحق الذي يُريد أن يُعلِم الناس العِلم النافع، والتوحيد، والسُنَة، ويُثبتهم بتثبيت الله عند النوازل لَا بُدَّ لَهُ من صبرٍ عريض في هذا الزمان، وَلَا بُدَّ أيضًا من عِلمٍ سديد نافع، وَلَا بُدَّ من أسلوبٍ صحيح يُوصَل به العِلم النافع إلى الناس، أما هداية القلوب فبيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لكن إياك يا طالب العِلم! أن تُدخِل نفسك في ساحة الدعوة وأنت بلا سلاح، أَوْ معك سلاح كسلاح أهل الباطل ليست حُجَجًا شرعية وإنما تظن ظنًا كما يظنون، بل كُن مُتسلحًا بسلاح أسلافك: العِلم بالكتاب والسُنَة بفهم السلف الصالح مع معرفتك بكيفية رد حُجَج أهل الباطل.

(المتن)

وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِه الَّذِي جَعَلَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ مَنَّ على أهل الحق، عَلَى أهل التوحيد، على أهل السُنَة بعِلم الكتاب والسُنَة بفهم سلف الأمة، وهذا الذي فيه الهدى والنور.

فالمُوحِد الداعي إلى الحق إذا كان متمكنًا من الحُجَج الشرعية، وكان عارفًا بكيفية دفع الشُبه يُصلِح الله به مَنْ أراد هدايته، وهذه المقدمة تُهيئ طالب العِلم والمُوحِد إلى مَا سيأتي تقريره من كشف الشُبه، وكسر الشُبه وردها.

هنا تنتهي المقدمة التي قَدَم بها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ للكتاب.

من المجلس القادم إن شاء الله سنشرع في معرفة كيفية رد الشُبه إجمالًا وتفصيلًا وليس ذلك حصرًا لكل الشُبه، وإنما ذَكر الشيخ رؤوس الشُبه، وأصول الشُبه، ومَنْ عَرف كيف يكسرها فهو على كسر غيرها إن شاء الله أقدر.

هَذِه الشبه وردُها يحتاج أن يعرفها المُوحِد؛ لأَنهَا تُطرَح في الساحة، ويعرف كيف يدفعها عَنْ نفسه هُوَ، ويحتاج أن يعرفها الداعي إلى التوحيد ليعرف كيف يكسرها وكيف يدفع شرها عَنْ الناس.

نقف عند هَذِه النقطة سائلين الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفَقِهنا في دينه، وأن يُثَبِتنا على التوحيد والسُنَة، وأن يُكرمنا بأن نكون من دُعاة التوحيد والسُنَة، وأن يثبتنا ويصبرنا حتى نلقاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونحن ذلك، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يا معاشر الفُضلاء؛ يا من أكرمكم الله عَزَّوَجَلَّ، فكنتم عُمَّارًا لمسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اشكروا الله عَزَّوَجَلَّ عَلَى هٰذِه النعمة، واغتنموها فيما يقرِّبكم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، اعمروا المسجد بِالصَّلَاةِ فيه، فإنَّ صلاة في مسجد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إِلَّا المسجد الحرام، اعمروا المسجد بطلب العلم فيه؛ فإنَّ طلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه ما في طلب العلم في غيره مع زيادةٍ لطالب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أتى إِلَىٰ

مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يريد إِلَّا أن يتعلَّم خيرًا أو يعلِّمه؛ موعودٌ بأن يفوز بأجر الحاجِّ الَّذِي تمَّ حجه، وأن يفوز بأجر المجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فسدّدوا وقاربوا واعملوا، وأبشروا، وأحسن الظَّنّ بربكم لعلكم تفلحون.

معاشر الفضَلاء؛ إنَّ الأحداث الَّتِي تمرُّ بِالأُمَّةِ، والأزمات الَّتِي تمر بها الأُمَّة لا تزيدنا إِلَّا يقينًا من أمرين عظيمين كريمين:

⇦ **أما أَحَدُهُمَا فهو**: أنَّ الَّذِي يُصْلِح هٰذِه الأُمَّة هو السير عَلَىٰ منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمِ، فمنهج السَّلَف الصَّالح فيه الأمان والهداية، فيه السلامة، فيه أن يلزم العبدُ صراط ربه المستقيم، فيه أن يحقِّق العبد الوسطيَّة الَّتِي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ لأمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهج سلفنا الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمِ فهي الثبات، وفيه الهدى، وفيه التُّقى؛ ولذلك ينبغي علينا معاشر المؤمنين أن نتعلَّم منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمِ؛ لنلزم هٰذَا المنهج، لنلزم هٰذَا النور المبين، وعَلَىٰ طُلَّاب العلم أن يعلّموا النَّاس منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمِ، وأن يدعوا النَّاس إِلَىٰ هٰذَا المنهج الرشيد.

⇦ **وَأَمَّا الأمر الثَّانِي فهو**: حاجة النَّاس العظمى إِلَىٰ العلم النَّافِع، فَالنَّاسُ يحتاجون إِلَىٰ العلم النَّافِع أعظم من حاجتهم إِلَىٰ الطعام والشراب، بل وَإِلَىٰ الهواء، العلم النَّافِع فيه الدلالة عَلَىٰ صراط الله المستقيم، وبه الثبات عَلَىٰ صراط الله المستقيم بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وعونه وتوفيقه، فما أحوج الأُمَّة إِلَىٰ علماء يعلِّمون العلم النَّافِع، وَإِلَىٰ طلَّاب علمٍ يتعلمون العلم النَّافِع، وينشرونه في أمة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ذكرت مرارًا وتكرارًا: أنَّ الإنسان حَتَّىٰ يكون بصيرًا في الحوادث والنوازل لَا بُدَّ له من أن ينظر إليها بأربعة عيون:

أما العين الأُولَىٰ: فهي عين العاطفة الرشيدة؛ فإنَّ المسلم لا ينبغي أن يكون قاسي القلب، لا ينبغي أن يكون غليظًا فظًّا، لا يتأثَّر بأحداث المسلمين، ولا بما يقعُ للمسلمين، بل ينبغي أن يكون ذا عاطفة، وَهٰذِه العاطفة ينبغي أن تكون رشيدة؛ لأنَّ العاطفة إن لم تُرشَّد فإنها قد تعصف بصاحبها إِلَىٰ الزَّلل عن الصراط المستقيم.

⮪ **وَأَمَّا العين الثَّانِية**: فهي عين العقل السليم؛ فإنَّ الإنسان بحاجة إِلَىٰ ضبط أموره بعقلٍ سليم، يُدرِك به المصالح والمفاسد، وحدود الأمور، حَتَّىٰ لا يزل متأثرًا بعاطفته.

⮪ **وَأَمَّا العين الثَّالِثة**: فهي عين العدل؛ فواجبٌ عَلَىٰ المسلم إذا نظر إِلَىٰ أمرٍ من الأمور أن ينظر بعدلٍ، وأن يجتنب الظُّلْم، أن ينظر بعدلٍ إِلَىٰ ما يؤيده ويرضاه، وأن ينظر بعدلٍ إِلَىٰ ما يخالفه ويأباه، لا يجوز الخروج عن العدل في أي أمرٍ من الأمور.

⮪ **وَأَمَّا العين الرَّابِعة**: فهي عين العلم النَّافِع؛ فالعلم النَّافِع بصيرة ونور، وتُضبط به هٰذِه الأمور الثلاثة، أعني: العاطفة، والعقل، والعدل.

- فمن نظر بهذه العيون الأربعة؛ نظر ببصيرة، وَهٰذَا يدعونا مشاعر المؤمنين إِلَىٰ أن ندعو أنفسنا وعموم المسلمين إِلَىٰ لزوم غرز العلماء الأكابر، وألَّا يتقدَّم الإنسان عليهم، فضلًا عن أن يسيء الظَّنّ بهم، أو يصفهم بأوصافٍ لا تليق بإنسانٍ عامِّي، فكيف بعلماء الأُمَّة الَّذِينَ هم حصنٌ لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا البصيرة في دينه، وأن يجعلنا رحمةً عَلَىٰ أمة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إنَّ درسنا معاشر الفضلاء كما أخبرناكم سابقًا في أيام هٰذَا الأسبوع -أعني: اليوم، وغدًا، ويوم الجمعة، ويوم السبت- سيكون في شرح "**كشف الشبهات**" لشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وكذلك في يومي الأربعاء والخميس من الأسبوع القادم إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

نشرح هٰذَا الكتاب العظيم "**كشف الشبهات**" هٰذَا الكتاب الصغير في حجمه، الغزير في علمه، الخفيف في حمله، الثقيل في نفعه، هٰذَا الكتاب الَّذِي فيه حماية الحق، وحماية التَّوحِيْد من الشبهات الَّتِي قد ترد عَلَىٰ هٰذَا الباب.

وكنا قد شرحنا مقدمة الشيخ النفيسة لهذا الكتاب فيما مضى من دروسنا في شرح هٰذَا الكتاب، ونواصل في هٰذِه الدروس شرح ما سطره الإمام المجدِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في هٰذَا الكتاب، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ: فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمامُ المُجَدِّدُ شيخُ الإسلامِ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في رسالته "كشف الشبهات":

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا؛ فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

(الشَّرْحُ)

بعد أنْ فرغ الإمام المُجدِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بأسلوبه البديع من تقرير المُقدَّمة الَّتِي يُعرف بها الحق في باب التَّوحِيْد، وتُدفع بها الشبهات دفعًا، وقد تضمنَّت المُقدَّمة أو المُقدِّمة، وكلاهما صحيح -كَمَا ذَكَرْنَا- أصولًا ثمانية نافعةً جدًّا:

☜ **الْأَوَّل**: بيان معنى التَّوحِيْد.

☜ **وَالثَّانِي**: أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعرفون الله، وكانت لهم عبادات، غير أنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط؛ لتقربهم إِلَىٰ الله، فهم يتقربون إِلَىٰ الوسائط لتقربهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

☜ **والأصل الثَّالِث**: أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية، وأنَّ الله هو الخالق الرزَّاق المُدبِّر، وذلك لم يُدخلهم في التَّوحِيْد الَّذِي بُعث به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبُعثت به جميع الرسل.

☜ **والأصل الرَّابِع**: أنَّ المشركين كانوا متفرِّقين في عباداتهم، غير الله عَزَّوَجَلَّ، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا، فلم يكن جميع المشركين يعبدون الأصنام، بل كان منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ولم يفرِّق النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، بل جعلهم جميعًا مشركين، وقاتلهم جميعًا.

☜ **والأصل الخَامِس**: أنَّ الإقرار بتوحيد الربوبية لا يُدخِل في الإسلام، ولا يعصم الأنفس.

☜ **والأصل السَّادِس**: معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» شرعًا، وما حصل عند بعض المسلمين من انحرافٍ في تفسيرها.

☜ **والأصل السَّابِع**: علامة صحة التَّوحِيْد: الخوف من الشِّرْك، والحرص عَلَىٰ البراءة منه.

☜ **والأصل الثَّامِن**: أنَّه لَا بُدَّ للموحدين من علمٍ يُقرَّر به الحق، ويُدفع به الباطل.

وقد تقدَّم بيان كل هٰذَا وتفصيله.

✍ **أقول**: بعد أن فرغ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هٰذِه المقدِّمة؛ شرع في الرد عَلَىٰ شبه المبطلين في باب توحيد العبادة، سائرًا عَلَىٰ طريقة القرآن الكريم، فبدأ بالرد المُجمل الَّذِي تُرد به جميع الشبهات، ولا تقف أمامه شبهة، ثُمَّ ذَكَرَ الرد المُفَصَّل، بحيث يذكر الشبهة، ثُمَّ يذكر الجواب عنها، وقد سار في هٰذَا عَلَىٰ أسلوبٍ مسلسل، يتصل بعضه ببعض.

إذًا لرد الشبهة هناك طريقان:

✓ **الطريق اَلْأَوَّل**: الرد المُجمَل، وهو الرد العام الَّذِي يرد كل شبهة يوردها المخالف.

✓ **والطريق اَلثَّانِي**: الرد المُفَصَّل، وهو الَّذِي يقابل شبهةً بعينها.

وصاحب الحق يحتاج إن يعرف الرد المُجمل؛ ليرد به ما يورد عليه من أهل الباطل، وليسلم من شبههم، ولاسيما في زماننا هٰذَا، وفي أيامنا هٰذِه؛ فإنَّ أهل الباطل قد نشطوا في باطلهم، ينشرون الشبه بين النَّاس بمختلف الوسائل، فما أحوج صاحب الحق إِلَىٰ أن يعرف الرد المُجمَل؛ ليرد به الشبه، ويدفع به الشبهة عن نفسه، فإن زادت معرفته عن ذلك، بأن علم الرد المُفَصَّل أو بعضه؛ فذلك نورٌ عَلَىٰ نور، وقوة لتوحيده وإيمانه، وقوة لحجته عَلَىٰ مخالفيه.

ولذلك عَنَى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ببيان الرد المُجمَل وبيان الرد المُفَصَّل.

(المتن)

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا.

(الشَّرْحُ)

قَالَ: (**أَمَّا الْمُجْمَلُ**) وَهٰذَا شروعٌ من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في بيان الرد المُجمل العام، الَّذِي يرد كل شبهة تورد عَلَىٰ التَّوحِيْد، بل عَلَىٰ الحقِّ كله، ذَكَرَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هٰذَا الرد المُجمَل أصل الهداية العام، وأصل الضلال العام، وذلك أنَّ كل مهتدٍ وكل ضالٍّ من الفرق المخالفة لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لَا بُدَّ أن يستدل بالقرآن، فمن صحَّ طريق استدلاله، وحَسُن قصده؛ اهتدى، ومن فسد قصده، وبطل طريق استدلاله؛ ضلَّ.

❐ **فَأَمَّا اَلْأَوَّل وهو: أصل الهداية؛ فيكون بأمور:**

⇦ **اَلْأَوَّل**: جمع الأَدِلَّة، فإنَّ جمع الأَدِلَّة يوضِّح معناها، ويدفع كل شبهةٍ قد ترد عَلَىٰ الذهن، فإنَّ القرآن لا يتناقض أبدًا، بل يشد بعضه بعضًا، ويشبه بعضه بعضًا، ويقوِّي بعضه بعضًا، فليس فيه اختلافٌ أبدًا؛ لأنَّه من عند الله العليم الحكيم الَّذِي لا يضل ولا ينسى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فالقرآن كله يُشبه بعضه بعضًا، في حُسْن نظمه، وحُسْن دلالته، واستقامة معانيه.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]، فالقرآن كله مُحكمٌ من حيث نظمه، فمن جمع الأَدِلَّة؛ اهتدى وعرف صحيح المعنى.

⇦ **وَالثَّانِي**: رد الدليل المحتمِل المعنى إِلَىٰ واضح المعنى، وتفسير المحتمِل بالواضح، وسيتضح لنا هٰذَا في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي رده عَلَىٰ الشبه.

⇦ **وَأَمَّا الثَّالِث**: فهو الرجوع إِلَىٰ العلماء الربانيين الراسخين في العلم؛ لمعرفة الأَدِلَّة، ورأس أولئك وميزانهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطالب الهداية بحاجةٍ عظيمة إِلَىٰ أن يرجع إِلَىٰ العلماء الراسخين، ولاسيما عند احتمال المعاني؛ ليتبيَّن له المعنى المراد من تلك المحتملات.

⇦ **ويسبق هٰذِه الأمور الثلاثة**: إرادة الحقِّ، وقصد الوصول إِلَىٰ الحق، فمن سلك هٰذَا الطريق؛ سلك طريق الهداية، من امتلأ قلبه بحبِّ الحقِّ وإرادة الحقِّ، وعلم الله منه الصِّدْق في أنه يريد الحقَّ، وسار عَلَىٰ هٰذَا الطريق؛ فإنه يهتدي بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❐ **وَأَمَّا الثَّانِي** –وأعوذ بالله من الثَّانِي– **أعني**: **أصل الضلال**؛ فهو عكس اَلْأَوَّل، فيكون بأمور:

➢ **اَلْأَوَّل**: فصل الأَدِلَّة عن بعضها، فينتزع أحدهم دليلًا من الأَدِلَّة، ويستدل به، ولا يجمعه مع غيره من الأَدِلَّة، فيكون كالناظر إِلَىٰ جهةٍ واحدة، فلا يكون تصوره صحيحًا.

➢ **وَالثَّانِي**: ردُّ الدليل الواضح المعنى بالدليل المحتمل المعنى، والتلبيس به عَلَىٰ العامة.

➢ **وَالثَّالِث**: عدم الرجوع إِلَىٰ العلماء الربانيين الراسخين في العلم في فهم الأَدِلَّة عمومًا، وفي فهم المحتملات منها خصوصًا.

➢ **ويسبق هٰذِه الثلاثة**: إرادة الفتنة في القلب، وإرادة تأويل الدليل إِلَىٰ ما يوافق مراده؛ ولذلك يقرِّر العلماء: أنه ما من حجةٍ يحتجّ بها مبطلٌ عَلَىٰ باطله إِلَّا وهي في حقيقتها حجةٌ عليه، فلو أنَّ المُبطِل أعطى الحجَّةَ حقها -كما تقدم في طريق الهداية-؛ لكانت دالَّةً عَلَىٰ الحقِّ، رادَّةً له عن الباطل، فتدله عَلَىٰ الحقِّ، وترده عن الباطل، وكذلك الحجج العقلية الَّتِي يحتج بها المخالفون لأهل التَّوحِيْد، لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، لو بُيِّنت ومُيِّز ما فيها من حقٍّ وباطلٍ؛ لكانت دالَّةً عَلَىٰ الحقِّ، ودامغةً للباطل.

وبالتالي؛ فإنَّ المُناظِر من أهل التَّوحِيْد وأهل السُّنَّة لمن يخالفه من أهل الفرق يستطيع أن يعكس دليل الخصم عليه، ويجعل دليل الخصم عليه لا له، ويبيِّن بطلان قول مخالفه بحجة مخالفه.

قَالَ: (**فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا**) نعم إنه لأمرٌ عظيم، وإنها لفائدةٌ كبيرة لمن فهمها؛ لأنَّها في أصل الطريق الموصل، فإذا عرفها الموحِّد؛ فإنه يستطيع أن يرد بها كل شبهة يوردها مخالف عليه، فالقاعدة الشَّرْعِيَّة: أنَّ الموحِّد يحذر من الشبهات أصلًا، فلا يسمح بوصولها إِلَىٰ سمعه، ولا إِلَىٰ قلبه، بل يحذر من ذلك، فإن وصلت إليه؛ فإنه يردها بهذا الرد الجمل الَّذِي يبيِّنه الشيخ، وهو ردٌّ عظيمٌ نافعٌ دامغٌ للباطل، مسقطٌ للشبه.

(المتن)

أَمَّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

(الشَّرْحُ)

أي: أنَّ هٰذَا الرد المُجمَل العظيم موجودٌ في كلام ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الَّذِي بيَّن فيه طريق أهل الحقِّ، وطريق أهل الزَّيغ، حيث قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: منه آياتٌ متضحات المعنى، هُنَّ أصل الكتابِ الَّذِي يُردّ إليه غيره من الآيات، كما أنَّ الأم أصل الولد، وَالَّتِي يرجع إليها ولدها عند الحاجة.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: من القرآن آياتٌ أُخر ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ غير متضحات المعنى، إمَّا لعدم استبانة المعنى، وَهٰذَا يقع لبعض العلماء دون بعض، ويقع للعالم في وقتٍ دون وقت، لا يستبين

معنى الآية، وَإِمَّا لاحتمال المعنى من جهة اللَّفْظ والتركيب، لا من جهة مراد رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمُحكمات من القرآن فيهن حجةُ الرَّبِّ، وعصمةُ العَبْدِ، وإيضاحُ الحقِّ، ودفعُ الباطلِ، والمتشابهات يحتملن المعنى، فيحتملن عدة معاني من جهة ألفاظها.

والحكمة من ذلك: أن يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ بهنَّ العِباد؛ ليستبين أهل الحقِّ من أهل الزَّيغِ، فإنَّ أهل الزَّيغِ يستدلون بالمتشابه من أجل تقوية الأهواء، وأهل الحقّ يستدلون بالمحكمات من أجل معرفة الحقِّ، وبيان الحقِّ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: أنهم قبل النظر والاستدلال زاغت قلوبهم وضلَّت، وابتعدت عن الحقِّ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: أنهم يستدلون بالمتشابه عَلَىٰ أحد محتملاته، ويردون به المُحكم، ولا يردونه إِلَىٰ المحكم ليتضح لهم معناه، وَهٰذَا حال كل مبطلٍ، ولذلك قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: طلبًا للفتنة الَّتِي في قلوبهم، حيث زاغت قبل النظر والاستدلال، وطلبًا لإضلال العامة، وإيهامهم أنَّ القرآن يدل عَلَىٰ قولهم الباطل.

وَهٰذَا يا معاشر الفضلاء ملازمٌ لكل من زاغ عن الحقِّ، وذهب يستدل لزيغه، وأول من عُرف بهذا: الخوارج، أول من عُرف بهذا ممن انتسب إِلَىٰ الإسلام: الخوارج، فإنهم يحتجون بالقرآن، يحسبون أنه لهم، وهو عليهم؛ لأنهم أهل زيغٍ، لأنهم أهل ضلالةٍ، لا يبتغون بالاستدلال إِلَّا الفتنةَ، وَهٰذَا كما يقول العلماء: وصفٌ ملازمٌ لكل زائغ، ولو قَالَ: أنا لا أريد الفتنة؛ فإنَّ الوصف الملازم له أنه مريدٌ للفتنةِ.

﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: طلبًا لحمله عَلَىٰ المعنى الَّذِي يوافق هواه، لا طلبًا لمعرفة معناه، ولا طلبًا لمعرفة ما يدلُّ عليه حقيقةً.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ لقد اختلف السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم في الوقف هنا: هل هو عَلَىٰ لفظ الجلالة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾، أو هو عَلَىٰ ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؟

وأكثر السَّلَف عَلَىٰ أنَّ الوقف عَلَىٰ لفظ الجلالة، وَهٰذَا كما بيَّن المحقّقون من أهل العلم اختلاف تنوُّع مبني عَلَىٰ المراد بالتأويل هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾:

﴿ إن أُريد بالتأويل حقيقة الشَّيْء ومآله وعاقبته؛ فإنَّ الوقف يكون عَلَىٰ لفظ الجلالة، فإنَّ كُنْهَ الشَّيْءِ وحقيقتَهُ ومآلَهُ وعاقبتَهُ إِنَّمَا يعلمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿ وإذا أريد بالتأويل فهم المعنى وفهم المراد؛ فيكون الوقف عَلَىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأنَّ الراسخين في العلم يفهمون معاني القرآن، نعم قد يغيب المعنى عن بعض العلماء، لكن لا يغيب عن كل العلماء.

وإذا كان هناك شيءٌ لم يفهم العلماء معناه؛ فهو يسيرٌ لا أثر له، وهو الموجود في الحروف المقطعة في أوائل السور، فإنَّ أكثر أهل العلم في التفسير يقولون عندها: "**اللهُ أَعْلَمُ بمرادِهِ منها**"؛ فَهٰذَا شيءٌ يسير لا يترتب عليه شيء، وَأَمَّا المعاني الَّتِي تترتب عليها العقيدة، ويترتب عليها العمل؛ فإنَّ العلماء يعلمونها، ويتفاوتون في العلم بها، والراسخون في العلم هم أولى النَّاس بالعلم بها.

وبهذه الآية العظيمة يتضح طريق أهل الزَّيغِ في الاستدلال، وطريق أهل الهدايةِ في الاستدلال، وبهذا الطريق يُعلم صاحب الحقِّ عمومًا، والموحِّد خصوصًا، ويعلم صاحب الحقِّ والموحِّد كيف يرد استدلال المبطلين عَلَىٰ باطلهم، وهو في حقيقته شبهة، وليس دليلًا بأن يقول: إنَّ هٰذَا من المتشابه، فعليك أن ترده إِلَىٰ المُحكم، لا أن ترد المحكم به.

فَهٰذَا الرد المُجمل لكل شبهةٍ يُدلي بها مخالفٌ للتَّوحِيدِ ولأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

(المتن)

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

(الشَّرْحُ)

هٰذَا الحديث في "**الصحيحين**"، رواه البخاري ومسلم، وهو يدلُّ عَلَىٰ أنَّ الاحتجاج بالمتشابه ورد المُحكم به؛ علامةٌ عَلَىٰ زيغ القلبِ، وعلامةٌ عَلَىٰ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالة، فالمتعيِّن عَلَىٰ المهتدي الموحِّد: أن يحذر أولئك، وألَّا يسلمهم سمعه، ولا قلبه، بل يدفع كلامهم من أن يصل إليهم ما استطاع، فإن وصل إليه شيءٌ من باطلهم؛ فإنَّه يرده بهذا الجواب المُحكم المُجْمَل العام، ثُمَّ لا يجادلهم، ولا يخوض معهم، إِلَّا إذا كان عنده علمٌ عَلَىٰ سبيل التفصيل.

فمعنى قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاحْذَرُوهُمْ» أي: إذا رأيتم الَّذِينَ يقصدون المتشابه، ويستدلون به، ويجادلون به؛ فاعلموا أنهم أهل زيغٍ وضلالة، فلا تجالسوهم، ولا تكلموهم، ولا تستمعوا إليهم، ولا تصغوا إليهم، فإن وصل إليكم شيءٌ من باطلهم؛ فردوه عن قلوبكم بهذا الرد المُجمَل، وبلزوم غرز العلماء الربانيين الراسخين في العلم.

وفي هٰذَا الحديث تنبيه لطيف لأهل العلم بعدم جواب كل من يسأل عن الشبهات، أو ما يثير الفتن، بل يُنظر في حال السَّائِلُ.

- فإنْ ظهر من حاله أنه من أهل الزَّيغِ، وممن يبتغون الفتنة وتفريق الصفِّ، وإضلال النَّاس؛ فإنه لا يُجاب، بل يُحذر، ويُقهر، ويُنهر، ويُغلَّظ عليه، ويُهان، ويُعزّره السلطان، كما كان السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم يفعلون من زمن الصَّحَابَة فمن بعدهم رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

- أما إن ظهر من حاله أنه مسترشدٌ، يريد الحقَّ؛ فإنه يُتلطَّف به، ويُترفَّق به، ويُجاب جوابًا يناسب حاله، ويناسب فهمه.

وَهٰذَا تنبيه لطيف عظيم النفع، أخذه العلماء من هٰذَا الحديث، وما أحوج الشيوخ إِلَىٰ التَّنبُّهُ إِلَىٰ هٰذَا الأمر، فليس كل سائلٍ يريد الحقَّ، ليس كل سائلٍ يريد الخير لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل السائلون كالمستدلين، منهم من يريد الحقَّ، ويريد الهدايةَ، ومنهم من هم أهل زيغٍ يبتغون الفتنة، ويتصيدون الكلام من العلماء لإظهار الفتن، وتفريق الصفوف، ونشر الباطل، فينبغي عَلَىٰ من رزقه الله شيئًا من العلم، وقصده النَّاس؛ أن يحذر من أهل الزَّيغ الَّذِينَ يبحثون عن المتشابه حَتَّىٰ في كلام العلماء، ويبتغون الفتنة، نعوذ بالله من سوء الحال!

(المتن)

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شيء من بَاطِلِهِ وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ. وَمَا ذَكَرْتُه لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، أو

الأَنْبِيَاءِ، أو الأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هَذَا أَمْرٌ مُحكَمٌ بَيِّنٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَه أيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَمِ النَّبِيِّ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللهِ لاَ يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(الشَّرْحُ)

ضرب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مثالًا لإعمال هٰذَا الجواب المُجمَل في ردِّ شبهات المبطلين عَلَىٰ التَّوحِيْد، وهو: أنه إذا أورد عليك مخالفك في التَّوحِيْد شبهة، فَقَالَ لك: إنك تقول: إن سؤال الأولياء والأنبياء والاستغاثة بهم شركٌ بربنا، وربُّنا سُبْحَانَهُ يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، ثُمَّ قَالَ لك: إنَّ هٰذِه الآية تدلُّ عَلَىٰ أنَّ الأولياء لهم جاهٌ عظيمٌ عند الله، ومنزلةٌ عظيمة عند الله، وقد ثبت أنَّ الشَّفَاعَة حقٌّ، فنحن نستشفع بالأولياء لمنزلتهم عند الله، فكيف تمنعنا من ذلك؟ وكيف تنعتنا بأنَّا من المشركين؟

وَهٰذِه الشبهة يا إخوة سيأتي ردها تفصيلًا، لكن المراد هنا: بيان ردِّها ردًّا مجملًا، بحيث يكون الجواب من الموحِّد: إنَّ ما أنا عليه من التَّوحِيْد ووجوب صرف العبادة كلها لله محكمٌ، قد دلَّت عليه الآيات المحكمات البيِّنَات، وما تذكره أنت متشابهٌ، فإنه تذكر شيئًا ليس في الآية، وأنا أومن بالكل من عند ربي، وأومن بمقام الأولياء، وكرامتهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، لكنَّ كون ذلك يقتضي سؤالهم، ودعاءهم، والاستغاثة بهم؛ هٰذَا متشابهٌ يجب رده إِلَىٰ المحكم، لا رد المُحكم به، ويجب عليك أن تفزع إِلَىٰ العلماء الراسخين الربانيين العارفين بِالتَّوحِيْدِ، ليبينوا لك الحقَّ، وَإِلَّا كنت من أهل الزَّيغ الَّذِينَ ذكرهم الله.

وقول الشيخ: **(فَجَاوِبْهُ...)** إِلَىٰ قوله: **(وَمَا ذَكَرْتَه أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَمِ النَّبِيِّ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ)** المراد به: لا أعرف تفصيل الكلام الَّذِي تذكره أنت، لكني عَلَىٰ يقينٍ أنه لا يدل عَلَىٰ ما ذكرت، وأنَّ الواجب عليك: ردُّ المتشابه إِلَىٰ المُحكم، والرجوع إِلَىٰ العلماء الراسخين في العلم، فإني أقطعُ أنَّ الَّذِي أستدلُّ به من كلام الله مُحكَمٌ، وأنَّ الَّذِي تستدلّ به من كلام الله متشابه، وأنا أومن أن الكل من كلام الله، وأنَّ كلام الله لا يختلف، وأنَّ كلام الله لا يتناقض، وأنَّ الوحي كله

سواءً كان كتابًا أو سنة لا يختلف ولا يتناقض، وَهٰذَا يدلّ دلالةً بيِّنة عَلَىٰ أنَّ المعنى الَّذِي تذكره غير صحيح.

ثُمَّ قِفْ أَيُّهَا الموحِّد، ولا تجادله، ولا تخض معه في نقاش، إن كنت لا تعلم التفصيل، أما إن كنت تعلم التفصيل؛ فأضِف إِلَىٰ الجواب المُجمَل الجواب المُفَصَّل.

ثُمَّ قِسْ عَلَىٰ هٰذَا المثال بقيَّة الشبه، كيف تردها بهذا الجواب المجمَل المحكم العام الَّذِي تدفع به الباطل عن نفسك وعن غيرك، وترد به الشبهة.

(المتن)

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَـدِيدٌ، وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ ولا تسـتهن به؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

(الشَّرْحُ)

أي أنَّ هٰذَا الجواب المُجمَل عن الشبه جيِّدٌ؛ لأنه يتعلَّق بسدِّ الطريق أصلًا، سديدٌ سادٌّ الطريق عَلَىٰ المبتدع، حَتَّىٰ لا يصل إِلَىٰ قلبك، ولا إِلَىٰ قلب غيرك، ولكن لا يفهمه إِلَّا من وَفَّقَهُ اللهُ، ليست العِبْرَة بالأسباب، وَإِنَّمَا الأسباب طريق، وَإِنَّمَا العِبْرَة بتوفيق الله، بهداية الله، كم من شخصٍ حصلت له هداية البيان عَلَىٰ أكمل ما يكون بأن سمع البيان من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن ما حصلت له هداية التَّوْفِيْق، فضل وعمي، هٰذَا أبو لهب عم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف صدقه، ويعرف أمانته، ويعرف فصاحته، سمع البيان من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يهدِه الله هداية التَّوْفِيْق، فضلَّ وغوى، وكان من أهل النَّار مذمومًا في الدنيا إِلَىٰ قيام الساعة بسورة تُتلى فيه، مُعذَّبًا يوم القيامة، نعوذ بالله من سوء الحال!

ولذلك ينبغي للعبدِ مع بذهل الأسباب: أن يُسلِّم قلبه لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يسأل الله دائمًا الهداية؛ ولذلك نحن مأمورون بأن نسألَ اللهَ الهدايةَ في اليوم والليلة سبع عشرة مرة أو أكثر، بأن نقرأ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، دُلّنا ووفِّقنا وثبِّتنا عَلَىٰ الصراط المستقيم؛ ولذلك يا عبد الله لا تعتمد عَلَىٰ علمٍ، ولا تعتمد عَلَىٰ ذكاءٍ، وَإِنَّمَا هٰذِه أسباب، وَإِنَّمَا اعتمد بقلبك عَلَىٰ ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أكثر من الْدُّعَاء مع بذل هٰذِه الأسباب، أن يفهمك الله، وأن يوفقك الله، وأن يدفع عنك الباطل، احرص عَلَىٰ هٰذَا الأمر العظيم.

ثُمَّ لا تستهِن بهذا الجواب المُجمل؛ فإنه من القرآن مأخوذ، وإنه والله لعظيم، عظيم في ذاته، عظيم في أثره، فإنَّه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾، لا يوفَّقُ لهذا إِلَّا صاحب حظٍّ عظيمٍ.

والله إنَّ الموحِّد صاحب حظٍّ عظيمٍ، حيث وَفَّقَهُ اللهُ إِلَىٰ هٰذَا الأمر العظيم، وينبغي عليه أن يكون ذا صبرٍ عظيم، ولاسيما في أيامنا، وأنَّ من وفَّقه الله لمعرفة الجواب المُجمَل عن الشبهات الَّتِي تورَد عَلَىٰ الحقِّ عمومًا، وعَلَىٰ التَّوحِيْد خصوصًا؛ فقد أتاه الله خيرًا عظيمًا، وكان صاحب حظٍّ عظيمٍ.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونشرع من الغد إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في الجواب المُفَصَّل عن الشبهات.

لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.

الأسئلة

السؤال: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، ونفعنا الله بما سمعنا! أحسن الله إليكم! يقول: من يسكن بين مكة وذي الحليفة هل يُحرم من الميقات أو من بيته إذا أراد العمرة؟

الجواب: من كان ما بين ميقات ذي الحليفة ومكة، يعني: ما وراء الميقات من جهة مكة، فهو أقرب إِلَىٰ مكة من ذي الحليفة من أين يُحرِم؟ هل يُحرم من بيته أو يُحرم من ميقات الجحفة أو محاذاة ميقات الجحفة لأنه سيمر بها في الطريق؟

هنا يقول العلماء: إذا كان هٰذَا الرجل أو هٰذَا المسلم في طريق الحاج وفي طريق المعتمرين، ويسير مع طريقهم؛ فإنه يُحرِم من مكانه، بمعنى: لا يلزمه أن يرجع إِلَىٰ ذي الحليفة، ولا يُحرِم إذا حاذى الجحفة، بل يُحرم من مكانه، فمن كان مثلًا في أبيار الماشي، ما يلزم أن يرجع إِلَىٰ ذي الحليفة، ولا يُطلب منه هٰذَا، ولا يذهب بثيابه حَتَّىٰ يحاذي الجحفة، بل يُحرم من مكانه من آبار الماشي، وهكذا.

أما إن كان لا يسير في طريق الحاج، بل يسير في الطريق الأخرى من المدينة إِلَىٰ مكة، وليست هي الطريق الَّتِي يسلكها الحجاج والمعتمرون؛ فَهٰذَا له أن يُحرم من بيته، وله أن يُحرم من الجحفة.

مثلًا يا إخوة: اليوم عندنا طريقان من المدينة إِلَىٰ مكة، الطريق السريع الطريق المُسمى بـ"**الهجرة**"، وَهٰذَا الَّذِي يسلكه العمّار والحجّاج غالبًا هٰذِه الأيام، من كان عَلَىٰ هٰذَا الطريق يُحرم من مكانه ممن تجاوز أو كان خلف ذي الحليفة إِلَىٰ جهة مكة.

وعندنا الطريق الأخرى الَّتِي تُسمى: "**طريق مكة القديم**" الَّتِي تمر بفريش، والمسيجيد، وبئر الروحاء، وبدر، هٰذِه غالبًا اليوم لا يسلكها العمّار، فمن كان من أهل هٰذِه القرى يمكن أن يُحرم من بيته، ويمكن أن يُحرم إذا وصل إِلَىٰ الجحفة، يعني: يجوز له أن يؤخر إحرامه حَتَّىٰ يصل إِلَىٰ الجحفة.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذِه امرأة تقول: أنَّ زوجها ماله كله حرام من تجارة المخدرات، وطلبت الطَّلَاق وتسأل عن نفقته عَلَىٰ ابنتها من ماله الحرام، تقول: علمًا بأنه ليس عندها أي مصدر للمال، وابنتها من ذوي الاحتياجات الخاصة.

الجواب: بالنسبة للحقوق الواجبة، كَالنَّفَقَةِ الواجبة؛ فإنَّ الإنسان إذا استطاع أن يستغني عن الحرام؛ فَهٰذَا خيرٌ له، فإذا كان يستطيع أن يُنفق عَلَىٰ نفسه من غير الحرام؛ فَهٰذَا خيرٌ له، لكنه ليس بلازمٍ واجب عليه، وإن كان لا يستطيع؛ فلا حرج عليه من أن يستوفي حقه ممن يجب عليه هٰذَا الحق، ولو

كان ماله حرامًا إِلَّا في حالةً واحدة: إذا كان لا يملك هٰذَا المال أصلًا، كأن عُلم أنه سرقه أو غصبه؛ فَهٰذَا لا يجوز لأحد أن يأخذه منه.

أما ما عدا ذلك؛ فهنا يُقال: إنَّ إثمه عَلَىٰ مكتسبه، ولا شيء عَلَىٰ من استوفى حقَّه منه، هٰذَا ما يتعلَّق بالحقوق الواجبة، وهو محل السؤال.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذَا يقول: بأنه نذر بأن يذكر الله كل يومٍ بأعداد معلومة «الحَمْدُ للهِ» مائة مرة، فهل عليه أن يوفي بهذا النَّذْر؟

الجواب: أولًا: لا ينبغي للمؤمن أن يضيِّق عَلَىٰ نفسه، أو أن يُلزم نفسه بما لم يلزمه الله به، ولذلك فَالنَّذْر -أعني: الدخول فيه- في أقرب يعني في أيسر ما يُقال فيه: إنه مكروه، والقول بِالتَّحْرِيْمِ قولٌ قويٌّ، ولاسيما في نذر المقابلة.

الشَّاهِد: أنَّ المشروع للمؤمن أن يقبل سعة الله عليه، وألَّا يضيِّق عَلَىٰ نفسه، لكن إذا نذر المسلم نذر طاعة، فإنه يلزمه، ويجب عليه أن يفي به مادام مستطيعًا، فإذا نذر أن يذكر الله بعددٍ معيَّن في كل يوم؛ فإنه يجب عليه أن يذكر الله بهذا العدد من غير اعتقاد أنَّ هٰذَا سنَّة، وَإِنَّمَا من أجل أنه نذره، وهو نذر طاعة، فيلزمه أن يأتي به.

ولو فرضنا أنه عجز عنه -أعني: عجز عن نذر الطَّاعَة الَّذِي نذره- وصار لا يستطيع أن يأتي به؛ فإنه عند ذاك يكفِّر كفارة يمين، لينحل بذلك نذره، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ»، فإذا نذر طاعة فإنه يلزمه، لكن في مثل هٰذَا الَّذِي ذكره الأخ لا يعتقد الإنسان أنَّ هٰذَا سنة، وَإِنَّمَا يلتزمه من باب النَّذْر، وأنه قد نذره.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا في دينه، وأن يتقبل منَّا أَجْمَعِيْنَ، وأن يجعلنا من عباده الصَّالِحِيْنَ، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، وأن يجعل الموت راحةً لنا من كل شر، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٠)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بَعْدُ؛

فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد بعث الرسل جميعًا يدعون إِلَىٰ توحيده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويأمرون بإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وختم الله عَزَّوَجَلَّ الأنبياء بأشرفهم وأكملهم: مُحَمَّد بن عبد الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الَّذِي دعا إِلَىٰ توحيد رب العالمين، وحذَّر من الشِّرْك كله، وتعلَّم الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ التَّوحِيْد، وحققوه وعلَّموه، ودعوا النَّاس إليه، فوصلنا ذلك بحمد الله بسلسلةٍ من نور إِلَىٰ صحابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إِلَىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكان أغلى الكنوز وأشرفها: التَّوحِيْد، كما جاء به مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، فأنت يا عبد الله إذا وفَّقك الله عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ العلم بِالتَّوحِيْدِ، إِلَىٰ العلم بأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وعملت بذلك، وحققته، وتمسكت به؛ فإنك قد أوتيت حظًّا عظيمًا، وبوئت من ربك مقامًا كريمًا، فينبغي عليك أن تحمد الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ هٰذِه النعمة، وأن تشكر الله عَلَىٰ هٰذِه النعمة، وأن تثبت عَلَىٰ هٰذِه النعمة.

وَمِمَّا ينبغي للموحِّد ومن يسير عَلَىٰ أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أن يعتني به: أن يقرأ في كتب التَّوحِيْد، وكتب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وألَّا يطول عهده بتلك الكتب، ونحن في درسنا هٰذَا نقرأ في كتابٍ صغيرٍ حجمه، عظيمٍ نفعه، في كتابٍ يتعلَّق بِالتَّوحِيْدِ، في كتابٍ هو كالدورة التدريبية للمسلم عمومًا، ولطالب العلم خصوصًا، في ردِّ الشبهات عن دينه، وعن توحيده، وعن أصول أهل السُّنَّة، وعن الحقِّ الَّذِي هو عليه، كيف يرد الشبهات عن قلبه؟ وكيف يكشفها لمن حوله؟

هٰذَا الكتاب فيه بيان معالم هٰذَا المنهج الَّذِي يحتاجه المسلم في كل زمانٍ، ونحن في زماننا هٰذَا، وفي أيامنا هٰذِه أحوج ما نكون إِلَىٰ هٰذَا المنهج، حيث كثرت الشبهات، وتفنَّن أصحاب الشبهات في إرادها، والتلبيس بها عَلَىٰ المسلمين.

نحن نشرح كتاب "**كشف الشبهات**" لشيخ الإسلام الإمام المُجدِّد مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وقد علمنا أنَّ الرد عَلَىٰ الشبهات يكون بردين أو طريقين:

⇦ **أَحَدُهُمَا**: مجملٌ عام، وهو الجواب اذي تُدفع به كل شبهة، وتُرد به كل شبهة، وذلك أنَّه يجب عَلَىٰ المؤمن الموحِّد أن يوقن ويعلم أنَّ التَّوحِيْد وأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة محكماتٌ، قد دلَّت عليها أدلةٌ كثيرةٌ محكمات، فإذا أورد عليه موردٌ ما يخالف ما عرفه من التَّوحِيْد، أو ما عرفه من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ فإنه يرد ذلك بأن يقول: إنَّ ما علمته إِنَّمَا هو من المحكمات، وما تورده أَيُّهَا المورِد عَلَىٰ فهمك أنت لَا شَكَّ عندي أنه من المشتبهات، والمشتبهات يجب ردها إِلَىٰ المحكمات؛ ليتضح معناها، ولا يجوز ترك المحكمات من أجلها.

هٰذَا الَّذِي علَّمنا إيَّاه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلَّمنا إياه رسولنا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل أمرٍ يورده موردٌ يوهِم به القدح في التَّوحِيْد، أو القدح في أصلٍ من أصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ فاعلم موقنًا أَيُّهَا المسلم أنه من المشتبهات، وأنه يجب رده إِلَىٰ المحكمات، وإذا رُدَّ إِلَىٰ المحكمات؛ اتضح معناه، ولا يجوز للمسلم أن يترك المحكمات الَّتِي علم إحكامها من أجل هٰذِه المشتبهات، ما أعظمها من قاعدة! وما أقومها من قاعدة! وما أنفعها من فائدة يحمي بها المؤمن قلبه، ويحمي دينه، ويحمي من حوله من تلبيسات الملبسين.

⇦ **وَأَمَّا الرد المُفَصَّل**: فهو الرد عَلَىٰ كل شبهةٍ بعينها، برد يدمغها، ويردها عَلَىٰ أهلها، منكسرةً لا وزن لها، وَهٰذَا ما نشرع به في مجلسنا اليوم، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ علينا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمام المُجدِّد شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

وأَمَّا الْجَوابُ الْمُفصَّلُ: فإنَّ أعْدَاءَ اللَهِ لَهُم اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَة عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ.

(الشَّرْحُ)

تقدَّم معنا معاشر الأفاضل: أنَّ دين الرسل واحد، كما قاله النَّبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالدين الَّذِي بُعث به الرسل جميعًا، وأمر به النَّاس جميعًا هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ:

توحيد الألوهية: وهو عبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هو الإخلاص لله في العبادة، وأنَّ صرف شيءٍ من العبادة لغير الله شركٌ أكبر، فَهٰذَا هو معنى «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، الَّتِي جاء بها جميع الرسل، فمعناها: "**لا معبود بحقٍّ إِلَّا الله**"، فكل من صرف شيئًا من العبادة ولو كانت قليلة، ولو كانت يسيرة لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد ظلم ظلمًا كبيرًا، وظلم ظلمًا عظيمًا، فأشرك بالله عَزَّوَجَلَّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هٰذَا الَّذِي جاء به الرسل جميعًا عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

ثُمَّ إنَّ الشيطان لبَّس عَلَىٰ بعض من ينتسبون إِلَىٰ الإسلام، عَلَىٰ بعض من يقولون: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، لبَّس عليهم بالغلو في الصَّالِحِيْنَ، حَتَّىٰ صرفوا لهم حقَّ ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعبدوهم من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وألقى إليهم شياطين الإنس والجن شبهاتٍ يظنون معها أنهم عَلَىٰ الخير، وينفرون بسببها من التَّوحِيْد ومن أهل التَّوحِيْد، وينفِّرون عامة المسلمون بها من التَّوحِيْد ومن أهل التَّوحِيْد، يلبسون بها عَلَىٰ العامة، ويسبون أهل التَّوحِيْد، ويصفونهم بأوصافٍ منفِّرة حَتَّىٰ يغترَّ العامة بكلامهم، وَحَتَّىٰ يستميلوا قلوب النَّاس، وَهٰذَا ما تراه اليوم واضحًا بيِّنًا جليًّا في وسائل التواصل الاجتماعي.

فينبغي عَلَىٰ المسلم أن يعرف كيف تُرد هٰذِه الشبهات؛ حمايةً لتوحيده، ونصحًا للعامة، ودعوةً إِلَىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، إِلَىٰ ما جاء به الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

والشيخ رَحِمَهُاللَّهُ هنا جمع رؤوس الشبهات الَّتِي ألقاها المتمسكون بِالشِّرْكِ في زمنه عَلَىٰ دعوة التَّوحِيْد، وبيَّن الجواب عَلَىٰ كلِّ واحدة منها تفصيلًا، بعد أن قدَّم الجواب المُجْمَل عنها جميعًا.

وَهٰذَا يا معاشر الفضلاء! من بديع صنع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في الكتاب، وذلك أنَّ الجواب المُجمَل عن الشبهات مع ما تقدَّم ذِكره في المقدمة، كالتحصين للمسلم من هٰذِه الشبهات، فإنَّه إذا سمعها بعد أن عرف ما تقدَّم، وعرف الجواب المُجمَل؛ فإنها لا تضره؛ لأنه علم الجواب المُجمَل عنها، بخلاف ما لو سمع الشبهة قبل أن يعرف جوابًا عنها، فإنها قد تستقرُّ في قلبه، ثُمَّ لا يخرجها الجواب عنها بعد ذلك، لكن بطريقة الشيخ هٰذِه حصَّن المسلم من الشبهة قبل سماعها، بالمقدمات اليقينية العظيمة في أول الكتاب، وبالجواب المُجمَل عن كل هٰذِه الشبهات.

ثُمَّ ذَكَرَ الشيخ الشبهات شبهةً شبهة، وردَّ عليها بعد أن ردها بالجواب المجمَل قبل ذكرها، فكان رد الشبهات سابقًا ولاحقًا.

كان ردها المُجْمَل سابقًا لسماعها، وكان ردها المُفَصَّل لاحقًا لسماعها، ومن هنا تعلموا السر في كون الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بالجواب المُجْمَل عن الشبهات قبل ذكرها، ثُمَّ ذَكَرَ كل شبهة تفصيلًا، وذكر الجواب عنها تفصيلًا.

(المتن)

مِنْهَا: قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ. وَلكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللهِ بِهِمْ.

(الشَّرْح)

هٰذِه هي الشبهة الأولى الَّتِي ألقاها الشيطان عَلَىٰ بعض من انحرفوا عن طريق التَّوحِيْد، أو عَلَىٰ من انحرفوا عن طريق التَّوحِيْد ووقعوا في الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، لبَّس إبليس عَلَىٰ رؤوس من القوم، ثُمَّ صار هؤلاء الرؤوس يلبِّسون عَلَىٰ عامة النَّاس، وهي أنهم يقولون: نحن لا نشرك بالله شيئًا، فليس في اعتقادنا شركٌ، وليس في فعلنا شركٌ.

أما في الاعتقاد؛ فنحن نوحِّد الله، فنحن نعتقد ونشهد أنَّه لا يخلق إِلَّا الله، ولا يرزق إِلَّا الله، ولا يدبر إِلَّا الله، ولا ينفع ولا يضر إِلَّا الله، وأنَّ كل من دون الله عَزَّوَجَلَّ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لغيره، فيقولون: نحن نعتقد أنَّ سيد ولد آدم نَبِيَّنا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا)**، ولا يملك لابنته نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن يملكه لبقيَّة النَّاس.

وكذلك كل من دون رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأولياء، كعبد القادر الجيلاني؛ فإنَّا نعتقد فيه موفي غيرهم: أنهم لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وبهذا فنحن لسنا مشركين في الاعتقاد.

وَأَمَّا من حيث العمل؛ فإنهم يقولون: إنَّا لا نعبد هؤلاء الأولياء، ولا الصَّالِحِيْنَ، وَإِنَّمَا نتقرَّب بهم إِلَىٰ الله ليقربونا إِلَىٰ الله؛ لأنَّ لهم مقامًا وجاهًا عند الله عَزَّوَجَلَّ، وأرواحهم الطاهرة عند الله تَعَالَىٰ، كما قَالَ الله عن الشهداء: إنهم أحياء عند ربهم.

فقالوا: إِنَّمَا نتقرب بهم لما لهم من الجاه العظيم، المنزلة الكبرى عند الله، وأرواحهم عند الله، فلو سألوا الله لنا لا يردهم، فنتوسَّط بهم؛ لأنَّ لسنا أهلًا لأن نسأل الله مباشرة؛ إِذْ أننا مقصرون مذنبون، ونحن بعيدون عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ونظنُّ أنَّا لو سألناه لن يجيبنا، فنحتاج إِلَىٰ قريبٍ منه يقرّبنا إليه، فنحن نطلب من الله بهم، ولا نطلبهم؛ لأنَّا نسألهم ليسألوا لنا ربهم، لا لإعطائنا مباشرة.

وَهٰذَا يا إخوة معنى قولهم: "**نطلب الله بهم**"، أي: نسألهم ليسألوا لنا الله لنا، وليس مرادهم: أنهم يتوسلون بذوات الصَّالِحِيْنَ، فيقولون مثلًا: اللّٰهم يا ربنا نسألك بفلانٍ أن تعطينا كذا؛ لأنَّ هٰذَا من البدع، وليس من الشِّرْك، وَإِنَّمَا مرادهم: أنهم يسألون الصَّالِحِيْنَ، ويدعون الصَّالِحِيْنَ ليقربوهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ زُلفى.

هٰذِه هي الشبهة العظمى لهم، وهم يظنونها طريق الحقِّ، وهي مفتاح جميع الشبه، وإذا كُسرت؛ انكسر ما بعدها؛ ولذلك بدأ بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَهٰذِه الشبهة نقرؤها في كتابات القوم، ونسمعها في تقريراتهم المعاصرة، وسيجيب الشيخ عنها جوابًا قويًّا محكمًا، لا ردَّ له.

(المتن)

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا الْمُبْطِلُ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ.

(الشَّرْحُ)

➢ جواب هذِه الشبهة معاشر المؤمنين من وجوه:

الوجه الْأَوَّل: أنَّا نقول لهم: لا نسلِّم لكم أنكم تعتقدون أنَّ هؤلاء الصَّالِحِيْنَ الَّذِينَ تتقربون إليهم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، فإنَّا نعلمُ وتعلمون في أنفسكم أنَّه لولا اعتقادكم فيهم أنهم

يملكون النفع والضَّرَّ؛ لما تعلقتم هٰذَا التَّعَلُّق بهم، حَتَّىٰ أنكم فِي الشدائد تتعلقون بهم، وتنسون ربكم، فإذا وقع لأحدكم حادثٌ، أو نزلت به مصيبةٌ أو بليَّة؛ لم يخطر عَلَىٰ باله إِلَّا هٰذَا المخلوق الَّذِي يعظِّمه، ونادى: يا سيدي عبد القادر! يا سيدي فلان! يناديه وينسى الله عَزَّوَجَلَّ، وَحَتَّى قَالَ قائلكم: "**إذا أعيتكم الأمور؛ فعليكم بأصحاب القبور!**" تعلقت قلوبكم بها حَتَّىٰ نسيتم ربكم حَتَّىٰ فِي الشدة.

وَهٰذَا الَّذِي لم يقع حَتَّىٰ من المشركين فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَتَّى قَالَ قائلكم بما تنشدونه جميعًا:

إن لـم تكـن في معـادي آخـذًا بيـدي ... فضــلًا وَإِلَّا فقــل: يــا زلَّــة القــدمِ

يـا أكـرم الخلـق مـا لـي من ألـوذ بـه ... سـواك عنـد حلـول الحـادث العمـمِ

فــإنَّ مــن جــودك الــدنيا وضــرتها ... ومــن علومــك علــم اللــوح والقلــمِ

تقولون هٰذَا فِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فكيف تزعمون أنكم تعتقدون فيه أنه لا يملك نفعًا ولا ضرًّا؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! ما تركتم شيئًا لله؟! فَهٰذَا الوجه اَلْأَوَّل.

۞ **والوجه الثَّانِي**: أنَّا لو سلمنا لكم تنزُّلًا أنكم لا تعتقدون ذلك جميعًا، فإنَّ منكم من يعتقده، ويصرِّح به، فيقول: "**إنَّ الولي يرزق، وإنَّ الولي يستطيع أن يخلق الولد في رحم الأمِّ!**"، وقد سمعنا بعض أشياخكم يقول هٰذَا بصوته، يقول: "**إنَّ الولي يستطيع أن يخلق الجنين في رحم الأمِّ! ولو الخوف من اختلاط الأنساب لفعل!**" نعوذ بالله من الكفر! نعوذ بالله من الشِّرْك!

بل منهم من يقول: "**إنَّ الولي يحيي ويرد الأرواح إِلَىٰ الأجساد بعدما تخرج منها!**" وقصصكم فِي الأولياء شاهدة عليكم بذلك.

۞ **الوجه الثَّالِث فِي ردِّ هٰذِه الشبهة**: سلمنا لكم أنكم تعتقدون ما ذكرتم، فإنَّ ذلك لا يجعلكم مفارقين لحال الكفَّار الَّذِينَ بُعث إليهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجعلكم محقِّقين للتَّوحِيْدِ الَّذِي بُعث به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو كان هٰذَا الاعتقاد الَّذِي ذكرتموه كافيًا للسلامة من الشِّرْك، وللدخول فِي التَّوحِيْد الَّذِي يأمر الله عَزَّوَجَلَّ به، وبعث به الرسل جميعًا، وجاء به مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما كان لبعثة سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فائدة! فإنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إِلَىٰ قومٍ يعتقدون ما تعتقدون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، سُبْحَانَ اللَّهِ! ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ أين يذهبون؟ لو كان كلامهم هٰذَا توحيدًا كافيًا؛ لمدحهم الله، ولما قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ مع أنهم قالوا هٰذَا القول، لِمَ؟ لأنهم ما وحَّدوا الله في ألوهيته.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، على غير ذلك من الآيات الصريحة بأنهم يعتقدون أنه لا يرزق ولا يخلق ولا يدبر إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فهم يعتقدون هٰذَا الاعتقاد، ومع اعتقادهم هٰذَا؛ فإنَّ الله ذمهم، وما سمَّاهم موحِّدين، بل سمَّاهم مشركين.

وكذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفارقهم النَّبِيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اعتقادهم هٰذَا، ولو كان هٰذَا الاعتقاد كافيًا في الخروج من الشِّرْك؛ لرحَّب أولئك المشركون بدعوة النَّبِيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم علموا وفهموا أنه يدعوهم مع هٰذَا الاعتقاد إِلَىٰ توحيد العبادة، فنافروه، وقاتلوه، وهم في عبادتهم إِنَّمَا يحتجون بما احتججتم به: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، وَهٰذَا بيِّنٌ من حالهم، فمادام أنهم يعتقدون أنَّ الخالق الله، وأنَّ الرازق الله، وأن المدبِّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنهم ما عبدوا معبوداتهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ إِلَّا لتقربهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ زُلفى؛ لاعتقادهم أنَّ هٰذِه المعبودات أولياء، ولها جاهٌ ومنزلةٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكان أولئك المشركون يقولون ما جاء عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حيث قَالَ: كان المشركون يقولون: "لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ"، فيقول رسو الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» يعني: فقوا نها،

"**فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ**" رواه مسلمٌ في "**الصحيح**". وَهٰذَا الحال هو عين حالكم أَيُّهَا الزاعمون أنكم لا تشركون بالله عَزَّوَجَلَّ.

الوجه الرَّابع في ردِّ هٰذِه الشبهة: أن نقول لهم: هٰذِه سنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أيدينا، وَهٰذِه سيرة نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أيدينا، وَهٰذِه سيرة الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم بين أيدينا، كأننا نعيش معهم، فهل حالهم فيها شيءٌ من حالكم، أو حالهم مفارقة لحالكم بالكلية؟ وهل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتضى حالًا تشبه حالكم، أو ارتضى شيئًا من حالكم؟ لا والله.

إنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عَلَىٰ حالٍ مفارقةٍ لحالكم تمامًا، ألم يمت الشهداء في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أحياءٌ عند ربهم أرواحهم عند ربهم؟ هل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرَّب إِلَىٰ الله بواسطتهم؟ هل سألهم الله؟ هل قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشهداء: اسألوا الله لنا، فإنكم عند ربنا؟ هل الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم علمهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتخذوا الشهداء زلفى ووسائط ليقربوهم إِلَىٰ الله؟ لا والله، حال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفارقٌ لحالكم، وحاله مع الشهداء وَالصَّالِحِيْنَ مفارقٌ لحالكم، وهكذا حال الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وهكذا حال التَّابِعِيْنَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهكذا حال الأئمة الأربعة رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، ما لكم كيف تحكمون؟

الوجه الخَامِس في ردِّ هٰذِه الشبهة: أن نقول لهم: أنكم لو كنتم صادقين في اعتقادكم هٰذَا بتوحيد الله في أفعاله؛ فإنه يلزمكم لزومًا لا انفكاك عنه أن توحدوه في العبادة، فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية؛ لزمه أن يعبد هٰذَا الرَّبّ المدبر المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: "**سَأَلْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وفي روايةٍ عند الشيخين أَيْضًا: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، هٰذَا يدل عَلَىٰ أنَّ خلق الله لك يقتضي أن توحده في العبادة، فكان أعظم الظُّلْم أن تجعل لله ندًّا، أن تدعو من دون الله ندًّا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذِي خلقك، لَا شَكَّ أنَّ من آمن بالله، وآمن بربوبية الله يجب عليه أن يوحِّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذا عرفت هٰذَا وأحكمته؛ فقد سددت الباب وأحكمته إحكامًا مغلقًا، لا يستطيع مغالطٌ أن يغالطك في الباب، ولا يستطيع قويٌّ أن يهزَّ نخلة الإيمان وَالتَّوحِيْد الَّتِي أنت عليها.

- وبإمكانك أن تقرِّر الجواب بطريقةٍ أخرى، بأن تقول له: أنا وأنت مقرُّون بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل رسوله مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ قومٍ مشركين، ودعاهم إِلَىٰ التَّوحِيْد، فنفروا من دعوته، وآذوه، وآذوا أصحابه، وفارقهم النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقاتلهم، وتوعدهم بالخلود في النَّار إن ماتوا عَلَىٰ حالهم، فهل تُقِر معي بذلك؟ لَا شَكَّ أنه سيُقِر، ويقول لك: أنا مؤمنٌ بهذا.

- فتقول له: تعال إذًا لننظر في حال أولئك المشركين وكيف كان شركهم، وتقرِّر له ما تقدَّم من إقرارهم بربوبية الله، وأنَّ إشراكهم كان في توحيد العبادة، للتَّقَرُّبِ بالأولياء إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتقرِّر له بالأَدِلَّةِ أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يقرّهم عَلَىٰ ذلك، ولم يجعلهم بذلك مسلمين، ولم يخرجهم بذلك من الشِّرْك بالله.

- ثُمَّ تبيِّن له أنَّ حاله يطابق حال أولئك المشركين.

- ثُمَّ تبيِّن له أن توحيده وإقراره بتوحيد الربوبية يستلزم أن يوحِّد الله في ألوهيته.

- ثُمَّ تبيِّن له أنَّ عدم توحيده في العبادة دليلٌ عَلَىٰ خللٍ عنده في توحيد الربوبية، وإن ظنَّ أنه موحدٌ في ذلك.

وبهذا ترد الشبهة، فإن كان مغترًّا بها؛ يتركها، وإن كان مكابرًا مستكبرًا؛ فإنَّ ذلك لا ينفع فيه علاج، لكن يقوم الإنسانُ بما عليه من البيان.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيفَ تَجْعَلُونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟! أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامـًا؟!

(الشَّرْحُ)

هٰذِه شبهة ثانية، ومراد الشيخ: إذا أورد عليك موردٌ هٰذِه الشبهة استقلالًا، فَقَالَ لك: إنَّ هٰذِه الآيات الَّتِي تستدل بها عَلَىٰ الشِّرْك إِنَّمَا نزلت فيمن يعبد الأصنام، فيمن يعبد الجمادات المصورة، فكيف تستدل بها علينا ونحن نعظِّم الأنبياءَ، ونعظِّم الأولياءَ، ونعظِّم الصَّالِحِيْنَ؟ أتجعل الأنبياءَ وَالصَّالِحِيْنَ كالأصنام؟!

أو أورد عليك هٰذِه الشبهة ليتخلَّص من جوابك عن الشبهة الأولى، حيث لزمه أن يُقِر بما تقدم، فيريد أن يتخلَّص من هٰذَا، فيقول لك: إنَّ حالنا يختلف عن حالهم، وكيف يختلف؟ يقول: هم يعبدون

أصنامًا، أما نحن فنحن نتقرَّب إِلَىٰ مسلمين مؤمنين، إِلَىٰ الأنبياء، إِلَىٰ الأولياء، إِلَىٰ الصَّالِحِيْنَ، ففرقٌ بيننا وبين أولئك المشركين.

➢ **طبعًا يا إخوة! هذه الشبهة تضمنت تلبيسًا كبيرًا من جهتين:**

⇦ **الجهة الأُوْلَىٰ:** إيهام العوام أنَّ أهل التَّوحِيْد يتنقصون الصَّالِحِيْنَ، حيث يجعلون الصَّالِحِيْنَ كالأصنام! وَلَا شَكَّ أنَّ العامي إذا سمع هٰذَا سينفر.

⇦ **والجهة الثانية:** التلبيس بأنَّك إذا قلت: إنَّ الولي لا يُدْعَى من دون الله، كأنك سببته، وجعلته صنمًا، وَهٰذَا ما ينفِّر العامة من هٰذِه العقيدة، وستسمع الجواب عن هٰذِه الشبهة في كلام الشيخ.

(المتن)

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَّارَ يَشْــهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمن مَا قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ، وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ.

(الشَّرْحُ)

يعني مراد الشيخ: أنَّه إذا أورد عليك هٰذِه الشبهة ليتخلَّص من التقرير اَلْأَوَّل الَّذِي دمغته به، ليقول: إنَّ بيننا وبين أولئك المشركين فارقًا، وهو: أنهم يعبدون الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، وَإِنَّمَا نجعل الأولياء وَالصَّالِحِيْنَ وسيلتنا إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ: مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الصَّالِحِيْنَ وَالأَصْنَامَ.

(الشَّرْحُ)

جواب هٰذِه الشبهة أن تقول له: لا نسلِّم لك أنَّ المشركين الَّذِينَ بُعث النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوهم إِلَىٰ التَّوحِيْد كانوا يعبدون الأصنام فَقَطْ، وذلك من وجهين:

الوجه اَلْأَوَّل: أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إِلَىٰ النَّاس كافَّة، فلم يُبعث إِلَىٰ قريشٍ فَقَطْ، بل بُعث إِلَىٰ النَّاس كافة، بُعث إِلَىٰ الَّذِينَ يعبدون عزيرًا، بُعث إِلَىٰ من يعبدون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بُعث إِلَىٰ من يعبدون مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، بُعث إِلَىٰ من يعبدون الملائكة، فلم تكن بعثة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ قومٍ يعبدون الأصنام فَقَطْ، ودعاهم جميعًا إِلَىٰ ترك الشِّرْك بالله عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَىٰ التَّوحِيْد.

والوجه الثَّانِي: لا نسلِّم لك أنَّ كفَّار قريش كانوا يعبدون الأصنام الَّتِي هي جمادات مصورة، وذلك أنَّ قريشًا ومن يعبدون الأصنام، إِنَّمَا يعبدونها لأنهم يعتقدون أنَّ أرواحًا طاهرةً تحلُّ فيها، أو لأنَّها صورٌ لرجالٍ صالحين، فهي رمزٌ لرجالٍ صالحين، فَهٰذَا من وجهٍ.

(المتن)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

(الشَّرْحُ)

منهم من كان يعبد رجالًا صالحين قد ماتوا، ويقولون: إنهم أولياء، ويدعونهم من دون الله، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: أولئك الَّذِينَ يدعوهم هؤلاء المشركون، ما حال أولئك المدعوين؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ فقراء، لا يملكون شيئًا، فقراء إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، يسألون الله، ويدعون الله بحاجة إِلَىٰ أنَّ الله يرزقهم، فهم يُرزقون ولا يرزقون، بحاجة إِلَىٰ أن يدبر الله أمورهم، فهم مُدبَّرةٌ أمورهم، لا يدبِّرون، يتقربون إِلَىٰ الله، فدلَّت هٰذِه الآية عَلَىٰ أنَّ من المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ بُعث إليهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يعبدون رجالًا صالحين، عبدوهم لصلاحهم، وجعلوهم واسطةً بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

وَيَدْعُونَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

(الشَّرْحُ)

نعم، فمنهم من كان يعبد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعبده من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فلم تكن عبادتهم مقصورة عَلَىٰ الجمادات.

(المتن)

وَاذْكُرْ له قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

(الشَّرْحُ)

وَهٰذِه الآية تدلّ عَلَىٰ أنَّ من المشركين من كان يعبد الملائكة، ويتقرَّب إليهم لقربهم من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومنهم من كان يعبد الجنَّ؛ إمَّا مباشرةً، فكانوا يتقرّبون إِلَىٰ الجنِّ خوفًا ورغبةً، وَإمَّا بواسطة، فإنَّ الجنَّ يوحون إليهم كلامًا يوهمونهم به أنهم يعبدون الملائكة، وهم في الحقيقة إنَّما يعبدون هؤلاء الجن.

(المتن)

وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

(الشَّرْحُ)

فكل هٰذَا يدل عَلَىٰ أنَّ المشركين في زمن النَّبِيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم تكن عبادتهم قاصرةً عَلَىٰ الأصنام، بل كانوا يعبدون رجالًا صالحين، وكانوا يعبدون بعض الأنبياء عَلَيْهِمَالسَّلَامُ، وكانوا يعبدون الملائكة، وكانوا يعبدون الجن، ويجمع كل ما عبده المشركون من قريشٍ وغيرهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢﴾ [النحل: ٢٠ - ٢٢].

فَهٰذِه الآية العظيمة الشريفة تدلُّ عَلَىٰ أنَّ ما يدعوه المشركون من دون الله عَزَّوَجَلَّ منهم ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾، وَهٰذَا يدل عَلَىٰ ماذا يا إخوة؟ يدل عَلَىٰ أنهم كانوا أحياء ثُمَّ ماتوا؛ لأنه لا يوصَف بالميت أو الموت إِلَّا من كان حيًّا، ثُمَّ مات، فيدل هٰذَا عَلَىٰ أنهم ما كانوا يعبدون الأصنام فَقَطْ، فإنَّ الأصنام

فَقَطْ ما يُقال فيها: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾، فدلَّ هٰذَا عَلَىٰ أنهم كانوا يعبدون أُناسًا صالحين في ظنهم، كانوا أحياءً ثُمَّ ماتوا.

ويزيد ذلك توكيدًا: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ فهم سيُبعثون، وَالَّذِينَ يُبعثون إِنَّمَا هم من كانوا أحياءً ثُمَّ ماتوا.

ويجمع كل المعبودات عَلَىٰ الإطلاق: أنهم مخلوقون غير خالقين، ثُمَّ بيَّن الله هٰذِه الكلية المحكمة بقوله: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فالمستحق للعبادة واحد، فكل من عبد من دون الله؛ من الملائكة، والأولياء، والأنبياء، وَالصَّالِحِيْنَ، وَالشَّمْس، والقمر، والحجارة، والأوثان، والأصنام؛ فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: عَرَفْت أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشَّرْحُ)

أي: قل له: هل عرفت بما تقدَّم أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاملهم جميعًا معاملةً واحدةً، فلم يفرِّق بينهم؟ فقاتل جميعهم عَلَىٰ التَّوحِيْد، ودعاهم جميعًا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وما فرَّق بينهم في وصف الشِّرْك، ما وصف عُبَّاد الأصنام بأنهم مشركون، ووصف غيرهم بوصفٍ آخر، بل عاملهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاملةً واحدةً، فتبيَّن بهذا أنَّه لا فرق بين حالكم وحال أولئك الكفَّار، أنتم تعبدون رجالًا صالحين، وتعبدون القبور، بحجة أنهم يقربونكم إِلَىٰ الله زُلفى، وأولئك المشركون كانوا يعبدون رجالًا صالحين، لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون بذاتهم، لكنهم يقولون: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فاندفع ما زعمته من فارقٍ بينكم وبينهم.

ثُمَّ بَيِّن له أنَّا لا نجعل الصَّالِحِيْنَ والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مثل الأصنام، بل نحن نعتقد فضلهم، ونجلهم، ونحبهم، ونجعلهم في منزلتهم الَّتِي جعلها الله لهم، ونتبعهم، ونسير عَلَىٰ طريقتهم، وننزههم عن الشِّرْك، وننزههم عن أن يكونوا معبوداتٍ من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وندافع عنهم، وندافع عن دينهم.

أما أنتم؛ فأنتم الَّذِينَ جعلتم الأنبياء وَالصَّالِحِيْنَ كالأصنام، حيث عبدتموهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فخالفتموهم، وأنزلتموهم عن منزلتهم حيث غلوتم فيهم، والغلوُّ: إنزالٌ عن المنزلة كالجفاء، من زاد في منزلة إنسان فقد أنزله عن منزلته، فالغلوُّ والجفاء فيهما إنزالٌ عن المنزلة؛ لأنكم لمَّا غلوتم في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لمَّا غلوتم في سيدنا وحبينا وقرة أعيننا نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعلتم له ما لله عَزَّوَجَلَّ؛ والله قد أنزلتموه عن منزلته؛ لأنَّ منزلته العظمى: أنه رسول الله الَّذِي دعا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وحقَّق التَّوحِيْد، ونهى عن الشِّرْك، فأنتم قادحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما نحن أهل السُّنَّة، أهل التَّوحِيْد؛ فإننا عرفنا للأنبياء منزلتهم، وأنزلناهم منازلهم، وعرفنا فضلهم، وسرنا عَلَىٰ طريقهم، واهتدينا بهداهم، ودعونا إِلَىٰ دينهم، ودافعنا عن دينهم، ودافعنا عنهم، هٰذَا يا إخوة ينبغي بيانه؛ لأنَّ أهل الانحراف بشتَّى صورهم يحاولون أن يوهموا العامَّة أنَّ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يعرفون للأنبياء فضلهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا يعرفون للأولياء وَالصَّالِحِيْنَ مقامهم ومنزلتهم، فينبغي بيان ذلك.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونكمل هٰذَا التقرير النفيس العظيم البديع الَّذِي قرَّره هٰذَا الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونجيب عن شيءٍ من الأسئلة، نجيب عن سؤال أو سؤالين، الوقت ضاق.

الأسئلة

السؤال: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، نفعنا الله بما سمعنا! أحسن الله إليكم! هٰذَا يقول: رجلٌ حان وقت إحراج زكاته، وله أخٌ مدين، يقول: والمشكلة أن غرماءه فيهم إجرام، والغالب: أنَّ المال الَّذِي أقرضوه إياه حرام، فهل يجوز إعطاء هٰذَا الأخ الزَّكَاة لسداد دينه؟

الجواب: أعد.

السؤال: يقول: رجلٌ حان وقت إحراج زكاته، وله أخٌ مدين، والمشكلة أن غرماءه فيهم إجرام، والغالب: أنَّ المال الَّذِي أقرضوه إياه حرام، فهل يجوز إعطاء هٰذَا الأخ الزَّكَاة لسداد دينه؟ علمًا بأنَّ غرماءه يهددونه.

الجواب: ينبغي أن نعلم أنَّ الغارم المدين من أهل الزَّكَاة، لكن التحقيق في الباب: أنه لَا بُدَّ من النظر إِلَىٰ سبب دينه، فإن كان سبب دينه محرَّمًا، كأن كان يشتري المخدرات والمسكرات والدخان، ويستدين من أجل هٰذَا فَقَطْ، أو كان سبب دينه سرفًا وتبذيرًا؛ فإنه لا يكون من أهل الزَّكَاة، ولا يُعطى من الزَّكَاة.

فإذا علمت أنَّ سبب دين أخيك إِنَّمَا هو الحرام فَقَطْ لا يخلطه شيء، أو السرف والتبذير فَقَطْ لا يخلطه شيء؛ فلا تعطه من الزَّكَاة.

إِلَّا أن يُحدِث توبةً تعلمها، فإنه يُعطى ليعان بذلك عَلَىٰ هٰذِه التَّوبَة.

أما إذا لم تعلم ذلك في سبب الدين؛ فإنَّ المدين من أهل الزَّكَاة، فتعطيه من الزَّكَاة، ولو كان سيدفع ذلك مثلًا إِلَىٰ شخص صاحب باطل أو نحو ذلك، لكنه استدان منه دينًا يجب عليه رده، ولم يكن سبب ذلك حرامًا هو مستمرٌّ عليه لم يتب منه، ولا إسرافًا ولا تبذيرًا.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذِه سائلة تقول: أنها حلفت مرات كثيرة، ولا تعلم عددها، ولم توفِ ولم تستطع دفع الكفارة، فماذا عليها؟

الجواب: أولًا: ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن يتحفظ في اليمين، وألَّا يتساهل في الحلف بالله، فإنَّ شأن الله عظيم، ولا يُحلف به إِلَّا عند الحاجة، ولا يُسأل به إِلَّا عن شيءٍ عظيم، أو في شيءٍ عظيم، وتساهل النَّاس في اليمين وفي الأيمان أمرٌ ينبغي زجرهم عنه، وينافي تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينبغي عَلَىٰ المسلم أن يعوِّد نفسه ضبط لسانه في الأمور كلها، وضبط لسانه في اليمين، وألَّا يتساهل في الأيمان.

ثُمَّ إنَّ اليمين الَّتِي ترد عَلَىٰ لسان الإنسان من حيث الأصل عَلَىٰ نوعين:

﴿ النَّوْع اَلْأَوَّل: لا يريدها، ولا يريد عقدها، ولا يريد التأكيد بها، وَإِنَّمَا تجري عَلَىٰ لسانه جريانًا، كقول بعض النساء مثلًا بعض الأمهات لأبنائهن: والله أضربك، والله إذا مسكت سأضربك، والله كذا، وهي لا تريد هٰذَا، أو قول الشخص لآخر -كما يقول العامة: من وراء قلبه-: والله تتغدى عندنا، وهو يقول: يا رب ما يأتي! هٰذَا لغو ينبغي عَلَىٰ الإنسان أن يتحرَّز عنه، لكن ما يترتب عليه شيء.

﴿ وَإِنَّمَا الَّذِي تترتب عليه الأحكام: اليمين المنعقدة، الَّتِي أراد قائلها اليمين، وقصد اليمين، وعقد اليمين، فَهٰذِه يترتب عليها إذا كانت فيما يفعله الإنسان في المستقبل، لا في خبرٍ عن ماضٍ، أو في الحاضر، يفعله في الحاضر لا في خبرٍ عن ماضٍ، فإنه إن فعل؛ برَّت يمينه، وإن لم يفعل؛ فإنه يلزمه كفَّارة اليمين.

وكفَّارة اليمين كما هو معلوم: أن يُعتق رقبة، أو يُطعم عشرة مساكين، أو يكسوهم، فإن كان لا يستطيع كل هٰذَا؛ فإنه يصوم ثلاثة أيام، أما مبادرة العامة للصِّيَام؛ فيحلف أحدهم، ثُمَّ يقول: الله يعينني عَلَىٰ صيام ثلاثة أيام، وهو يستطيع أن يطعم عشرة مساكين؛ فَهٰذَا لا ينفعه ولو صام مائة يوم، إِنَّمَا الصوم في كفَّارة اليمين للعاجز عن الإعتاق، أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

وَهٰذِه الأخت لا ندري عن حال أيمانها، لكن إذا كانت منعقدة:

☜ فَالَّذِي أُفتي به أنا: إن كانت هٰذِه الأيمان معلومة محفوظة؛ فإنه يُكفَّر عن كل يمين ولا تتداخل، وإن قَالَ بعض الفقهاء بالتداخل مع اختلاف الأيمان، نعم إذا كان اليمين عَلَىٰ شيءٍ واحد.

- مثلًا قَالَ إنسان: والله لا أزور أخي، ثُمَّ بعد أسبوع قَالَ: والله لا أزور أخي، ثُمَّ بعد شهر قَالَ: والله لا أزور أخي، ثُمَّ زاره مرة؛ فإنه يكفر كفارة واحدة.

- لكن إذا تعددت الأيمان، وحنث الحالف فيها، وهي محفوظة؛ فإنها لا تتداخل، بل يكفِّر عن كل يمينٍ كفَّارة.

☜ أما إذا لم تكن محفوظة؛ فإنَّ الَّذِي أفتي به -واللهُ أَعْلَمُ-: أنها تتداخل، ويكفِّر كفَّارةً واحدة عن كل ما لم يحفظه، ويستغفر الله لعدم ضبطه، هٰذَا الَّذِي يظهر لي في المسألة -واللهُ أَعْلَمُ-.

وفَّق الله الجميع، وتقبَّل الله من الجميع.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بعْدُ؛

فيا معاشر الفضلاء؛ يا أتباع خير رُسل الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فضَّل يومًا من أيام الأسبوع عَلَىٰ سائر الأيام، فعلمت اليهود ذلك، فطلبت فضله، رجاء أن تكون من أهل ذلك الفض؛ فأضلها الله عن ذلك اليوم، فكان يومها يوم السبت، وطلبت النصارى فضله، رجاء أن يكونوا أهل ذلك الفضل؛ فأضلهم الله عَزَّوَجَلَّ عنه، فكان يومهم يوم الأحد، وهدى الله عَزَّوَجَلَّ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته إِلَىٰ ذلك اليوم، فكان يومنا يوم الجمعة، وهو اليوم الَّذِي فضَّله الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ سائر أيام الأسبوع.

ثُمَّ إنَّ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع هٰذَا الإكرام لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكرمها بفضائل في ذلك اليوم، ومن تلك الفضائل العظيمة: أنَّ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل في يوم الجمعة ساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ قائمٌ يصلي، يسأل الله شيئًا إِلَّا أعطاه إياه، ويوم الجمعة هنا يبدأ من الفجر عَلَىٰ الراجح إِلَىٰ غروب الشَّمْس، فساعة الإجابة هي في هٰذَا الوقت، وأصح ما قيل فيها: ما ذهب إليه السَّلَف، وهو عَلَىٰ قولين:

- **القول ٱلْأَوَّل**: إنَّها في وقت صلاة الجمعة، منذ أن يصعد الخطيب عَلَىٰ المنبر إِلَىٰ أن يفرغ من صلاة الجمعة.

- **والقول ٱلثَّانِي** -والقائلون به أكثر، وهو أقوى من ٱلْأَوَّل-: أنَّ وقت ساعة الإجابة في يوم الجمعة هو بعد العصر من يوم الجمعة، أي: في وقتنا هٰذَا، وقد أخبر النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه «**لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»، وهل قول النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَائِمٌ يُصَلِّي**» شرطٌ لحصول هٰذِه الفضيلة أم لا؟

✍ **الأقرب** -واللهُ أَعْلَمُ-: أنه شرط؛ لتحصيل هٰذِه الفضيلة، والمسلم إذا صلَّى العصر، وبقي في المسجد بعد الصَّلَاة؛ فإنه في صلاة، وإنه كالقائم الَّذِي يصلي، فيتحقَّق فيه هٰذَا الوصف، ثُمَّ يظهر لي -واللهُ أَعْلَمُ- أنَّ من كان معذورًا في حضور الجماعة، كالمريض أو من لم تُطلب منه الجماعة، كالمرأة أنه إن صلَّى في بيته، وقعد في مصلاه؛ ينطبق عليه هٰذَا الحال، ويُرجى له الفضل؛ لأنه معذورٌ أو لم يُطلب منه أن يكون في المسجد.

↩ وهل يعني هٰذَا: أنَّ المسلم إذا خرج بعد صلاة العصر من المسجد لا يدعو الله يوم الجمعة؟

✍ **نقول**: لا، بل يدعو الله، ويرجو أن يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ له، لكنَّ الخبر الوارد عن النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِنَّمَا هو فيمن صلَّى العصر وبقي في المسجد، وأخذ يدعو الله عَزَّوَجَلَّ، **فأوصي نفسي وإخواني** بكثرة الْدُّعَاء في هٰذَا الوقت ما بين العصر والمغرب من يوم الجمعة، ادعوا لأنفسكم، وادعوا لأهليكم، وادعوا لأقاربكم، وادعوا لجيرانكم، وادعوا لأحبابكم، وادعوا لولاة أمركم، فإنَّ من علامات أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: أنهم يدعون لولي الأمر؛ لأنهم يحبون صلاحه، ويحبون أن يكون عَلَىٰ خير، وادعوا لعلمائكم أن يعينهم الله، وأن يسددهم ويوفقهم، ويحفظهم، وادعوا لإخوانكم في سائر البلاد عمومًا، وفي البلدان الَّتِي تعظم حاجة إخوانكم إِلَىٰ الْدُّعَاء لهم، كإخواننا في السودان، أطفأ الله عنهم الحرب، ودفع عنهم الفتن، ونصر أهل الحقِّ بالحقِّ، وإخواننا في فلسطين، أعزَّهم الله، ونصرهم وحفظهم، ودفع عنهم شرور المعتدين من أي جهةٍ كانت، وادعوا لإخوانكم في ليبيا، وحَّد الله صفَّ أهلها عَلَىٰ الحق، ودفع عنهم الشرور، وهكذا في سائر بلدان المسلمين.

واجعلوا في دعائكم كثرة الصَّلَاة عَلَىٰ نبيكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لتفوزوا مع ما في الصَّلَاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من فضل، تفوزوا بأمرين عظيمين:

⇦ **الأمر اَلْأَوَّل**: عملكم بوصية رسولكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث أوصاكم بأن تكثروا من الصَّلَاة عليه في يوم الجمعة، وأخبركم أنَّ صلاتكم معروضة عَلَىٰ نبيكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإذا صلى العبد عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في يوم الجمعة؛ فإنَّ صلاته تُعرض عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عرضًا، وَهٰذَا أبلغ وأشرف من الإبلاغ، فتُعرض عرضًا، ما أكرمه من مقام أن يُقال لنبيك صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: هٰذِه صلاة فلانٍ

عليك، تُعرض عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله لو أدركنا هٰذَا الفضل حقًّا؛ لأكثرنا من الصَّلَاة عَلَىٰ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الجمعة إكثارًا عظيمًا.

والأمر الثَّانِي: أن يكون ذلك من أسباب إجابة الْدُّعَاء، فإنَّ من أسباب إجابة الْدُّعَاء: أن يصلي الداعي عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه.

فأوصي نفسي وإخواني بهذا الأمر العظيم، وأن لا نغفل عنه، فإنَّا والله لا ندري كم بقي لنا من الجمع في هٰذِه الدنيا، فعلينا أن نغتنم حياتنا، والله إنها ستمرُّ مرَّ الصَّوْت، ومرَّ البصر، كما مرَّ ما مضى، إني والله لأنظر إِلَىٰ ما يقرب من ستين عامًا قد خلفتها وراء ظهري، والله كأنها لحظة! وإنَّ القادم سيمر، وسينادى علينا بالموت، وسيُصلى علينا، وسنُقبر في قبورنا.

✔ **فالموفَّق منَّا وَالنَّاصِح لنفسه** مَنْ مهَّد لذلك اليوم، من عمل في أيامه هٰذِه ليُقال له إذا حضرته الملائكة: «**أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ**».

✔ **والموفَّق منَّا** مَنْ مهَّد ليومٍ يُحمل فيه عَلَىٰ الأعناق، فيقول: «**قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي**» يسمع صوته كل شيءٍ إِلَّا الإنسان.

✔ **الموفَّق منَّا** مَنْ جعل بقيَّة أيامه تمهيدًا لكي ينجو عند الفتنة في القبر، ولكي يكون من الْمُنَعَّمين الَّذِينَ يُنادى: «**أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**» لكي ينام في قبره نومة العروس، منعَّمًا من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✔ **الموفَّق منَّا** مَنْ اغتنم بقيَّة أيامه لكي يكون عند لقاء الله مسرورًا، لكي يكون عند إيتائه كتابه بيمينه مسرورًا، لكي يتَّبع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الجنَّة، ويدخل الجنَّة.

أَيُّهَا الفضلاء؛ إنَّ أعمارنا قسمان:

⇦ **قسمٌ مضىٰ**: فَأَمَّا ما فيه من خيرٍ؛ فهو محفوظٌ عند ربنا، يُنمَّى لنا، لن نفقد منه شيئًا، وَأَمَّا ما فيه من شرٍّ؛ فإنَّا نستطيع هدمه في لحظة، ما هي إِلَّا لحظة صدقٍ يصدق فيها الإنسان، فيقدِّم توبةً صادقة من ذنوبه الماضية، مهما كانت كبيرة، ومهما كانت كثيرة، إن صدق في توبته؛ تُهدم هدمًا، ولا يبقى منها شيء.

⇦ **وَأَمَّا القسم الثَّانِي من أعمارنا**: فهو أيام قادمةً نرجوها، هي في علم الغيب لا ندري عن عددها، ولا ندري مَتَىٰ تنتهي، فعلينا معاشر الفضلاء أن نغتنم هٰذَا الباقي، بأن نكون فيه من المحسنين، وأن نجاهد أنفسنا عَلَىٰ الثبات عَلَىٰ طاعة الله، وعَلَىٰ الإكثار من طاعة الله، وعَلَىٰ البُعد عن معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لعلنا أن نكون في الآخرة من الفائزين.

وفَّق الله الجميع إِلَىٰ ما يحبُّ ويرضى، وجعلنا جميعًا من عباده الصَّالِحِيْنَ.

ﮋ معاشر الفضلاء؛ إنَّ درسنا في مسجد نَبِيِّنَا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درسٌ يتعلَّق بحماية التَّوحِيْد، بحماية جناب التَّوحِيْد، الَّذِي بُعث به مُحَمَّد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعا إليه مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما زال يدعو إليه من أول يومٍ بُعث فيه إِلَىٰ آخر يومٍ كان له في الدنيا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا المشركين إِلَىٰ التَّوحِيْد، وكان يدعو أصحابه إِلَىٰ التَّوحِيْد، وكان يأمرهم بِالتَّوحِيْد، ويحذرهم من الشِّرْك، إنَّ نَبِيَّنَا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علينا من الشِّرْك، وحذَّرنا من الشِّرْك، ونهانا عن الشِّرْك.

وَهٰذَا الدرس الَّذِي نقيمه في مسجد نَبِيِّنَا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحقِّق مقصود الشارع من حماية التَّوحِيْد، والحذر من الشِّرْك، والبعد عنه، حيث نشرح كتاب "**شف الشبهات**" لشيخ الإسلام الإمام المُجدِّد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وقد شرعنا في قراءة الكلام عن الجواب المُفَصَّل عن الشبه الَّتِي يوردها المنحرفون في باب التَّوحِيْد، الَّذِينَ يدعون الأموات من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ويستغيثون بالأموات من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وألقى عليهم الشيطان شبهاتٍ حَتَّىٰ لا يعودوا إِلَىٰ التَّوحِيْد، وصاروا هم يلقونها عَلَىٰ النَّاس، ويرددونها عَلَىٰ مسامعهم.

وقد وقفنا مع شبهتين، عرفنا حقيقتها، وعرفنا الجواب المُفَصَّل عنها، ونواصل قراءة ما سطره الشيخ، ونعلِّق عليه، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمامُ المُجدِّد شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ، وَلَكِنْ أَقْصُدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

(الشَّرْحُ)

هٰذِه الشبهة الثالثة من شبه الَّذِينَ يستغيثون بالأموات، ويسألون الأموات، ويتقربون لهم بِالنَّذْر والذبح وغير ذلك، وقد يوردها المورد منهم مستقلةً، فيقل: فعلنا هٰذَا مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأولياء الصَّالِحِيْنَ ليس شركًا بالله، وليس من جنس فعل المشركين؛ لأنَّا لا نعتقد أنَّ لهم تأثيرًا وتدبيرًا، ولا نريد منهم، وَإِنَّمَا نريد من الله بواسطتهم؛ لِمَا لهم من الجاه والمنزلة العظمى عند الله، بخلاف حال الكفَّار، فإنَّهم يريدون منهم، ويعتقدون أنَّ لهم تأثيرًا وتدبيرًا.

وهكذا يورِد الموردون هٰذِه الشبهة، وقد يوردها المورد منهم ليتخلَّص مِمَّا ذكرته وبيَّنته له بالأَدِلَّةِ، بأنَّ حال أولئك العُبَّاد للصَّالِحِيْنَ والأولياء يطابق حال أولئك المشركين الَّذِينَ نزل فيهم القرآن، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمَّاهم: "مشركين"، فيورد عليك ليتخلَّص من هٰذَا: أنَّ هناك فرقًا بين الحالين من جهة الإرادة والقصد، يعني: من جهة المقصود.

- تذكروا يا إخوة: أنه في الشبهة الثانية قد أورد أنَّ هناك فرقًا بين الحالين من جهة المعبود، ورددنا كلامه.

- هنا في هٰذِه الشبهة يورد فرقًا من جهة المقصود، فيقول: إنَّ أولئك الكفار يريدون من معبوداتهم؛ لأنهم يعتقدون أنَّ لها تأثيرًا وتدبيرًا، أما نحن فنريد من الله، ولا نريد من الأولياء والأنبياء، وَإِنَّمَا نسألهم ونستغيث بهم لأنَّ لهم جاهًا ومنزلةً عند الله، ليقربونا إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليعطينا بواسطتهم.

إذا أورد المورد هٰذِه الشبهة، وظنَّ أنه أقام حجة؛ فاعلم أنها أوهى من بيت العنكبوت، وقد عرفت -وفَّقك الله- كيف تجيب الجواب الْمُجْمَل عنها فيما تقدَّم بيانه، وَأَمَّا الجواب المُفَصَّل؛ فيُجاب

عن هٰذِه الشبهة بأن يُقال: إنَّ هٰذَا لا ينفعك شيئًا، بل الحال هو الحال، ولا فرق بين الحالين، ويظهر هٰذَا من وجوه:

الوجه ٱلْأَوَّل: أنّكم يا من تزعمون هٰذَا الزعم تشتركون مع الكفَّار الَّذِينَ نزل فيهم القرآن في اعتقاد جنس عدم التَّدْبِير وَالتَّأْثِير، وقد ذكرنا لكم بعض الأَدِلَّة الَّتِي تدلُّ عَلَىٰ ذلك عند مشركي قريشٍ فيما تقدَّم، وأنتم تخبرونا عن أنفسكم بهذا.

أما وجود نوع من التَّدْبِير وَالتَّأْثِير؛ فأنتم تتفقون عليه، وتشتركون فيه، وَإِلَّا لما تقرَّبتم إليهم، كل عاقلٍ يُدرك أنَّ المشركين كانوا يتقرَّبون إِلَىٰ أوليائهم، وَإِلَىٰ الملائكة؛ لأنهم يعتقدون أنَّ لهم نوعًا من التَّدْبِير وَالتَّصَرُّف، وإن كانوا يقرّون بأنَّ الخالق هو الله، والرزَّاق هو الله، والمدبِّر هو الله، وأنتم تقولون وتخبرون عن أنفسكم: أنكم تؤمنون أنَّ الخالق هو الله، وأنَّ الرزَّاق هو الله، وأنَّ المدبِّر هو الله، وأنَّه لا ينفع ولا يضر أحدٌ من دون الله، ولكنكم تعتقدون أنَّ لمن تتقرَّبون إليه نوعًا من التَّدْبِير وَالتَّصَرُّف، وَإِلَّا لما تقربتم إليه، ولما كان لفعلكم فائدة، ولكان عبثًا، بل إنَّ هٰذَا في حالكم أظهر من الكفَّار الَّذِينَ نزل فيهم القرآن، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقصصكم الَّتِي تذكرونها وتكبرون عند ذِكرها، وتطربون لذكرها، وتتمايلون عند ذكرها؛ كلها فيها التَّصَرُّف والفعلُ من أولئك الأموات، فتزعمون أنَّ الولي جاء ففعل، ألا تذكرون أنَّ امرأةً أتت إِلَىٰ وليٍّ وقالت: "**إنَّ ملك الموت قد قبض روح ابني، فصعد الوليُّ وطار في السماء، وأدرك ملك الموت في طريقه وهو يحمل الأرواح في زنبيل، ثُمَّ إنه لم يعرف روح ذلك الولد، فأخذ الزنبيل ونثره، فعادت الأرواح لكلِّ الأموات في تلك الليلة!**" تقرؤون هٰذَا وتكبرون وتطربون وتتمايلون، أليس في هٰذَا التَّصَرُّف من الولي؟!

بل إنكم تسيئون الظَّنّ بالله، وتحسنون الظَّنّ فيما معبوداتكم الَّتِي تتقربون إليها، فإنَّكم تعلّمون أتباعكم تلقينًا أو بالقصص أنَّ الواحد منهم إذا دعا الله؛ فإنَّ الله يتأخر في إجابته، أما إذا دعا الوليّ فإنه يبادر ولا يتأخر عن إجابته! بل تعلِّمونهم أنَّ دعاء الولي هو الَّذِي يُجاب، وأَنْ لَا يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! أليس من قصصكم الَّتِي تسردونها وكتبتموها أنَّ وليًّا في مصر كان يجعل تلاميذه يقطعون النيل سيرًا عليه؟! ما يحتاجون إِلَىٰ مركبة، يسيرون، وكان أحدهم يقول عند سيره كلما وضع

رجلًا أو رفع: يا حنفي! يا حنفي! هٰذَا الولي، يا حنفي! يا حنفي! فيسيرون، فأخطأ أحدهم يومًا فَقَالَ: يا الله! فغرق؟! فجاء الشيخ مسرعًا فأنقذه، ووبخه، وبخه عَلَىٰ ماذا؟! عَلَىٰ أنه قَالَ: يا الله!

هٰذِه القصص الَّتِي يديرونها يعلّمون بها الأتباع العامة أنَّ الْدُّعَاء النَّافِع هو دعاء الأولياء، أما دعاء الله -نعوذ بالله من هٰذِه المقولة!- يضر ولا ينفع! هٰذِه حالكم الَّتِي لا تستطيعون لها دفعًا.

والوجه الثَّانِي في الجواب عن هٰذِه الشبهة: أنَّ ظاهر حالكم يكذِّب مقالكم، فإنَّكم تتقرّبون إِلَىٰ من لا يدلُّ الواقع ولا الشرع عَلَىٰ أنَّه سببٌ للنفع، أو دفع الضُّرِّ، بل يدل عَلَىٰ عكسه، أما الواقع؛ فإنَّ الأموات مقبورون في قبورهم، غافلون عنكم، قد انقطعت أعمالهم وتصرفاتهم، إِلَّا ما تركوه من خير، وهم في دارٍ وأنتم في دار.

وَأَمَّا الشرع؛ فإنه قد دلَّ عَلَىٰ ذلك، فأشرف الأموات عَلَىٰ الإطلاق نَبِيُّنا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُقال له يوم القيامة: «**إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، كما في "**الصحيحين**" وهو أشرف من قُبر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وربنا يقول لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ويقول له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

وإذا كان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسمِع الموتى إِلَّا ما استُثني بأمر الله، فكيف يُسمِع غيره الموتى؟! كيف يأتي العامي عند القبر ويقول: يا فلان! فيسمعه وَالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له ربه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾؟!

ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فأنتم قد اتخذتم سببًا للنفع لا يدلُّ شيءٌ عَلَىٰ أنه سببٌ للنفع، وأشركتم بالله عَزَّوَجَلَّ.

والوجه الثَّالِث: أنَّ مشركي العرب كانوا يقولون ما تقولون، وينطقون بما تنطقون، قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، انظر إِلَىٰ الصيغة والمتكلمون عربٌ فصحاء: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ﴿مَا﴾ نافية ﴿إِلَّا﴾ وَهٰذَا في غاية الحصر، فَهٰذَا يدل عَلَىٰ أنهم ما تقربوا إليهم، وما عبدوهم إِلَّا ليقربوهم إِلَىٰ الله زُلفى.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فَالَّذِي تقولونه عينُ عينِ ما قاله أولئك الَّذِينَ كفَّرهم ربُّنا، وكفَّرهم رسولُنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلهم، وَهٰذَا هو الجواب الَّذِي ذكره الشيخ، حيث قَالَ:

(المتن)

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَـوَاءً بِسَـوَاءٍ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قولهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَؤُلَاءِ شُـفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية [يونس: ١٨].

(الشَّرْحُ)

وَأَمَّا الوجه الرَّابِع في ردِّ هٰذِه الشبهة وتقويضها وهدمها: أنْ نقول لهم: إنَّ الله ردَّ عليكم وعليهم أَجْمَعِيْنَ، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فَالَّذِي يملك الشَّفَاعَة هو الله، وَالَّذِي يعطيها هو الله، ولم يأتِ دليلٌ أنه أعطاها لميتٍ في قبره، وَإِنَّمَا يأذن الله فيها يوم القيامة لمن يشاء ويرضى.

وسيأتي الكلام عنها قريبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في درس الغد، أعني: الشَّفَاعَة الَّتِي أذن الله بها، فمن أين لكم هٰذِه الشَّفَاعَة؟ أنتم تشركون بالله كما قرَّرنا لكم وَبَيَّنَّا، ومقصودكم باطلٌ فاسدٌ ساقط، كما بَيَّنَّا لكم وقرَّرنا، فتبيَّن أنَّ الحال هو الحال في المقصود، كما تبيَّن سابقًا: أنَّ الحال هو الحال في المعبود.

(المتن)

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّـبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ. فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّـحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمَاً جَيِّدًا فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

(الشَّرْحُ)

نعم، هٰذِه الشبه الثلاث هي أصول الشبه عندهم، وكل شبهةٍ عندهم تدور حول هٰذِه الشبه الثلاث، فإذا عرفت -أَيُّهَا الموفَّق- الجواب عن هٰذِه الشبه؛ اندفعت الشبه عنك، ودفعتها عن غيرك بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وخلاصة الجواب عن هٰذِه الشبه الثلاث:

أنه تبيَّن بالأَدِلَّةِ صحَّة الجامع بين المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهؤلاء المتأخرين المشركين، وانتفاء الفارقِ بينهما، وإذا صحَّ الجامعُ، وانتفى الفارقُ؛ اتحد الحكمُ، فصحَّ الجامعُ بين الحالين، وانتفى الفارقُ بين الحالين؛ فالنتيجة: يتحد حكم أصحاب الحالين، فهم سواء في حكمهم، مشركون بالله شركًا أكبر، خارجون عن دين مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن لم يفارقوا هٰذِه الحال، ويخرجوا منها إِلَىٰ حال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

✍ إنَّا نقول للقوم: يا قوم! إنَّ عندنا حالَين:

☚ **اَلْأَوَّل والأشرفُ والأكرمُ**: حال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، ونحنُ نعلمهُ كما نعرفُ الشَّمْسَ والقمرَ، لا نشكُّ فيه شعرة، حالهم عَلَىٰ التَّوحِيْد، وَالتَّعَلُّق برب العالمين، والبعد عن الشِّرْك.

☚ **والحال الثانية** -نعوذ بالله منها-: حال المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كفَّرهم ربُّنا، وكفَّرهم نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقاتلهم نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بَيَّنَّا لكم أنَّ الحال هو الحال.

☚ فيا قوم! اختاروا لأنفسكم، أتريدون أن تكونوا من حزب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه؛ فَهٰذَا هو السبيل، وَهٰذَا هو الصراط، وَهٰذَا هو الحال، أم تريدون أن تكونوا من حزب أبي جهلٍ وأبي لهب؛ فذاك هو الحال، وذاك هو الطريق، والله قد هداكم النجدين، فاختاروا لأنفسكم، وليس التخيير هنا تخيير تكليف، وَإِنَّمَا تخيير إرادة، فإن أردتم النجاح والفلاح والفوز؛ فعليكم بحال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحال أصحابه، وإن أردتم الرَّدى والهلاك؛ فابقوا عَلَىٰ هٰذِه الحال الَّتِي أنتم عليها.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة؛ لأنَّ عادتنا في يوم الجمعة أن نخفِّف لنترك لإخواننا الفرصة لكثرة الصَّلَاة عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثرة الدُّعاء فيما بقي من الوقت إِلَىٰ المغرب.

غدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لن يكون عندنا درس في الفجر، وَإِنَّمَا سيكون عندنا الدرس في العصر هنا في هٰذَا المكان إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلني وَإِيَّاكُمْ ممن يحققون التَّوحِيْد، وممن يثبتون عَلَىٰ ذلك، وممن ينافحون عن التَّوحِيْد، ويوصون الأُمَّة بِالتَّوحِيْدِ، ويأمرون الأُمَّة بِالتَّوحِيْدِ، ويدفعون الشبه عن عموم المسلمين، ولعلنا نقتصر عَلَىٰ هٰذَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.

المجلس (١٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمرحبًا بوصية رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرحبًا بأقوامٍ قد اقتطعوا من وقتهم لعِمارة مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه العبادة الشريفة العظيمة المُنيفة؛ بعبادة: طلب العِلم.

معاشر الفضلاء! إن نفع الناس عملٌ يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاه، وإن أعظم نفعٍ للناس أن تدلهم على العِلم النافع، وأن تُوصِل لهم العِلم النافع وأن تصبر على ذلك، فإن الناس في الغالب أعداءٌ لما يخالف عوائدهم وما اعتادوه أَوْ مَا يريدونه.

فدعوة الناس إلى مَا يخالف مَا اعتادوه، أَوْ إلى مَا يخالف مَا يريدونه تحتاج إلى صبرٍ عريض، ينبغي على طالب العِلم ومُريد الخير للناس أن يبذل العِلم للناس بأسلوبٍ طيب، وبأسلوبٍ متين، وأن يترفق بهم، وأن يصبر على مَا يلقاه منهم، وإن أعظم علمٍ ينفع الناس مَا يتحقق به التوحيد ويُحمى به التوحيد، فأعظم الأوامر وأشرفها، وأكبر القُربات وأولها وشرطها: توحيد رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأعظم نفعٍ أن تعلم الناس التوحيد، وأن تحذرهم من الشِرك، وأن تحمي جناب التوحيد.

ونحن بحمد الله في درسنا هذا نقرأ في كتابٍ يحقق هذا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، في كتابٍ صَغُر حجمه وعَظُم عِلمه وكَثُرت فوائده وعوائده؛ حيث نشرح كتاب/ **"كشف الشبهات لشيخ الإسلام الإمام المجدد الناصح محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين.

ولا زلنا مع الجواب المُفصَل عَنْ بعض الشُبهات، وقد مرت بنا ثلاث شُبهات هِيَ أكبر الشُبهات في الباب؛ فعرفنا حقيقتها، وعرفنا الجواب عنها، وذكرنا جواب أهل العِلم والسُنَة عنها بأسلوبٍ مُركزٍ نافعٍ جامعٍ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

ونحن في تعليقنا على هَذِه الشبهات لا نتوسع في المسائل وإنما نقتصر على مَا يحقق المقصود؛ وَهُوَ: كشف هَذِه الشبهات، وردها، وبيان وزنها في الميزان الشرعي.

ونواصل في هذا المجلس قراءة مَا ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونعلق عليه.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

(الشرح)

هَذِه الشبهة الرابعة التي ألقاها الشيطان على بعض الناس فلبست عليهم دينهم، ويُلقيها بعض الناس عَلَى بعضهم، وقد يُورِدها المُورِد مستقلة، فيقول الذي يذبح لأهل القبور ويلتجئ إليهم في شدائد أمور ويسألهم ويدعوهم؛ يقول: (لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ) ولا أعبد هؤلاء؛ فهؤلاء السادة الصالحون لا أعبدهم وإنما أعرف مقامهم ومنزلتهم، ودعائي لهم ليس عبادةً لهم؛ فأنا أعبد الله ولا أعبدهم؛ وهذه شُبهة أضلت كثيرًا من المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام وأوقعتهم في الشِرك، يقول لهم الشيطان: أنتم تعبدون الله، أنتم مَا تعبدون أحدًا من دون الله، وأما هذا الذي تفعلونه من النذر لأصحاب القبور، والذبح لأصحاب القبور، وسؤال أهل القبور؛ فهذا ليس عبادة، (وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ).

وإما أن يُورِد المُورِد هَذِه الشُبهة لبيان الفرق بينه وبين المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيقول: أولئك المشركون كانوا يدعون الأصنام لأنهم يعتقدون فيها تأثيرًا وتدبيرًا، وأنا أدعو هؤلاء الصالحين من غير أن أعتقد فيه التأثير والتدبير فلا أعبدهم؛ ففرقٌ بين حالي وحال أولئك المشركين.

ومُورِد هَذِه الشُبهة إما أن يريد أن دعاء هؤلاء الصالحين والعكوف على قبورهم ومناداتهم: المدد المدد، الولد الولد يا سيدي فلان، الرزق الرزق؛ أن هذا ليس عبادةً لهم؛ لأَنَّهُ لا يعتقد فيهم التأثير والتدبير، وإنما يرى أَنْهُم وسائط، لا لأن الدعاء ليس عبادة.

بمعنى يا إخوة: هو يقول: الدعاء عبادة، ولكن سؤالي لهؤلاء ليس عبادةً، لِمَ؟ لأن العبادة في زعمه لَا بُدَّ أن يكون معها اعتقاد التأثير والتدبير، وأنا لا أعتقد في هؤلاء التأثير والتدبير، فجوابه مَا تقدم في الجواب عَنْ الشُّبهات الثلاث المتقدمة؛ حيث نبين لَهُ أن حاله كحال أولئك المشركين، وقد تقدم الكلام عَنْ هذا بوضوح، ثم إنَّا نقول لَهُ: مَا الدليل على أن الدعاء الذي هو عبادة يُشتَرَط فيه اعتقاد التأثير والتدبير وإلَّا مَا كان عبادة، من أين أتيت بهذا الشرط؟ مَا دليلك على هذا؟ ولن يجد دليلًا واحدًا على ذَلِكَ، وإما أن يريد أن الدعاء أصلًا ليس عبادة.

فجوابه: أن تُبين لَهُ أن الدعاء عبادة بالأدلة.

ومن الأدلة علىٰ ذَلِكَ: أن الدعاء يُعبَر به عَنْ العبادة مما يدل على أنه يدخل دخولًا أوليًا في العبادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] أي: فلا تعبدوا مع الله أحدًا.

ولذلك قال العُلماء: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ لا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة؛ فعُبِر عَنْ العبادة بالدعاء.

والمتقرر شرعًا ولُغَةً: أنه إذا عُبِر بشيءٍ عَنْ شيء؛ فذلك يدل على دخوله دخولًا أوليًا في ذلك الشيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذِه الآية: "أي أفرِدوا لَهُ التوحيد وأخلِصوا لَهُ العبادة".

وقال تعالى عَنْ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

انظر رعاك اللَّهِ! قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فدلت هاتان الآيتان المتصلتان على أن الدعاء عبادة، فالله عَزَّ وَجَلَّ بَيَّن ذلك بيانًا واضحًا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

وقال ربنا سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ مخلصين لي في ذلك، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فهذا التذييل دليلٌ على أن الدعاء عبادة، وأن الذي يستكبر عَنْ دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ يستكبر عَنْ عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن حِبان في صحيحه، والحاكم وصححاه.

وقال الترمذي: حَسنٌ صحيح، وصححه الألباني، والأرناؤوط، والوادعي رحم الله الجميع؛ فالحديث صحيح.

ومعناه: أن الدعاء أفضل العبادة، ورأس العبادة؛ فكيف تقولون: إن الدعاء ليس عبادة.

وقد روى الحاكم بإسنادٍ صححه عَنْ ابن عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: **"أَفْضَلَ اَلْعِبَادَةِ هُوَ اَلدُّعَاءُ"** رواه الحاكم وصححه، وحسنه الألباني.

فتقول لَهُ: هل تُقِر بهذا أَوْ تُنكِر؟ فإنه لا يستطيع إلَّا الإقرار بأن الدعاء عِبادة، كيف لا يقول ذلك ولا يُقِر والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الدعاء هو العبادة؛ كأن العبادة قد انحصرت في الدعاء لِعظَم شأن الدعاء في العبادة، فإن أقر لك بذلك وَلَا بُدَّ أن يُقِر؛ فقل لَهُ: هل أمرك الله بإخلاص العبادة؟ أم أذِن لك بالشِرك فيها؟ وأقِم عليه الحُجة بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبقول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اَللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ اَلْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وابْتُغِي بِهِ وَجْهُهُ» رواه النسائي، وقال الألباني: حسنٌ صحيح؛ فإنه عند ذاك لَا بُدَّ من أن يُقِر بأن الله أمرنا بالإخلاص في العبادة، وأن شرط العبادة: الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، فقل لَهُ عند ذاك: يَلزَمُك وفرضٌ عليك أن تُخلِص لله في الدعاء؛ لأَنَهُ عبادة، وقد أُمِرت بالإخلاص فيها.

ثم اذكر لَهُ أمرًا فقل لَهُ: لو أردت الولد أَوْ الزوجة فسألت الله عَزَّ وَجَلَّ في مواطن كثيرة أن يرزقك زوجةً، أن يرزقك ولدًا، فهل عبدت الله؟ سيقول: نعم، فقل لَهُ: فهل أنت مُخلِصٌ لله؟ سيقول: نعم، فقل لَهُ: مَا علامة إخلاصك؟ سيقول: أنيَّ مَا سألت إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم قل لَهُ: هَب أنك أردت الولد أَوْ الزوجة فدعوت الله وسألته أن يرزقك الولد أَوْ الزوجة مرارًا وتكرارًا، ثم سألت ميتًا مقبورًا الولد أَوْ الزوجة مرةً واحدة، فهل أشركت بالله في الدعاء هنا؟ أم أنك مُخلِصٌ؟ سيقول وَلَا بُدَّ: أن قد أشرك في الدعاء؛ لأَنَهُ سأل حاجةً واحدة من الله عَزَّ وَجَلَّ ومن هذا المقبور، ولا يشك عاقلٌ ولا يترد في أن هذا شِركًا، فإذا أقر لك بذلك؛ فقل لَهُ: وهكذا سائر العبادات أنت مأمورٌ بأن تُخلِص لله فيها.

ومن ذلك مثلًا: النحر والذبح، فإن الله قال لك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وهذا يدل على أن النحر عبادة؛ لأن الله أمرنا به على سبيل التقرب؛ فهذا عبادة، ويدل على وجوب الإخلاص في النحر؛ لأن الله قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: لربك، ولو لم يَرِد هذا لقلنا: يجب الإخلاص في الذبح على سبيل التقرب؛ لأَنَهُ عبادة، وقد تقرر أن العبادة لَا بُدَّ فيها من الإخلاص، فإذا نحرت لله فهل أنت عابدٌ؟ لَا بُدَّ من أن يقول: نعم، فقل لَهُ: فإذا نحرت لصاحب القبر فهل أنت لَهُ عابدٌ؟ لن يجد مناصًا إلا أن يقول: نعم.. إذ أنه لا يستطيع أن يُفرِق بين المتماثلين.

هذا الوجه الأول في الجواب عَنْ هَذِه الشُبهة؛ وترون أنه مُحكَمٌ يُترقى فِيهِ.

والوجه الثاني: أن تقول لَهُ: المشركون الذين نزل فيهم القرآن وفارقهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم؛ هل كانوا مخلصين أَوْ كانوا مشركين؟ فَلَا بُدَّ أن يقول: إِنْهُم مشركون، فقل لَهُ: وهل كانوا يعبدون آلهتهم؟ فَلَا بُدَّ من أن يقول: نعم، فقل لَهُ: بِمَ كان إشراكهم وعبادتهم؟ وقد بينت لك

فيما مضى أَنَّهُم كانوا مُقِرين بالربوبية، وأن الله هو الرب الخالق الرزاق المدبر؛ إن إشراكهم وعبادتهم لهم إنَّمَا كان بالذبح لهم، والنذر لهم، والالتجاء لهم، والدعاء لهم، وأظهر شيءٍ فيهم هو الدعاء.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] أي: من المشركين.

وقال سبحانه: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢].

ولا شك أن كل مَنْ دون الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عَنْ أن يملكه لغيره، وإن أردت الدليل على ذلك فاسمع قول الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشرف خلقه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

وقوله سبحانه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] فالأمر كله لله.

انظروا! هذا الإحكام بُدِأ في آيةٍ بنفي النفع ثم ثُني بنفع الضر، وبُدِأ في آيةٍ بنفي الضر ثم ثُني بنفي النفع؛ وذلك لإحكام الباب، فكيف بمَنْ دون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

☜ **وخُلاصة ذلك أن تقول لَهُ:** إن حالك مع هؤلاء المقبورين كحال أولئك المشركين إن لم تفارق حالهم، وسيكون مآلك مآلهم إن لم تفارق حالهم.. هذا الجواب وقدمته لأني رتبته، ثم نقرأه في كلام الشيخ الناصح العالِم الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ؟

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الفَرْضَ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ - وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ - فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا.

(الشرح)

أي: نَزِله منزلة الجاهل الذي يُعَلم، وقل لَهُ: بَين لي هذا الذي فرضه الله عليك وفرض عليك الإخلاص فيه مَا هو؟ فإن الله قد بينه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يمكن أن يكون مجهولًا، فإن الغالب أنه لجهله لا يستطيع أن يُبيّن العبادة، ولا أن يعرف أنواعها.

(المتن)

فَبَيِّنْهَا بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

(الشرح)

بَيِّن لَهُ أن العبادة كلها لله، وأن الدعاء أفضل العبادة وأشرف العبادة بهذه الآية العظيمة: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

➢ فخالِفوا المشركين في أمرين:

الأمر الأول: أن المشركين لا يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا وهم مشركون فيسألون الله ويسألون غيره معه، وأنتم ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ لا تدعون مَلكًا، ولا نبيًا، ولا وليًا، ولا صالحًا؛ لأنهم ليسوا أربابًا بل هم مربوبون، هم بحاجةٍ إلى ربهم، فقراء إلى ربهم مع عُلو مقامهم وشرف منزلتهم.

الأمر الثاني: خالفوا المشركين فَإِنَّهُم في دعائهم يرفعون أصواتهم، ودائمًا شرط الدعاء عندهم رفع الصوت؛ لأنهم يدعون هؤلاء المخلوقات، وهؤلاء الأموات؛ أما أنتم فـ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تقربًا، ﴿وَخُفْيَةً﴾ والأصل في الدعاء: الإخفاء، ويجوز الجهر ورفع الصوت به، لِمَ؟ لأنكم تدعون مَنْ يسمع الصوت وإن خفي، لا يختلط عليه صوتٌ بصوت.

والله الذي لا إله إلَّا هو إنَّا وقفنا في صلاة العصر مع إمامنا سجدنا ودعونا كلٌ دعا بحاجة، مَنْ وفقه الله للدعاء دعا، والله قد سمع الله دعوة كل واحدٍ منا، مَا اختلطت عليه دعوة أحدٍ منا بأحد، ولا صوت واحدٍ منا بصوت أحد؛ إنه وتعالى القريب في عُلُوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] سبحان اللَّهِ! كيف أن هَذِهِ الآية سدت باب الشرك في باب الدعاء سدًا عظيمًا.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ العادة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقل كذا، لكن هنا لعِظم الأمر قال اللَّهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى﴾ الذي أجاب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والذي يحتاج إلى واسطة ووسيلة من الخلق إنَّمَا هو البعيد الذي لا يسمعك، مَا تستطيع أن تصل إليه فتحتاج أن تُقَدِم مَنْ يصل إليه، والله قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَوْ هو مَنْ لا يجيب مَنْ يطلب منه فيحتاج أن تقدم لَهُ مَنْ يحثه أن يعطيك، والله يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾ أي: في الدعاء، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾ أي: أني قريبٌ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فالرُشد والهداية والتوحيد: أن تعلم علم اليقين أن الله قريبٌ يُجيب الداعي إذا دعاه.

➢ **إذًا هَذِهِ الآية التي أوردها الشيخ وَهُوَ إيرادٌ دقيقٌ من عَالِمٍ مُحَقِق فيها: الأمر بأن نخالف حال المشركين في هذين الوجهين وهذين الحالين:**

- **الأول:** أن ندعو الله وحده.
- **والثاني:** أن ندعو الله تضرعًا وخُفية.

(المتن)

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا؛ فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ؟

(الشرح)

إذا علمت أن الله قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥] فأمركم، وأمركم بأن يكون دعاؤكم لربكم، ألَّا تدل هَذِه الآية على أن الدعاء عبادة؟

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

(لَا بُدَّ أن يقول: نعم) وإلَّا كان رادًا لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

وَ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

(الشرح)

هذا ليس من كلامه وإنما جملة استطرادية؛ لأَنَهُ سيقول: نعم.

(والدعاء مخ العبادة) أي: أفضل العبادة، وقد ورد هذا في حديثٍ عند الترمذي لكن إسناده ضعيف، والحديث الصحيح: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، والمعنى صحيح: (الدعاء مخ العبادة) أنه أفضل العبادة وأشرف العبادة كما قدمنا.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ.

(الشرح)

أي: إذا أقررت أَن الدعاء عبادة.

(المتن)

وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفًا وطَمعًا.

(الشرح)

في حاجةٍ مَا أكثرت من الدعاء؛ دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

نعم؛ لأن هذا الأمر ظاهر كما بينته لكم في الجواب الذي رتبناه.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا صَلَّيْتَ لِلَّهِ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟

(الشرح)

أي: انقله من العبادة القولية إلى العبادة البدنية والمالية؛ لأن العبادة: إما قولية، وإما بدنية، وإما مالية؛ فانقله من العبادة القولية التي منها الدعاء إلى العبادة البدنية التي هِيَ الصلاة، والعبادة المالية التي هِيَ النحر والذبح لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لتبين لَهُ أن هذا شأن العبادة مطلقًا.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا صَلَّيْتَ لِلَّهِ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

يعني قل لَهُ مثلًا: إذا ذبحت الأُضحية في عيد الأضحى، فهل عبدت الله؟ لَا بُدَّ من أن يقول: نعم، قد عبدت الله بهذه العبادة.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ - نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا -؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟

(الشرح)

يعني: إذا نحرت وذبحت متقربًا لمخلوق مهما كان شأنه، ومهما كان شرفه، هل عبدت هذا المخلوق؟ لَا بُدَّ لِزامًا من أن يقول: نعم؛ لأَنَّهُ أقر أن النحر عبادة، وأنه لو ذبح لله كان عابدًا لله؛ إذًا إِذَا ذبحت لهذا المخلوق على سبيل التقرب فقد عبدته.

أَوْ بعبارةٍ أخرى: إذا نحرت لله ذبيحةً أَوْ ذبحتها وذبحت أخرى في نفس الوقت ونفس المكان لمخلوق، أتيت بكبشين وذبحت أحدهما لله، ثم ذبحت الآخر لصاحب القبر، هل أشركت في الذبح؟

أَوْ أخلصت؟ سيكون جوابه وَلَا بُدَّ: أنه قد أشرك لِأَنَّهُ ذبح لله، وذبح في نفس الوقت على نفس الحال للمخلوق؛ فيكون قد أشرك.

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ - أَيْضًا -: المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ؛ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟

(الشرح)

يعني: هل كانوا يعبدون آلهتهم؟

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

وإلَّا كان مُكذِبًا لِلْقُرْآنِ.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالِالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟

(الشرح)

كما قلنا؛ قل لَهُ: بِمَ أشركوا، وكيف عبدوهم؟ فإن الجواب يكون بذبحهم لهم، ونذرهم لهم، والعكوف عندهم، والالتجاء إليهم، ووضع الحوائج عندهم، ودعائهم، وأن أظهر ذلك في المشركين عمومًا في كل الشِرك هو الدعاء.

(المتن)

وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدّاً.

(الشرح)

وقد قدمناه في الكلام عَنْ الشبهات الثلاث الأُوَل.. وهذا معلومٌ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟

(الشرح)

هَذِه الشبهة الخامسة التي يوردها عباد القبور والأموات الذين ويستغيثون بهم، وقد صاغها الشيخ بطريقتهم من التهويل على أهل التوحيد والسُنَة، والزعم أَنْهُم لا يحبون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحبون الأولياء، ولا يُثبِتون مَا جعله الله لهم، وهذا ديدن أهل الباطل، فَإِنَهُم يدركون أَنْهُم لا يستطيعون مقابلة أهل الحق بالحُجة والبرهان فيلجؤون إلى التهويل والتنفير واستدرار عواطف الناس.

فإن قال لك هذا المخالف: (أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟) وَهُوَ بهذا السؤال يرى أنك إما أن تقول: نعم أُنكرها؛ فيصفك بهذا الوصف القبيح ويعيبك بهذا العيب القبيح ويُثبته عليك، يعني إما أن تقول: لا أثبتها وأنفيها وأتبرأ منها؛ فيصفك بهذا الوصف القبيح، وإما أن تقول: أُثبِتُها فيرى أنه أقام عليك الحُجة في سؤالها من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فيكون الجواب؟

(المتن)

فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبرَّأُ مِنْهَا.

(الشرح)

(فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبرَّأُ مِنْهَا) بل أُثبتُها وَهِيَ عندي من أصول التوحيد، ومَنْ لا يُثبِتها يخرج عَنْ حد الإسلام؛ لأَنَهُ رادٌ للقرآن والسُنَة، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافعٌ مشفع بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ يشفع ويُشَفِعه اللَّهِ؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رواه مسلمٌ في الصحيح، لكنني أثبتُها على الوجه الشرعي الذي دلت عليه الأدلة وفهمه سلف الأمة، فلست من الضُلال الذين ينفون شفاعة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقولون بلزوم العذاب لكل مَنْ استحقه، ولا من الضلال الذين يُثبِتون الشفاعة على غير وجهها الصحيح.. فربنا سبحانه من كرمه وعظيم إحسانه يتفضل على مَنْ يشاء من عباده يوم القيامة بالشفاعة؛ لإظهار كرم الشافع ولنفع المشفوع لَهُ.

(المتن)

بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ.

(الشرح)

هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول شافعٍ مُشَفَع، يشفع عند الله، ويأذن الله لَهُ بالشفاعة ويشفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإني لأرجو شفاعته وأطلب شفاعته، لكن بالوجه المشروع الذي بينته الأدلة.

(المتن)

وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

(الشرح)

هَذِه الشفاعة كلها بجميع أنواعها يوم القيامة لله عَزَّ وَجَلَّ، فالذي يملكها هو الله وحده؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿قُلْ﴾ يا نبينا، ﴿لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾ وهذا أسلوبٌ يدل على الحصر، ﴿جَمِيعًا﴾ أي: بجميع أنواعها.

انظر أولًا يا رعاك اللَّهِ! مَنْ الذي أُمِر بأن يقول هذا؟ هو رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يستثني من ذلك شَيْئًا، ثم انظر إلى صيغة العبارة كيف تدل على كمال الحصر؟ وأن الشفاعة كلها إنَّمَا يملكها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].. فهذا الأمر الأول والقاعدة الأُولَى في باب الشفاعة الشرعية.

(المتن)

وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَهُوَ لَا يَرْضَى إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(الشرح)

لن يشفع شافعٌ إلَّا بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا شافع عند الله إلَّا بإذن الله تعالى، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أعلى المخلوقات مقامًا،

وأعظم المخلوقات منزلة لا يشفع حتى يأذن الله لَهُ، يتذلل لله، ويسجد لله، ويُثني على الله حتى يأذن الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ في الشفاعة، ولا بُدَ فيها أيضًا من رضا الله عَنْ الشافع، ورضا الله عَنْ المشفوع لَهُ بأن يكون من أهل التوحيد لا من أهل الشرك، إلَّا مَنْ استُثني بالنص الخاص في شفاعةٍ خاصة، كشفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب وقد مات مشركًا في أن يُخَفف لَهُ العذاب، أَوْ يُخَفَف عنه العذاب.. هَذِه شفاعة خاصة لِحكمة خاصة، وإلَّا فإن الله لا يرضى عَنْ أهل الشرك؛ قال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦]؛ فَلَا بُدَّ من رضا الله عَنْ الشافع وإذنه لَهُ.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٣] فلا تنفع الشفاعة عند الله إلَّا لمَنْ أذن لَهُ ورضي عنه.

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

وهذه الشفاعة كما أخبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تنال إلَّا أهل التوحيد، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شفاعته: «فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِيْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا» رواه مسلم.

والمعلوم: أن الله لا يرضى إلَّا التوحيد، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧].

فلا شفاعة لكافر، ولا شفاعة لمشرك.. هذا الذي دلت عليه الأدلة.

(المتن)

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ! اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ! وَأَمْثَالَ هَذَا.

☜ **ما تقدم تقريره مُقدمةٌ تُنتج نتيجةً ولَا بُدَّ؛ وَهِيَ:** أن الشفاعة إنَّما تطلب مِمَنْ يملكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ الذي يأذن فيها إن شاء، ولا تُطلَب مِمَنْ دونه، فلا تُطلَب من الملائكة، ولا تُطلَب من الأولياء، ولا تُطلَب من الأنبياء عليهم السلام، ولا تُطلَب من نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يقول

الموحِد: اللّهم ارزقني شفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ونحو ذلك، اللّهم شفِع فيَّ نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَوْ بعبارة أخرى يقول الموحد: إني أطلبها بالأسباب التي جعلها مالكها أسبابًا لها، وأعظم سببٍ لها هو: تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك، فلن تنفع الشفاعة مشركًا خارجا عَنْ دين الإسلام إلَّا مَا استُثني كما ذكرنا.

ثم من أسبابها: الدعاء؛ وأن يطلبها المسلم من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وهذا مُجمَعٌ عليه، ولا عبرة بمَنْ شذ وقال: إن الشفاعة لا تُطلَب.

ومن أسبابها: التقرب إلى الله بالأعمال التي جاء النص أن من ثوابها الشفاعة؛ كالقول بعد الأذان: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ» فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من قال ذل: «حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري في الصحيح.

ومنها: الصبر على لأواء وشدة المدينة؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة: «لاَ يَصْبِرُ عَلَىٰ لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم.

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» رواه أحمد، والترمذي، والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني.

ولك يا رعاك اللَّهِ! أن تقول هنا: إن هذا سببٌ خاصٌ بأهل المدينة لنيل الشفاعة فمَنْ صبر على لأواء المدينة وشدتها ومات فيها ينال شفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذن الله بالسبب العام الذي يشترك فيه المسلمون وَهُوَ التوحيد، وبالسبب الخاص، وهذا الذي سمعناه من مشايخنا الذين أخذنا عنهم العِلم وهذا القول أجمل.

☜ **وهل هو سببٌ أَوْ هما سببان؟** الأمر محتمل؛ فيُحتَمل أنها سببٌ واحد فيكون المقصود: مَنْ عاش في المدينة وصبر على لأوائها وشدتها ولم يخرج منها رغبة عنها حتى مات فيها فإن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع لَهُ إن مات على التوحيد.

ويُحتَمَل أنهما سببان، فمَنْ عاش في المدينة ولو زمنًا وصبر على لأوائها وشدتها ولم يجزع ولم يتبرم فإنه إن مات على التوحيد موعودٌ بأن يشفع لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذن الله، ومَنْ مات في المدينة ولو لم يعش فيها زمنًا على التوحيد موعودٌ بأن يشفع لَهُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولك أن تقول: إن هَذِه شفاعةٌ خاصةٌ بأهل المدينة؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصهم بها، ولو كانوا كغيرهم لما كانت لهم مَزية.. والأمر واسع؛ المهم: أن تُثبت مَا أثبته النص: أن مَنْ صبر على لأواء المدينة وشدتها، أَوْ مات فيها موحدًا أنه موعود بأن يشفع لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن الضلال أن يتخذ الإنسان للشفاعة سببًا لم يجعله الله لها سببًا، فكيف إذا كان الله قد منع من اتخاذ ذلك السبب؟

ثم ستأتي الشبهة التالية تتعلق بهذه الشبهة ولكنَّا إن شاء الله سنؤجلها إلى يوم الأربعاء القادم في درسنا يوم الأربعاء بإذن الله حيث نفتتح بها ذلك المجلس.. وننبه على تنبيهات نافعة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ مُحكِمَةٍ لهذا الباب ليس لنا فيها من فضل إلا أنَّا تصيدناها من كلام أهل العِلم، وصُغناها بأساليب قريبة إلى الفهم.

لعلنا نقتصر على مَا أوردنا سائلين الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذا المجلس شاهدًا لنا لا علينا، وأن يجعل هذا المجلس مما يَسرُنا عند لقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، اللّٰهم تقبل منا مجلسنا هذا وبارك لنا فيه يا رب العالمين، اللّٰهم إنك أعلم بأحوالنا وأعلم بآمالنا، اللّٰهم يا ربنا مَنْ كان منا لَهُ إليك حاجة اللّٰهم فأعطه حاجته وافرةً مُوَفَرة يا رب العالمين، اللّٰهم مَنْ كان منا مهمومًا فاكشف عنه همه، وفرِج عنه همه يا رب العالمين، اللّٰهم مَنْ كان منا مكروبًا اللّٰهم ففرج كربه، اللّٰهم مَنْ كان منا مريضًا اللّٰهم فاشفه وعافه وأثبِت أجره يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا نسألك بأسمائك الحُسنى وصِفاتك العُلى أن تُحيينا حياةً طيبة، وأن تختم لنا بالحُسنى، وأن تجعلنا مِمَنْ يُنعمون في قبورهم وممن يُسَرون عند لقائك يا رب العالمين، اللّٰهم اجعلنا مِمَنْ يفوز بشفاعة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللّٰهم اجعلنا مِمَنْ يفوز بالشرب من حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللّٰهم إنَّا نسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلى كما جمعتنا في مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إخوانًا متجاورين نسألك أن تجمعنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم يا ربنا أكرِمنا بجوار نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم ارزقنا الأدب مع رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارزقنا الأدب في مدينة رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحينا فيها مَا كتبت الحياة لنا، وأمتنا فيها يا رب العالمين، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٣)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فيا ربنا يا حي يا قيوم إنَّا عِبادٌ من عبادك قد اجتمعنا في مسجد رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس عِلمٍ نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللّٰهم فيا ربنا اجعلنا جميعًا من أهل الجنة، وأمِنا من النار يا رب العالمين واغفر لنا ذنوبنا أجمعين.

اللّٰهم يا ربنا إن لكل واحدٍ منا حاجة اللّٰهم فآته مَا يحب وخيرًا مما يحب يا رب العالمين، اللّٰهم إنَّا نتوسل إليك بأسمائك الحُسنى وصفاتِك العُلى وبكل عملٍ صالح قبلته من واحدٍ منا أن تُطفئ نار الحرب في غزة بعزةٍ للمؤمنين وذِلة للمعتدين يا رب العالمين.

كما نسألك يا ربنا أن تُطفئ نار الحرب والفتنة في سوداننا الحبيب، اللّٰهم اجمع كلمة أهل السودان على مَا تحب وترضى، اللّٰهم يا ربنا إنَّا نسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلى، ونتوسل إليك بكل عملٍ صالح قبلته من واحدٍ منا، نسألك أن تكفي إخواننا في ليبيا شر الفتن وأهلها، نسألك يا ربنا أن توحد الكلمة في ليبيا على مَا تحب وترضى، اللّٰهم يا ربنا إنك تعلم ولا نعلم، وتقدر ولا نقدر، اللّٰهم فيا ربنا إن علمت خلافًا بين دولتين مسلمتين اللّٰهم فأزل أسبابه ووفقهما إلى الصلح يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا زِد تعاون الدول الإسلامية قوة، وزد تضامنها قوة يا رب العالمين، واجعل في ذلك الخير للإسلام والمسلمين يا رب العالمين، اللّٰهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

معاشر المؤمنين! إن المؤمن يحب أن يسمع عَنْ التوحيد وأن يقرأ عَنْ التوحيد، وكيف لا يكون ذلك كَذَلِكَ والتوحيد حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأعظم الحقوق وأعلاها، واوجبها وأولها هو توحيد

رب العالمين، فالمؤمن يحب التوحيد ويحب أن يسمع الكلام عنه، ويحب أن يتأدب مع ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويبتعد بُعدًا شديدًا عَنْ سوء الأدب مع ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ونحن في هذا المجلس في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقرأ في كتابٍ عظيم كثير الفوائد، مَا قرأه موحد إلَّا قوي توحيده وحُمي توحيده، وما قرأه منحرفٌ عَنْ جادة الصواب في باب التوحيد لعدم عِلمه مع صحة إرادته إلَّا استنارت بصيرته وتجلى لَهُ الحق واهتدى بها قرأ، وما قرأه مُكابِرٌ مُعانِد إلَّا قد قامت عليه الحُجة الربانية التي لا يبقى بعدها عُذرٌ لأحدٍ في مخالفتها، يا لَهُ من كتابٍ صغير الحجم عظيم العِلم غزير الفوائد؛ إنه كتاب **"كشف الشُبهات لشيخ الإسلام الإمام المجدد الناصح محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين.

ولا زلنا نقرأ في الشُبهات التي أوردها الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ لمخالفي أهل التوحيد في توحيد العبادة، للواقعين في الشرك في باب توحيد العبادة بأسلوبه العلمي الماتع النافع، وقد تقدم الكلام عَنْ بعض الشُبهات وكيف يدفعها المؤمن عَنْ نفسه وكيف يدفعها عَنْ غيره؟

ونواصل قراءة مَا سطره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وشرح ذَلِكَ.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ!

(الشرح)

☜ **هَذِهِ الشُبهة السادسة:** التي يوردها المورِدون مِمَّنْ يدعون رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دون الله فيخالفون مَا جاء به رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهِيَ أَنَّهُم يقولون: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة، وقد تقدم الكلام عَنْ هذا في الشُبهة السابقة، ونحن إنَّما نطلب الشفاعة من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسأله الشفاعة؛ لأن الله أعطاه إياها.

فيقول القائل: أنا عندما أسأل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ في قبره الشفاعة، وأقول: يا رَسُول الله اشفع لي، يا رَسُول الله أسألك الشفاعة؛ إِنَّمَا أسأله مَا أعطاه الله إياه فليس هذا شركًا بالله عَزَّ وَجَلَّ ولا مخالفةً لدين الله عَزَّ وَجَلَّ.

➢ ويُجاب عَنْ هَذِه الشُّبهة بوجوه:

الوجه الأول: أن المالك للشفاعة هو الله عَزَّ وَجَلَّ فلا يجوز طلبها إِلَّا مِمَنْ يملكها وقد تقدم تقرير هذا في الجواب عَنْ الشُّبهة السابقة، أما النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أشرف مَنْ يشفع من فإنه لا يشفع إِلَّا بعد إذن الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، ورضا الله عَنْ المشفوع، فكيف تسألها منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! هذا الوجه الأول.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ الشفاعة لكنه إعطاء تشريف لا تمليك فالذي يملك الشفاعة هو ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وشرف الله حبيبنا وسيدنا وإمامنا ورسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن أعطاه الشفاعة بشروطها؛ وبالتالي: فليس لك أن تطلب الشفاعة إِلَّا مِمَنْ يملكها وَهُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الوجه الثاني في الرد عَلَى هذه الشُبهة: أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم ومَنْ لازمه من الصحابة رضوان الله عليهم قد علموا مَا علمنا من أمر الشفاعة، وهم أحرص عليها منا، ولم يأتي عنهم رضوان الله عليهم أَنْهُم سألوها من رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا في حياته ولا بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ هَذِه السُّنة، وهذه سير الصحابة رضوان الله عليهم، لم يأتي عَنْ الصحابة رضوان الله عليهم أَنْهُم سألوا الشفاعة من رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى وَهُوَ حي، وإنما طلبوا منه أن يدعو لهم كما سيأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا إِنَّمَا يكون من الحي، ولم يأتي عنهم أبدًا أن أحدهم سأل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة بعد موته.. والواجب علينا: أن نتبع سبيل المؤمنين، والمؤمنون المقصودون وقت نزول الآية هم صحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثالث في رد هَذه الشُبهة ودكها دكًا: أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل الله لَهُ حتى فيما أُعطيه، مشروعٌ لنا أن نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يُسأل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يُدعى من دون الله، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ» رواه مسلمٌ في الصحيح.

فانظروا يا إخوة! النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرشِدُنا ويأمرنا أَن ندعو له أن يؤتيه الله عَزَّ وَجَلَّ الوسيلة؛ وَهِيَ المقام المحمود، وَهِيَ الشفاعة، نسأل ذلك من الله لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز لنا أن نسأل ذلك من رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الرابع: أن الذي أعطى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة وشرفه بهذا قد نهانا أن ندعو من دون الله أحدًا؛ فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فيا عبد اللَّهِ! سَلِم للنصوص كلها، واجمع بينها، ولا تأخذ شَيْئًا منها وتترك شَيْئًا منها، فالله قد بَين لك يا عبد الله بيانًا شافيًا كافيًا أن هذا الذي تفعلُه بسؤال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة سَببٌ للحِرمان من الشفاعة، وليس سببًا للوصول إلى شفاعة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عَلِمنا سابقًا: أن الشفاعة لا ينالها مُشرِكٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الوجه الخامس من أوجه الجواب عَنْ هَذِه الشُبهة أن نقول: إن الشفاعة يوم القيامة منها شفاعاتٌ خاصةٌ بنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها شفاعاتٌ مشتركة؛ فتشفع الملائكة، ويشفع الأولياء، ويشفع الرجل الصالح لأقوامٍ كثيرين، ويشفع الأفراط وهم أولاد المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ.. كل هذا قد دلت عليه النصوص؛ ومن ذلك قول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ» كما في صحيح مسلم؛ فالملائكة تشفع، والنبيون يشفعون، والصالحون يشفعون.

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيم» وبنو تميم قبيلة كبيرة جدًّا كثيرة العدد، «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ سِوَاكَ؟» أي: هذا الشافع سواك؟ فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِوَايَ» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

إذًا يا عبد اللَّهِ! الشفاعة يوم القيامة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، ورضاه عَنْ الشافع والمشفوع ليست خاصةً بنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هناك شفاعاتٌ خاصة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك شفاعاتٌ مشتركة.

فهل تقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأنا أدعوهم وأسأل الشفاعة منهم؟ فإن قلت: لا، لا أقول؛ بطل أصلُك الذي أصلته؛ وَهُوَ: أنك إنَّمَا تسأل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما أعطاه الله، وإن قلت:

نعم؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي تقدم بيانها وَهِيَ شِرك المشركين الأولين؛ فترجع إلى مَا تقدم من أجوبتنا.. هَذِه أوجه الجواب عَنْ هَذِه الشُبهة.

☜ **وأنبه معاشر الفضلاء!** إلى أن الشفاعة تأتي بمعنى: الدعاء؛ فيقول المؤمن لأخيه: اشفع لي عند الله أن أتزوج، اشفع لي عند الله أن يعافيني؛ أي: ادعُ الله لي أن أتزوج، أَوْ ادعُ الله لي أن يعافيني، وهذا جائزٌ أن يُطلَب من الحي، يجوز أن تطلب من الحي أن يدعو لك، وإذا عبرت بلفظ الشفاعة بهذا المعنى فلا حرج.

ومن ذَلِكَ: مَا جاء عَنْ عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ» يا لَهُ من أمرٍ عظيم، أتى مَلكٌ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه فخيره بين أمرين: أن يدخل نصف أمته الجنة؟ أَوْ أن يشفع لهم يوم القيامة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ».

✍ قال العُلماء: **"وهذا يدل علىٰ أن أكثر من نصف أمة محمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدخلون الجنة"**، والشفاعة أنفع للأمة من دخول نصفها الجنة، قال: «فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَقُلْنَا نُذَكِّرُكَ اللهَ وَالصُّحْبَةَ إِلَّا جَعَلْتَنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِكَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ مِنْهُمْ» رواه أحمد وصححه الأرناؤوط.

فيأتي بعض الناس الذين يتبعون المتشابه فيقولون: هذا دليلٌ على سؤال الشفاعة من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّا نقول لهم: إن الشفاعة هنا بمعنى الدعاء؛ فإنَّا إذا رددنا هذا الحَديْث إلى غيره مما يشبهه أَوْ في نفس القصة تبين لنا أن المراد الدعاء بأن يجعلهم الله عَزَّ وَجَلَّ من أهل شفاعته كما دل عليه الحَديْث عند الإمام أحمد عَنْ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في نفس القصة؛ وفيه أَنَّهُم قالوا: «يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا فِي شَفَاعَتِكَ فَقَالَ أَنْتُمْ وَمَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا» يعني: من أهل شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعند ابن ماجه بإسنادٍ صححه الألباني في حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «قُلنَا يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أهلِهَا» فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ لِكُلِ مُسْلِم» يعني: هِيَ لكل مَنْ مات لا يشرك بالله شَيْئًا.

فانظروا إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم! وهم يعلمون أن الله أعطى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة، مَا سألوها من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حيٌّ، بل سألوه أن يدعو الله لهم أن يجعلهم في شفاعته؛ فدل هذا دَلالةً بينة على أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسأل الشفاعة وإنما هو يسألها وَهُوَ حي، يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل مَنْ شاء سبحانه من المسلمين من أهل شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ومَنْ عرف هذا استنار لَهُ الطريق، ووضحت لَهُ الحُجة، واندفعت عنه الشُبهة.

بعد أن رتبنا هذا الكلام نعود إلى جميل كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في الجواب عَنْ هَذِه الشُبهة.

(المتن)

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَة، وَنَهَاكَ أَنْ تَدْعُوَ مَعَ اللهِ أَحَداً؛ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

(الشرح)

وبعبارةٍ أخرى نقول لَهُ: مَا الذي أدراك أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أعطى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة؟ لا شك أنه سيقول: دلت الأدلة على ذلك وأنا أؤمن بالأدلة، فنقول لَهُ: صدقتَ، فإن ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا نهاك أن تدعو أحدًا من دونه بأدلةٍ كثيرة؛ ومنها قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

☜ **فهنا الواجب عليك**: أن تؤمن بكل الأدلة، فكما أثبتَ الشفاعة مؤمنًا بالأدلة فأثبِت النهي عَنْ دعاء غير الله عَزَّ وَجَلَّ بالأدلة، وقد جاءت الأدلة متكاثِرةٌ مُحكَمة في هذا.

(المتن)

فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيكَ؛ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

(الشرح)

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] فالمساجد لربنا يُعبَد فيها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] نهانا الله عَزَّ وَجَلَّ أن ندعو مع ربنا أحدًا.

وانظروا يا إخوة! أحد هنا: نكرة في سياق النهي فتعم، فتعم كل أحد.

☜ **فالواجب عليك يا عبد اللَّهِ وقد آمنت أن الوحي من اللَّه وآمنت بالنصوص الدالة على الشفاعة:** أن تؤمن بالنصوص الدالة على حُرمة أن تدعو مع الله أحدًا.

(المتن)

وَأَيْضًا: فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ.

أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

(الشرح)

بمعنى أنك تسأله: هل يشفع الملائكة يوم القيامة؟ هل يشفع الصالحون يوم القيامة؟ هل يشفع الأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ لوالديهم يوم القيامة؟ فإن قال: لا أدري؛ فعَلِمه واذكر لَهُ الأدلة، وإن قال: نعم؛ فقل: إذًا دلت الأدلة على أن الله أعطاهم الشفاعة بشروطها، فهل تقول: إني أسألها منهم فأدعوهم وأطلبهم الشفاعة؛ لأن الله قد أعطاهم إياها! يعني: مات لك ولد عند الولادة فهل تذهب إلى قبره وتقول: يا ولدي أسألك الشفاعة؟! فإن قال: نعم؛ لأن الله أعطاهم، قلنا: رجعت إلى عبادة الصالحين التي بينا لك بالأدلة أنها فعل المشركين الذين حاربهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا؛ رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ.

وَإِنْ قُلْتَ: لَا؛ بَطَلَ قَوْلُكَ: (أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ).

(الشرح)

إذا قلت: لا، أنا لا أطلبها من ولدي الصغير الذي مات قبل البلوغ، أنا لا أطلبها من الملائكة؛ قلنا: إذًا بطل أصلك الذي انطلقت منه؛ وَهُوَ: أنه يجوز لي أن أدعو نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسأله الشفاعة؛ لأن الله قد أعطاه الشفاعة؛ فإنك قد أبطلت هذا الأصل بقولك: إني لا أطلبها من الملائكة، ولا أطلبها من الصالحين، ولا أطلبها من الأفراط مع ثبوت أن الله قد جعل لهم الشفاعة.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

(الشرح)

☜ **هَذِهِ الشُّبهة السابعة:** التي يُورِدُها الذين يشركون بالله بالتقرب إلى الملائكة، والأموات من الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ والصالحين ويدعونهم ويسألونهم؛ وَهِيَ: أن يقول قائلهم: الشرك قبيح وقد نهى الله عنه وحرم الجنة على أهله، وأنا لا أشرك بربي أحدًا وما أفعله من الالتجاء للصالحين ودعائهم ليس شِركًا بالله.

بمعنى يا إخوة: يُثبِت قُبح الشِرك وينفيه عَنْ نفسه، ويزعم أن مَا يفعله عند القبور من النحر والنذر لأصحاب القبور والسؤال والدعاء والعكوف والسجود والطواف؛ أن هذا ليس شِركًا بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وتلحظون رعاكم اللَّهِ! أن هَذِه الشُبهة تماثِل الشُبهة الرابعة المتقدمة، إلا أن تلك الشُبهة فيها أنه يقول: إنه يعبد الله وحده، وأن دعاء الصالحين ليس عِبادة، وفي هَذِه الشُبهة ينفي الشِرك عَنْ نفسه، ويزعم أن مَا يفعله ليس شِركًا بالله.. ففي تلك الشُبهة يقول: أنا مُوحِدٌ فهي في الإثبات، وفي هَذِه الشُبهة يقول: أنا لست مشركًا فهي في النفي؛ والمقصود منهما واحد، وشياطين الإنس والجن ينوعون صور الشُبهات حتى لا تنكشف الحُجب عَنْ أسرارهم، وحتى لا يتبين الحق للناس.

➢ **ويُجاب عَنْ هَذِه الشُبهة من وجوه:**

الوجه الأول: أن تقول لَهُ: فسر لي الشرك الذي نهى الله عنه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهيًا مُغَلظًا مؤكدًا وحرم الجنة على صاحبه وأوجب الخلود لَهُ في النار؟ وفسر لي الشرك الذي تنفيه عَنْ نفسك وتنفيه عَنْ فعلك؟

ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: مَا هو الشرك الذي نهى الله عنه؟

السؤال الثاني: مَا هو الشرك الذي تنفيه عَنْ نفسك وتقول: أنا لست مشركًا؟

السؤال الثالث: مَا هو الشرك الذي تنفيه عَنْ فعلك وتقول: إن تقربي إلى أصحاب القبور والأولياء والصالحين ليس من الشرك؟

فإنه في الغالب لا يستطيع أن يفسر ذَلِكَ؛ إما لأَنَّهُ لا يدري، وإما لأَنَّهُ لا يجد فرقًا حاله وحال المشركين.. فإن كانت الأُوْلَى أي أنه لا يدري؛ فقل لَهُ: كيف تترك تعلم أعظم أمور دينك؟ وكيف لا تسأل عنها وهذا فرض عينٍ عليك وقد الله لك في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم بيان؟ وكيف تنفي عَنْ نفسك شَيْئًا لا تعرف حقيقته وبَين لَهُ بالأدلة المُراد بالشِرك في الكتاب والسُنَة، وبَين لَهُ أن الذي يفعله من ذلك الشِرك، وأن حاله مُطابِقٌ لحال المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن حُكمه حُكمهم إن لم يفارق حالهم.

وإن كانت الثانية؛ أي: أنه لا يدري لأَنَّهُ لا يجد فرقًا بين حاله وحال المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبر أَنْهُم مُخَلَدون في النار؛ فبين لَهُ بالأدلة أنه إذا وُجِد فيه سبب الحُكم وانتفى الفارق المؤثِر؛ فإن حُكمه حُكمهم إن لم يفارق حالهم.

وقد يكون عنده شيءٌ من المعرفة ولكنها على وجهٍ لا يصح، أَوْ تكون عنده مُكابَرة؛ فيقول لك: إن الشرك الذي حرمه الله تحريما مطلقًا وحرم الجنة على أهله وقاتل النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهله هو: عبادة الأصنام؛ كما قال تعالى عَنْ ُبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فجوابه أن تقول لَهُ: فَسِر لي عبادة الأصنام مَا معناها؟ وكيف تكون؟

☜ **وهذا السؤال يا إخوة؛ مُهِمٌ جداً في مجادلة أهل الباطل**؛ فَإِنهُم في الغالب لا يعرفون الحقائق الشرعية، أَوْ يُطلِقونها على غير معانيها الشرعية جهلًا أَوْ تلبيسًا.

فإن قال لك: عبادة الأصنام هِيَ عبادة مَنْ دون الله مع اعتقاد أنه يخلق ويرزق ويدبر ويؤثر، فجاوبه بما تقدم بيانه في جواب الشُبه الماضية، وَهُوَ جوابٌ صحيحٌ قويٌ مُسكِت، وإن قال: عبادة الأصنام هِيَ التقرب إلى التماثيل المُصَورة والأشجار والأحجار والأخشاب والأبنية بالذبح والنذر والطواف والدعاء لتقربهم إلى الله زلفى وليعطيهم الله مَا يريدون ببركات وليمنع الله عنهم مَا يخافون ببركتها.

فجاوبه: بأن هَذِه الحال هِيَ حالكم من عكوفكم على قبور الصالحين لا فرق بينكم وبينهم، وتقولون: هم وسيلتنا إلى الله، واستحضر جواب مَا تقدم من الشُبه فيما يتعلق بهذا.

< **فلا يخلو عندئذٍ من حالين:**

الحالة الأُولَى: أن يُقِر لك بمطابقة الحالِ الحالَ؛ فهنا بَين لَهُ: أنه إذا وُجِد الجامع بين الحالين وانتفى الفارق المؤثر بين الحالين وجب اتحاد الحُكم، وأن يكون حُكمكم كحُكمهم إن لم تفارقوا حالهم إلى حال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

الحالة الثانية: أن يُكابِرَ ويقول: لا أَسَلِم لك أنه لا فرق بين حالنا وحالهم، بل الفرق موجودٌ؛ وَهُوَ: أَنْهُم يتقربون إلى الجمادات التي لا مَقام لها عند الله، ولا منزلة لها عند الله، ونحن نتقرب إلى الملائكة عَلَيْهِم السَّلَامُ والأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ والصالحين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهذا لا يدخل في الشرك.

فجاوبه: بما تقدم في جواب الشُبهة الثانية، وأثبِت لَهُ أن المشركين منهم مَنْ كان يتقرب إلى الملائكة، ومنهم مَنْ كان يتقرب إلى الجن الصالحين، ومنهم مَنْ كان يتقرب إلى العباد الصالحين بقصد: أن يقربوه إلى الله، وقد جمعهم الله جميعًا في حُكمٍ واحد.

< **فإن جاوبته بذلك فهو لا يخلو من حالين:**

الحالة الأُولَى: أن يريد الخير والحق لكن كان قد أخطأ الطريق؛ فهذا يُسَلِم لك ذلك ويرجع إلى الهدى.

الحالة الثانية: أن يكون متعصبًا مُكابِرًا أَوْ متأكِلًا بهذا الحال، يعيش غنيًا على دماء الفقراء وأموال الفقراء؛ فهذا ينفر من الحق والتوحيد كما فعل أسياده من قبله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠، ٥١].

وإذا قمت بهداية البيان بَرِئت ذِمتك؛ فإنك لا تملك هداية التوفيق: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

هذا خُلاصة الجواب؛ كنت أريد أن أفككه على أوجه، ثم جعلتها كلها في وجهٍ واحد.. نعود إلى قراءة كلام الشَّيْخِ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا! وَلَكِنَّ الِالْتِجَاءَ إِلَى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُهُ.

(الشرح)

يعني: إذا كنت تتفق معي على أن الله قد حرم الشرك تحريمًا مُغَلظًا وأنه الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه، وأن صاحبه مُخَلَدٌ في النار، فلننتقل إلى النقطة التالية، يعني تبدأ معه بما تتفقان عليه.

(المتن)

فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ اللهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟!

(الشرح)

مَا هذا الشِرك على سبيل التفصيل؟ مَا عِلته؟ وما أنواعه؟ فإنه في الغالب لا يدري؛ لأن أكثر هؤلاء جُهال، ومنهم جُهال ولا يعلمون أَنهُم جُهال.

(المتن)

فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟

(الشرح)

كيف تقول: أنا لا أشرك بالله وأنت لم تعرف الشرك أصلًا؟! ولم تعرف عِلته الجامعة التي تجمع كل صوره، كيف تُبرِئ نفسك من هذا وأنت مَا عرفته، والمعلوم: **"أن الحُكم علىٰ الشيءٍ فرعٌ عَنْ تصوره"** فما دمت لم تعرف فإنك لا تستطيع أن تنفي عَنْ نفسك الشرك.

(المتن)

كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؛ وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَعْرِفُهُ؟

(الشرح)

كيف تعلم أن الله قد حرم عليك الشِرك هذا التحريم المُغَلظ ولا تطلب العِلم به وَهُوَ أعظم مَا يُطلَب من العِلم وطلبه فرض عين؟ وكيف لا تسأل عنه؟ هذا إذا كان جاهلًا وقال لك: أنا مَا أدري.

(المتن)

أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنا؟!

(الشرح)

إذا قال لك: نعم الله حرمه لكن مَا عرفنا إياه، مَا بينه لنا؛ فإنك تُجيبه بهذا الجواب: (أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ) هذا التحريم، (وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!) في كتابه، ولا يبينه لنا في سُنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! لا شك أن هذا الظن من الباطل، فأوضح الأمور وأجلاها في كتاب الله، وفي سُنَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التوحيد وبيان مَا يُضاده من الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبادَةُ الأَصْنام، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنامَ!

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَى عِبادَةِ الأَصْنامِ؟

أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعاهَا؟! فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ.

(الشرح)

كما تقدم بيانه بيانًا واضحًا.

(المتن)

وَإِنْ قَالَ: هُوَ قَصْدُ خَشَبَةٍ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ بِنْيَةٍ عَلَى قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ؛ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، وَيَدْفَعُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ.

(الشرح)

أي: (فَقُلْ: صَدَقْتَ) في خبرك عنهم لا في فعلك، فإن فعلك باطل، لكن الخبر الذي أخبرت به عَنْ عُباد الأصنام صحيح وأنت صادقٌ فِيهِ.

(المتن)

وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالبَنَايَا الَّتِي عَلَىٰ القُبُورِ وَغَيْرِهَا.

(الشرح)

الحال هو الحال، تعكفون على القبور، تنحرون لها، تذبحون لها، تنذرون لها، تعتقدون فيها، بل تعتقدون مَا لا يعتقده المشركون الأوائل فيها، تعتقدون أن الأموات يخرجون من قبورهم ويتصرفون ويتحركون وهذا شيءٌ مُتَوَارثٌ عندكم؛ لأن بعض الناس يا إخوة عندما نحكي عَنْ حال هؤلاء وما يذكرونه يقول: يا أخي هذا شيء قديم، الآن في وقتنا في شيخ في الشام يحكي بنفسه يقول: كنت في الخَلوة فجاءني الولي الفلاني ميت مِنْ قديم، وقال لي: الحبيب الأعظم قادم فاضرب على الدُف وامدح، قال: ثم جاء الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني والأولياء رضوان الله عليهم ودخلوا، ثم جاء الحبيب الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لي مجلس فقلت لَهُ: اجلس في مكاني، قال: لا هذا مكانك وجلس في جواري؛ هذا حي موجود والناس يكبرون ويهللون ويحبون يديه ويحبون رأسه ويحبون.. والله المشركون مَا كانوا يعتقدون هذا، وسيأتي إن شاء الله في أثناء الكتاب بيان أن حال المشركين المتأخرين أعظم من حال أولئك المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ وَهُوَ المَطْلُوبُ.

(الشرح)

هكذا في الأصل؛ اقرأ في الحاشية ثلاثة؟

الطالب: قال (فإن).

الشّيْخِ: هذا الصواب؛ يعني: فهذا إن أقر، أو فإن أقر، (أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؛ وَهُوَ المَطْلُوبُ) إن أقر؛ هذا هو المطلوب، وتُبين له أَن الحُكم هو الحُكم.. وإن لم يُقِر أَن الحال هو الحال تقول له...

(المتن)

وَيُقَالُ لَهُ - أَيْضـًا -: قَوْلُكَ: (الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ)؛ هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوِ الصَّالِحِينَ.

(الشرح)

وقد تقدم بيانه.

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ: أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحداً مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ؛ وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ.

(الشرح)

(وَسِرُّ المَسْأَلَةِ) أيها المُوحِد: أن الذين يخالفونك في توحيد العبادة ليسوا على درجةٍ واحدة.

➢ **بل هم في الجملة على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: جاهِلٌ لا يدري مع صحة إرادته، هو يريد الخير لكنه جاهل لا يدري؛ فهذا ينبغي أن تنزله منزلته وَهُوَ الجاهل، وتنزل نفسك منزلة المُعَلِم لَهُ، وتُبين لَهُ الحال، تُبين لَهُ الحقيقة، ككونه ينفي عَنْ نفسه الشرك وَهُوَ لا يدري مَا الشرك، وتبين لَهُ حقيقة الشيء.

الدرجة الثانية: جاهلٌ وَهُوَ لا يدري أنه جاهل وَهُوَ الذي عنده عِلمٌ غير صحيحٍ؛ فيسمي الأشياء بغير اسمها ويفسرها بغير معانيها، ويُفَرِق بين المتماثلات وَهُوَ لا يعلم أنها متماثلات؛ فهذا تحاوره وتبين لَهُ خطأ علمه بالأدلة، وتبين لَهُ الحق، وتبين لَهُ مُطابقة الحال للحال بالأدلة.

الدرجة الثالثة: مُكَابِرٌ فاسد العِلم، فاسد الإرادة، ويتعامى عَنْ الحق.. فهذا تناظره إن كنت أهلًا لتكسره بين أتباعه، ولتُبين خطأه، ولتُقيم الحُجة عليه وعلى أمثاله؛ فهؤلاء الذين يخالفون في توحيد العبادة غالبًا على درجة من هَذِه الدرجات الثلاث، وإذا عرفت الدرجات عرفت كيف تُعامِل كل درجة.

ومن لطيف الكلام: أن أحد الفُضلاء من المشايخ قال: لو لم يسمي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الكتاب بـ **"كشف الشُبهات"** لسميته **"أصول الدعوة إلىٰ التوحيد"** وصدق والله، فإن الذي يدرس هذا الكتاب يجد أصولًا وأساليب عظيمة في دعوة الناس إلى التوحيد.

(المتن)

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي!

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ!

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي!

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي!

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ؛ فَهُوَ المَطْلُوبُ.

(الشرح)

فهذا يعلم الحق ويقوله، ويُجيب بالصدق، لكن قد تكون عنده شُبهات أردَته في الشِرك فتُبين لَهُ أن حاله يطابق حال المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه مُفَارِقٌ ومُخَالِفٌ للعلم الذي قرره.

(المتن)

وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟

(الشرح)

فهذا جاهلٌ يعلم أنه جاهل يُعَلَم، ويُبين لَهُ.

(المتن)

وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ.

(الشرح)

فهذا جاهِلٌ ولا يدري أنه جاهل؛ فهذا يُحاوَر ليتبين لَهُ الحق.

(المتن)

بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ.

وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

(الشرح)

والأدلة تدل على ذلك دلالةً واضحةً بَينة.. وبهذا تعرف كيف تحاوِر مَنْ يخالفك في باب: توحيد العبادة.

لعلنا نقف عند هَذِه النقطة ونُكمِل غدًا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلِّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٤)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الملك القدوس السلام ذي الجلال والإكرام أكرمنا بدين الإسلام وجعل بيننا به أُخوةً أقوىٰ من أُخوة الأرحام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك لَهُ جعل للموحدين الجنة دار السلام وحرمها علىٰ أهل الشرك أكبر الآثام، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله خير مَنْ قال: آمنت بالله ثم استقام، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزكىٰ صلاةٍ وأتم سلام، ورضي الله عَنْ آله الطيبين الأعلام وصحابته الخيار الكرام.

أمّا بَعْدُ؛

فيا معاشر الفضلاء! إننا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسر لنا أن نكون من عُمار مسجد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الوقت، أن جمعنا على طلب العِلم في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا الإخلاص في ذلك، وأن يجعل جلوسنا هذا مما يَسرُنا عند لقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يجعله طريقًا لدخول الجنة بفضله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاشر الفضلاء! لا زلنا نشرح في كتاب **"كشف الشُبهات للإمام المجدد الناصح محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وقد يسر الله لنا أن قرأنا بعض الشُبهات وعرفنا حقيقتها وعرفنا كيف يُجاب عنها، ونواصل قراءة مَا سطره الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونشرحه.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: فَإِنْ قَالَ: إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما كفروا لمَّا قالوا: الملائكة بنات الله، ثم نحن لم نقل: إن عبد القادر ولا غيره ابن الله.

(الشرح)

☜ **هَذِهِ الشُبهة الثامنة:** عند الواقعين في الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ بالالتجاء إلى الأنبياء عليهم السلام وإلى الصالحين وسؤالهم ودعائهم من دون الله عَزَّ وَجَلَّ والذبح لهم والنذر لهم، يحاولون فيها محاولة اليائس أن يدفعوا عَنْ أنفسهم مماثلة حالهم لحال المشركين الذين سماهم الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركين، وحكم لهم بالخلود في النار وقاتلهم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الشُبهة أَنهُم يقولون: إن أولئك المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّمَا كانوا مشركين لنسبتهم الولد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ [النحل: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

يقولون: فأولئك المشركون نسبوا الولد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وعبدوا مَنْ نسبوا إليه أنه ابن الله أَوْ بنت الله تعالى الله عما يقول الظالمون عُلوًا كبيرًا، قالوا: ولم يكن كفرهم لتقربهم إليهم ودعائهم لهم ليقربوهم إلى الله زُلفى من غير هذا الاعتقاد؛ فهم أشركوا لأنهم اعتقدوا ونسبوا الابن إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثم يقول هؤلاء: ونحن سالمون من هذا فنحن نعتقد: أن لم يلد ولم يولد، ولا نقول: إن الأنبياء أبناء الله، ولا نقول: إن الأولياء الصالحين كعبد القادر الجيلاني والبدوي والمُرسي أبي العباس؛ لا نقول: إِنهُم أولاد الله، فنحن نختلف عَنْ أولئك المشركين.

☜ **وخُلاصة الأمر:** أَنَّهُم يقولون زاعمين: إن عِلة شِرك أولئك المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُم نسبوا الولد إلى الله، وأن هؤلاء المشركين الذين يتقربون إلى الصالحين قد سَلِموا من هذا، فهم لا ينسبون الولد إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ويُجاب عَنْ هَذِه الشُّبهة التي هِيَ في الحقيقة من أوهى الشُّبه وأوهى من بيت العنكبوت، والغالب: أن الذي يُورِدُها يُورِدُها وَهُوَ يعلم عدم صدقها، لكن يريد أن يدفع عنه هذا الإلزام.

➢ **يُجاب عنها من وجوه:**

الوجه الأول: أن الأدلة الكثيرة المتواترة في كتاب ربنا وفي سُنَة رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دلت على أن أولئك المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كفروا بعبادة معبوداتهم من دون الله عَزَّ وَجَلَّ عمومًا، وبدعائهم لها خصوصًا، وهذا يرد قولكم من أصله؛ نقول: أنتم تؤمنون بكتاب الله، وتقولون: إنكم تؤمنون بسُنَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأدلة في كتاب ربنا وفي سُنَة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدل على أن أولئك المشركين قد سماهم الله مشركين، وسماهم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركين لأنهم كانوا يعبدون المعبودات من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، فكانوا يذبحون لها، وينحرون لها، وينذرون لها، ويستقسمون بها، ويسألونها، ويدعونها، وأعظم فعلهم: الدعاء؛ وهذا يُبطِل قولكم من أصله.

الوجه الثاني: أن نسبة الولد إلى الله إِنَّمَا وقعت من بعض المشركين الذين نزل فيهم القرآن لا من كل المشركين؛ ومع ذَلِكَ: جمعهم عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حُكمٍ واحد، وأَنَّهُم مشركون وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجمعهم جميعًا التشريك مع الله وعبادة غير الله، الجامع الذي يجمع جميع المشركين بأنواعهم: أَنَّهُم يُشَرِكُون مع الله، ويعبدون غير الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فدل هذا دَلالةً بَيِّنة على أن السلامة من هذا الاعتقاد لا تُخرِج من دائرة الشرك؛ أعني: السلامة من نسبة الولد إلى الله لا تُخرِج من دائرة الشرك.

بمعنى نقول لهم: سلمنا لكم أن بعض المشركين كانوا ينسبون الولد إلى الله ولا شك، لكن نسألكم سؤالًا: هل كل المشركين كانوا ينسبون الولد إلى الله؟ لا شك أن الجواب: لا، بل منهم مَنْ كان ينسب الولد إلى الله، ومنهم مَنْ كان لا ينسب الولد إلى الله، فنسألهم سؤالًا: هل فرق النَّبِيّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم فقال للذين ينسبون الولد إلى اللَّهِ: أنتم مُشرِكون، وقال للآخرين: أنتم لستم مشركين؟ الجواب: لا، بل جمعهم جميعًا في الحُكم، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثالث أن نقول: إن نسبة الولد إلى الله كُفرٌ مستقِلٌ، ولا شك أن ذلك كُفر، فلو أن إنسانًا اعتقد أن لله ولدًا ولم يعبد إلَّا الله، لو افترضنا أن إنسانًا نسب الولد إلى الله ولم يعبد غير اللَّهِ؛ فإنه كافر، ولو أن إنسانًا عبد غير الله ولم ينسب الولد إلى الله فإنه كافر، فإن اجتمعا في إنسان فقد اجتمع فيه كُفران: كُفرٌ بسبب أنه نسب الولد إلى الله، وكُفرٌ بسبب أنه عبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

بمعنى أن نقول: إن نسبة الولد إلى الله كُفرٌ لكنها ليست كل الكُفر، ولا شرطًا في الكُفر، بل هِيَ نوعٌ من الكفر، هِيَ كفر أكبر لكنها ليست كل الكفر وليست شرطًا في الكُفر؛ قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

﴿قُلْ﴾ يا نبينا ومَنْ يصلح للخطاب بلسانك معتقدًا بقلبك.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو المألوه، المعبود، المستَحِق للعبادة وحده، هو الأحد المنفرد بالكمال من جميع الوجوه، فهو المتوحد في ذاته فلا كُفؤ لَهُ، وَهُوَ المتوحد في ألوهيته فلا شريك لَهُ، وَهُوَ المتوحد في أسمائه وصفاتِه فلا مِثل لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لو جاءنا إنسانٌ وقال: أنا لا أقول: إن الله أحد، مَاذَا نقول له؟ مؤمنٌ أَوْ كافر؟ نقول: إنه كافر؛ لأَنَّهُ جحد وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الكامل في ذاته وصفاته الذي لا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو المقصود في كل الحوائج، فلو جاءنا إنسان وقال: أنا أُنكِر أن الله هو الصمد، أَوْ أسأل الحوائج من غير الله ولا تُسأل الحوائج من اللَّهِ؛ فإنه يَكفُر.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، فلم يُولَد سبحانه، وكل مَنْ يؤمن بالله يعتقد هذا، و ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؛ فمَنْ جحد هذا ونسب الولد إلى الله فقد كفر؛ فنقول: هَذِه أصولٌ ثلاثة كل واحدٍ منها أصلٌ بذاته، مَنْ جحد واحدًا منها كَفرَ.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فنفى الله عَزَّ وَجَلَّ الأمرين: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وهذا من أقوى أساليب العموم، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ وهذا أيضًا من أقوى أساليب العموم؛ فهذا نوعٌ وهذا نوع.

الوجه الرابع في رد هَذِه الشُبهة: أنه يلزمكم على مقالتكم الفاسدة هَذِه: أن أولئك المشركين لم يكفروا بمجرد عبادة الأصنام، بمعنى: يلزمكم أن تقولوا لو أن أولئك المشركين عبدوا الأصنام وما نسبوا الولد إلى الله فَإِنَّهُم لا يكونون مشركين؛ وهذا من أفسد الفساد وأبطل الباطل؛ كَذَلِكَ يلزمكم على مقالتكم الفاسدة: أَنْهُم ما كفروا بإنكار البعث بمجرد إنكار البعث؛ فيلزمكم أن مَنْ أنكر البعث لكنه لا ينسب الولد إلى الله لا يكون كافرًا؛ وهذا من الباطل وأكذب الكذب.. ولا شك أن هذا اللازم باطلٌ فالملزوم مثله باطلٌ لا يُقبَل.

الوجه الخامس: أن عُباد الأصنام لم يقولوا: إن هَذِه الأصنام بنات اللَّهِ؛ حتى الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله ما قالوا: إن هَذِه الأصنام بنات الله، مَا جاء هذا عنهم أبدًا.. ومن ذلك مثلًا: أن من الأصنام اللات.. وهذا صَنَمٌ لرجلٍ صالح كان يلت السويق للحاج فمات فصنعوا في موضعه صنمًا وعبدوه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، هل جاء أَنْهُم قالوا: إنه ابن الله؟ لا والله.

فهنا يلزمكم أحد أمرين فاسدين إن ثبتم على مقولتكم:

- **الأمر الأول:** أن تقولوا: إِنْهُم كانوا مشركين وهم يعبدون اللات نعوذ بالله من هَذِه المقولة.
- **الأمر الثاني:** أَوْ يلزمكم أن تُسَلِموا أنه قد وقع الشِرك منهم بدون نسبة الولد إلى اللَّهِ..

وبهذا تبطل مقولتكم ويبطل أصلكم.

الوجه السادس: أن الفقهاء مُجمِعون على أن عبادة غير الله شِركٌ يرتد بها المسلم عَنْ دينه، كل الفقهاء عندما يتكلمون عَنْ الرِدة يذكرون أن عبادة غير الله كفرٌ وشرك، وأن مَنْ عبد غير الله فهو مرتدٌ عَنْ الإسلام.. كما يذكرون أن من أسباب الردة: نسبة الولد إلى الله، واعتقاد أن لله ولدًا؛ فهذا كفرٌ وهذا كفر؛ فبطل قولكم هذا.

(المتن)

فَالْجَوَاب: إِنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَىٰ الله كفر مُسْتَقِلٌّ.

(الشرح)

بمعنى أنَّا نقول لهم: لا نخالفكم في أن نسبة الولد إلى الله كُفر، ولكن نخالفكم في كونها كل الكُفر، فهي كُفرٌ، ويوجد كُفرٌ غيرها؛ كما دلت عليه الأدلة.

(المتن)

قَال الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ١ - ٣].

(الشرح)

هَذِه السورة التي يسميها بعض العُلماء بـ **"سورة الإخلاص الصغرىٰ"**، ويسميها بعض العلماء بـ **"سورة التوحيد"** جمعت أصول التوحيد.

(المتن)

و ﴿أَحَدٌ﴾ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ.

(الشرح)

يعني: أنه المتفرد بالكمال من جميع الوجوه، فهو الأحد في ذاته فلا كفؤ لَهُ، وَهُوَ الأحد في ألوهيته فلا شريك لَهُ، وَهُوَ الأحد في أسمائه وصفاته فلا مِثل لَهُ.

(المتن)

و ﴿الصمد﴾ الْمَقْصُودُ فِي جَمِيعِ الْحَوَائِج.

(الشرح)

لكماله سبحانه وغِناه وفقر كل شيءٍ إليه، فكل شيءٍ مُحتاجٌ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

فَمَن جَحَدُ هَذَا؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرِ السُّورَة.

(الشرح)

مَنْ جحد أول السورة (فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرِ السُّورَة) لو قال: أنا أقول: إن الله لم يلد ولم يولد، لكنه ليس المعبود، لكنه ليس الأحد؛ فإنه كافرٌ بإجماع المسلمين، لا يخالِف في ذلك إلَّا مُكابِرٌ.

(المتن)

قَال الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(الشرح)

وهنا كما قلنا يا إخوة: هذا من أقوى أساليب العموم؛ فجاء النفي، ثم جاءت "مِنْ" قبل النكرة، وهذا كما يقول العُلماء: قطعيٌّ في العموم في الطرفين.

(المتن)

ففرّق بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وجْعَل كلاً مِنْهُمَا كفراً مستقلاً.

(الشرح)

لو كان الكفر هو الأول لما كان لِذكر الثاني داعٍ؛ فدل ذلك على أن اتخاذ الولد من دون الله كُفر، وعلى أن اتخاذ معبودٍ من دون الله من غير نسبة الولد إلى الله كُفرٌ آخر.

(المتن)

قَال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

(الشرح)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ فجعلوا الجن شركاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِمَ؟ بعبادتهم، مَا كانوا يقولون: إن الجن أولاد الله، وإنما كانوا يعبدونهم.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ إما أن ترجع إلى الجاعلين، وإما أن ترجع إلى المجعولين؛ يعني: إما أَنْهُم عبدوا الجن من دون الله والله خلقهم فهو المستحق لعبادتهم دون الجن، وإما أن المعنى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ والله قد خلق الجن فهم مخلوقون فكيف يُعبَدون؟! وإنما يُعبَد الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال اللَّهِ: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ أي: اخترعوا وافتروا، ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فهذا شيءٌ آخر، فهم عبدوا الجن ولم يزعموا أن الجن أولاد الله، ومن كفرهم أيضًا: أنهم ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ فافتروا وكذبوا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

فَفَرق بَيْن كُفرين، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أيضـًا: أنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاء اللّات مَعَ كَوْنِهِ رجلاً صالحـًا لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْن الله، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَة الْجِنّ لَم يجعلوهم كَذَلِك.

(الشرح)

وكذلك بقية الأصنام التي كانوا يعبدونها ويسمونها لم يَرِد أن قريشًا كانت تعتقد أَنْهُم أبناء الله، أَوْ أَنْهُم بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فدل ذلك على أن هذا كُفرٌ وذاك كُفرٌ آخر.

(المتن)

وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا وجَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي (باب حُكْم المرتد): أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لله ولداً فهو مُرْتَدٌّ، وَإِن أَشْرَك بالله فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فيفرقون بَيْنَ النوعَينِ، وَهَذَا وَاضِحٌ غَايَةِ الْوُضُوحِ.

(الشرح)

لا شك أنه في غاية الوضوح؛ ولذلك قلنا يا إخوة: إن هَذِه الشُبهة أوهى من بيت العنكبوت، وأن الذي يُورِدُها إنَّمَا يُورِدُها ليدفع عَنْ نفسه في محاولة يائسة، ليدفع عَنْ نفسه أن حاله كحال أولئك المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

(الشرح)

☜ **هذه هِيَ الشُبهة التاسعة:** للواقعين في الإشراك بالله عَزَّ وَجَلَّ بدعاء الأنبياء والصالحين؛ حيث يتوجهون لهم بالسؤال والطلب، ويذبحون لهم وينذرون لهم؛ وَهِيَ أَنْهُم يقولون: إن لأولياء الله الصالحين مقامًا عند الله، ولهم كراماتٌ وخوارِق، ونحن نتقرب إليهم ونلتجأ إليهم من أجل ذلك، يقولون: إن أولياء الله لهم منزلة عند الله، ولهم كرامات وخوارق، ومن أجل ذلك فنحن نلتجئ إليهم.

يحاولون بهذا أن يوهِموا العامة أن مَنْ يُحرِم الالتجاء للأولياء والصالحين يُنكِر مقامهم وكراماتهم، وأن يوهِموا العامة بالارتباط بين الأمرين إثباتًا ونفيًا؛ أي أَنْهُم يزعمون: أن إثبات كرامات الأولياء

يستلزم التقرب إليهم والالتجاء إليهم ودعاءهم، وأن نفي جواز التقرب إليهم يستلزم نفي منزلتهم وكراماتهم.

وهذا الذي يدندنون عليه؛ يقولون: أهل التوحيد أعداء أولياء الله ونحن مع أولياء الله، ويحاولون أن يوهِموا العامة، وإذا أراد العامي أن يستفسر أَوْ يتوقف، قالوا: انتبه! هؤلاء أولياء الله، هؤلاء لهم كرامات.. ونحو ذَلِكَ.

ويُجاب هَذِه الشُبهة الفاسدة والبضاعة الكاسدة بوجوه:

الوجه الأول: بأن نقول: نحن نؤمن بأن لله أولياء من عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفهم ربهم بأنهم الموحدون المتقون، فَمَنْ كان موحِدًا تقيًا كان لله وليًا، وأن هؤلاء الأولياء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة من عقاب الله، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على مَا فاتهم في الدنيا، ولهم البُشرى من الله في الدنيا بتيسير اليُسرى لهم، وصرفهم عَنْ الشر، وبالرؤى التي يرونها أَوْ تُرى لهم، ولهم البُشرى عند الموت ومفارقة الدنيا بالروح والريحان ورضا الرحمن، ولهم في الآخرة الجنة.. نؤمن بكل هذا ونعتقده اعتقادًا جازمًا كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وقد اتفقنا معكم على ذلك، وأنت قلت ذلك وأقمت الدليل على ذلك، فما دليلك على أنه يُلتَجأ إليهم؟ ويُتَقَرب إليهم ويُدعَون من دون الله عَزَّ وَجَلَّ؟ لن تجد دليلًا واحدًا محكمًا يدل على ذَلِكَ.

بمعنى يا إخوة نقول لَهُ: قد أقمت الدليل على منزلة أولياء الله ونحن معك في هذا، فما دليلك على الطرف الثاني؛ وَهُوَ أنه يُتَقَرب إلى الأولياء ويُلتَجأ إليهم ويُسألون من دون الله عَزَّ وَجَلَّ؛ هاتِ لنا دليلًا؟ ودون ذلك خرط القتادِ، ونحن قد أقمنا لك مئات الأدلة على منع التقرب إلى مخلوقٍ، وأن سؤال غير الله شِركٌ وعبادةٌ لغير الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا يا إخوة نحن نقول لَهُ: كمَا أقمت الدليل على منزلة أولياء اللَّهِ؛ فيجب عليك أن تُقيم الدليل على جواز سؤال أولياء الله من دون اللَّهِ؛ ولن تستطيع، ونحن لا نُقيم دليلًا واحدًا ولا عشرة، بل نقيم لك مئات الأدلة على أنه يجب إفراد الله بالعبادة، وعلى أن سؤال غير الله شِركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الوجه الثاني: أن الأدلة دلت على أن لله أولياء كما تقدم، ودلت على منع جعل ولي من دون الله عَزَّ وَجَلَّ بعبادته من دون الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦] أي: اتخذتم من دون الله مَنْ تستنصرون به وجعلتموه نصيرًا لكم من دون الله تقصدونه وتلجؤون إليه لمقامه فجعلتموه نصيرًا من دون اللَّهِ؛ فيجب الإيمان بهذا وهذا.

قد دلت الأدلة على أن لله أولياء صالحين من عباده؛ فيجب علينا وعليكم: أن نؤمن بهذا وإنَّا مؤمنون، ودلت الأدلة على منع أن يتخذ الإنسان وليًا من دون الله يعبده من دون الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فيجب عليكم أن تؤمنوا بهذا وإنَّا مؤمنون؛ فإن آمنوا سقطت شُبهتهم وتركوا الشِرك بالله.

الوجه الثالث: أنَّا نؤمن بكرامات الأولياء؛ وَهِيَ: مَا يُجريه الله عَزَّ وَجَلَّ من خارقٍ للعادة على يدِ مُوحِدٍ متقٍ لله؛ انتبهوا لهذا القيد! على يد مُوحِدٍ مُتقٍ لله عَزَّ وَجَلَّ للحُجة أَوْ الحاجة؛ كالكرامات التي أجراها الله عَزَّ وَجَلَّ على يد مريم عَلَيْهَا السَلَام والكرامات التي أجراها الله على يد بعض الصحابة كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لكنَّا مع إيماننا بذلك؛ نُوقِن أنه لا يترتب على ذلك شيءٌ من الدين، فالدين كَمُل في حياة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يُخالَف شيءٌ من الدين ولا من الأدلة من أجل ذلك، تقول لي: هل للأولياء كرامات؟ أقول لك: نعم لهم كرامات نؤمن بها إن جرت على يد ولِي، مَنْ هو الولي؟ المُوحِد المتقي، مَنْ لَم يكن مُوحِدًا؛ فوالله إنه ليس من أولياء اللَّهِ؛ إنه من أولياء الشيطان وقد تجري بعض الخوارق على يده فتنة؛ هَذِه الخوارق التي يُجريها الله يد ولِي من الأولياء الذي هو مُوحِدٌ مُتقٍ لله عَزَّ وَجَلَّ نؤمن بها ونُثبتها، وَهِيَ تدل على فضل صاحبها، لا يترتب عليها شيءٌ من الدين.

فلو قال لنا هذا الذي نظنه وليًا ورأينا بعض الخوارق تجري على يده لو قال لنا: ادعوا غير اللَّهِ؛ لما أطعناه، ولعلمنا أنه ليس من أولياء الله، لو قال لنا: أوجبت عليكم صلاةً سادسة في اليوم والليلة؛ لما أطعناه ولعلمنا أنه ليس من أولياء الله، لو قال لنا: ارقصوا وأنتم تذكرون واضربوا بأيديكم وأرجلكم؛ لما أطعناه ولعلمنا أنه ليس من أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ونُوقِن أيضًا: أن ثبوت الكرامات لأولياء الله الصالحين لا يُجيز أن نترك دليلًا واحدًا من أجل هذا؛ بل يجب علينا العمل بدين الله والعمل بالأدلة.

الوجه الرابع: أنه لا تلازم شرعًا ولا عقلًا بين ثبوت الولاية والكرامة والتقرب إلى أولئك الأولياء، بل الشرع يدل دَلالةً بَينةً واضحة على أن الوِلاية تقتضي التوحيد، وأن الولي صِدقًا يأبى أن يجعل الناس لَهُ مَا لله من النذر، أَوْ النحر، أَوْ السؤال.. ونحو ذلك، وأن التقرب إلى الأولياء بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ممنوعٌ شرعًا وشِركٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

نقول لهم: أنتم تربطون بين منزلة الولي عند الله وكراماته وبين سؤاله ودعائه والتقرب إليه بالذبح والنذر وغير ذلك، فما الدليل على هذا التلازم؟ لا يوجد دليلٌ من عقلٍ ولا من شرع على هذا التلازم، بل الدليل من الشرع ينفي هذا التلازم ويدل على أن الوِلاية تقتضي التوحيد، وأن الالتجاء إلى غير الله ودعاء غير الله شِركٌ.

الوجه الخامس: أن الكرامة ليست من فعل الولي، وإنما يُجريها على يديه الكريم سبحانه، ولا يملك الولي لنفسه شَيْئًا من دون الله فكيف يملكه لغيره، والولي مُكَرَمٌ لا مُكرِم، الولي مُكرَم من الله بهذه الكرامة، لا مُكرِمٌ لا لنفسه ولا لغيره، والولي فقيرٌ إلى الله والله هو الغني الحميد؛ فالعقل والشرع يقتضي: أن يُعَلَق القلب بالغني سبحانه، الصمد الذي يُقصَد في كل الحوائج.

الوجه السادس: أَن نقول لهم: إن كرامات الأولياء إِنَّمَا تكون في شيءٍ مُعَين يُجريها الله عَزَّ وَجَلَّ وليس في كل شيء، وأنتم تسألونهم ما لا يقدرون عليه بلا شكس ولا ريب.

الوجه السابع: أن كرامات الأولياء تجري في الدنيا وهم أحياء، ولم يقم دليلٌ على أن الكرامات تجري على أيديهم بعد فِراقهم الدنيا، بل دل الدليل على انقطاع عملهم في الدنيا عند موتهم؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوَ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوَ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ».

يعني يا إخوة نقول: نحن وأنتم نؤمن بكرامات الأولياء، لكن أين تجري كرامات الأولياء؟ تجري وهم أحياء في الدنيا، فهل عندكم دليلٌ على أن كرامات الأولياء تجري وهم في القبور؟ لا دليل عندكم على هذا، ونحن نُقيم لكم الدليل على أن العمل في الدنيا ينقطع بالموت إِلَّا مَا استُثني، وليس منه هَذِه الكرامات.

الوجه الثامن والأخير: أن رأس الأولياء وسيدهم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شك، والصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم أتباعه به، ولم يَرِد عنهم الالتجاء إِلَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعاؤه لا في حياته ولا بعد موته؛ لأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمهم التوحيد وحذرهم مما يخالفه؛ حتى في الألفاظ علمهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد وحمى التوحيد، وحذرهم مما يخالف التوحيد حتى في الألفاظ؛ حتى عندما قال لَهُ القائل: مَا شاء الله وشئت، قال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًا! قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

سبحان الله! انتبهوا يا إخوة هنا: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له مشيئة تحت مشيئة الله، لكن لما قال الرجل له: ما شاء اللَّهِ وشئت؛ بالواو، قال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًا!» ثم ما قال: قل ما شاء الله ثم شئت؛ مع أن هذا يجوز، أراد أن يُبعده عن الأمر بالكُلية، فقال: «قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»؛ هذه تربية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضوان اللَّهِ عليهم ثبتوا عَلَى هذا التوحيد العظيم، فما عرفنا أن الصحابة كانوا يسألون رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعونه، وما كانوا يأتون إلى قبره يسألونه ويدعونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فدل كل ذلك على بطلان قولكم.

(المتن)

فَقُل: هَذَا هُوَ الْحَقُّ وَلَكِنْ لَا يُعبدون.

(الشرح)

بل يَعبدون، هم **(لَا يُعبدون)** بل يَعبدون، وما نالوا ما نالوا بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ إلا لتوحيدهم، وإخلاصهم، وتقواهم، وعبادتهم لله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ إِلَّا عِبَادَتِهِم مَعَ الله وإشراكهم مَعَه.

(الشرح)

نحن لا نُنكِر مقامهم، ولا منزلتهم، ولا فضلهم، ولا وجوب حبهم، وإنما نُنكِر أن تجعل لهم مَا لله، وأن تعطيهم حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهم.

(الشرح)

(فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ) أي: أنَّا نعتقد وجوب حبهم، ليس فقط أنَّا نحبهم، بل نعتقد أَنَّهُ يجب عَلَى المسلم أَن يحبهم؛ فيجب عليك وعلى غيرك مِنْ المسلمين: أَن يحب مَنْ عُرِف بالتوحيد والتقوى، فليس الأمر عندنا أنَّا نحبهم فقط، بل الأمر أعظم، فإنَّا نعتقد وجوب حبهم، وأنه يجب على كل مُسلمٍ أن يحبهم.

(المتن)

وَاتِّبَاعُهُم.

(الشرح)

(وَاتِّبَاعُهُم) بأن تتخذهم قدوة، فهم لك قدوة، وسيدهم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ للمؤمنين أُسوة؛ فيجب عليك أن تتبعهم مَا داموا أولياء لله، مَا علامة ذلك؟ التوحيد والتقوى؛ فتتبعهم في التوحيد والتقوى، وتحرص على أن تكون من الموحدين المتقين.

☜ **وهنا يُشير إشارة ذكية:** إلى إنكم يا مَنْ تتقربون إلى هؤلاء الأولياء في قبورهم لا تتبعونهم، بل أنتم تخالفونه؛ لأنهم كانوا موحِدين ونالوا الولاية بالتوحيد، وأنتم على عكس ذَلِكَ.

(المتن)

وَالْإِقْرَار بكراماتهم.

(الشرح)

نرى نحن أهل السُنَة: أنه يجب الإيمان بكرامات الأولياء، والإقرار بكرامات الأولياء، وأن هذا فضلٌ وشرف يعطيه الله للأولياء، لا يكتسبه الأولياء، وإنما الله يعطيه، والله يُجريه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

وَلَا يَجْحَد كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ.

(الشرح)

نحن نعتقد أن مَنْ جحد كرامات الأولياء فهو مبتدعٌ ضال نُضَلِل مَنْ يُنكِر كرامات الأولياء.. إذاً انتبهوا يا إخوة! نحن أهل التوحيد أهل السُنَة نؤمن بكرامات الأولياء، ونعتقد أن للأولياء منزلةً عالية، وأنه يجب حبهم، ونُضَلِل مَنْ لا يؤمن بكراماتهم.. هذا أمر مهم يا إخوة؛ لأن أهل الباطل

يحاولون إيهام العامة أن أهل التوحيد مَا يحبون الأولياء، بل أكبر مِنْ هذا يا إخوة يحاولون إيهام العامة أَن أهل التوحيد ما يحبون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل والله يا إخوة مِنْ كذبهم ودجلهم أنهم يقولون للعامة: إن الموحدين اذين يسمونهم: الوهابية؛ لا يقولون إلَّا: أشهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، سبحان اللَّهِ! مؤذننا يؤذن: أشهد أن لا إله إلَّا الله أشهد أن محمدًا رَسُول اللَّهِ؛ هم يقولون للعامة: الوهابية هؤلاء مَا يقولون إلَّا أشهد أن لا إله إلَّا اللَّهِ.

وذكرت لكم سابقًا أن أحد إخواننا زارني قديمًا، وقال: يا شيخ والله زرت جدتي من بلاد المسلمين فقلت: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمدًا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: كيف؟ أنتم تشهدون أن محمدًا رَسُول الله؟ سبحان اللَّهِ!

يا إخوة! أهل الباطل بشتى صنوفهم لا يستطيعون مواجهة أهل الحق بالحُجة والبُرهان؛ فيواجهونهم بالكذبِ والبُهتان، يكذبون عليهم ويشوهونهم من أجل أن يبتعد الناس عنهم؛ فهذه قضيةٌ من أهم القضايا.

(المتن)

وَدِين الله وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْن وَهُدًى بَيْن ضلالتين وَحَقّ بَيْن باطلين.

(الشرح)

هَذِه الأمة أمةٌ وسط، والحق وسط، وقد مر في شرح **"العقيدة الواسطية"** بيان وسطية أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بين الفِرق في اعتقادهم.

لعلنا نقف عند هَذِه النقطة.

(الأسئلة)

السؤال: هذا يقول: أنه عاهد نفسه في صلاته بترك الدخان؛ حيث قال: أعاهدك يا الله بترك الدخان، وإذا عدت فإن امرأتي طالق، ودخن مرةً أخرى فهل تطلق امرأته أَوْ لا؟

الجواب: مَا ذنب امرأتك؟ لا شك أن الناظر في مسألة الدخان نظرةً فقهية يدرك أن شرب الدخان حرام ولا يتردد في ذلك، وأوجه تحريمه متعددةٌ كثيرة، فكيف وقد وردنا من أثباتٍ أن شركات التبغ ترش شَيْئًا من الكحول عليها؟ وهذا مَا علمناه بطريقٍ صحيح، وإن لم تكن مُسكِرة بلا شك، لكن شرب الدخان يا إخوة حرام، لا يتردد الناظر نظرةً فقهية في هذا الأمر، ولا ينبغي الالتفات إلى الذين يهونون من حُرمة شرب الدخان، فإن الغالب أن هؤلاء يكونون من المدخنين.

وقد ذكر الفقهاء أن مَنْ يفعل شَيْئًا لا يُؤخَذُ حُكمه منه؛ يعني مما قيل بتحريمه؛ لأَنَّهُ مُتَهَمٌ أنه يبرر لنفسه، وهذا قد أحسن في رغبته في ترك شرب الدخان، وأنا أقول: مَنْ صدق في إرادته وصدق مع الله سيُعينه الله عَزَّ وَجَلَّ، بل سيعوضه الله خيرًا، فمَنْ صدق الله صدقه الله، ومَنْ ترك شَيْئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

نعم قد يبتليك الله في الأمر بأشياء حتى يتبين الصدق من الكذب، قد يشعر الإنسان في أول ترك شرب الدخان بتعب وضيق وهذا ابتلاء لكن العاقبة حميدة، لكن الأخ أخطأ حيث علق الطلاق على شربه الدخان، ومقصوده: أن يمنع نفسه؛ فنقول لهذا الأخ: إن كان قصدك عند الكلام أنك إن شربت الدخان تَطلُق امرأتك فهنا وقع الطلاق مَا دمت قد شربت الدخان بعد هذا الكلام، وإن كان قصدك منع نفسك بشيءٍ لا تريده وتُبغضه وَهُوَ الطلاق؛ فهذه يمين على الراجح؛ فيجب عليك أن تُكفِر كفارة يمين بأن تُطعِم عشرة مساكين أَوْ تكسوهم فإن كنت لا تستطيع ذلك فإنك تصوم ثلاثة أيام.

السؤال: هذا يقول: إنه لم يُرزَق بأولاد ويريد أن يربي ابن أخيه وَهُوَ صغير في سن الرضاع، يقول: عِلمًا أن مُرضعته هِيَ أخت زوجته، فما حُكم هذا؟

الجواب: كونك تأخذ هذا الطفل وتُحسِن إليه وتُحسِن تربيته بإذن والديه هذا عملٌ صالح وخير وتؤجر عليه إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن احذر من نِسبته إليك، من أن يقال: هذا ولد فلان، هذا فلان ابن فلان باسمك أنت وإنما يُنسَب إلى أبيه ويقال: فلان ابن فلان، لا بأس أن يناديك: يا أبي من باب

يعني الإحسان ومن باب يعني الشعور.. ونحو ذلك، لكن النِسبة لا تجوز إلَّا لأبيه، وما دام أنه ولد فينبغي أن تُرضعه امرأةٌ بحيث يَحرُم على امرأتك وعلى بناتك حتى إذا صار كبيرًا لا يجب عليهن أن يحتجبن عنه.

بارك الله في الجميع وتقبل الله من الجميع، وبارك اللَّهِ لنا في الأوقات وجعل هذا المجلس مما يسرنا عند لقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٥)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ إننا نحمدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، أن يسرَ لنا أن نكون من عُمارِ مسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن جعلنا ممن يجتمعون في بيتٍ من بيوته، يتعلمونَ العلمَ النافع، ويتذاكرونَ الخير، «وما اجْتَمع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ».

نحمدُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعلنا ممن يغدونَ إلى مسجدِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يطلبون العلمَ، في مسجدِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مَنْ غدا إلىٰ المسجدِ لا يريدُ إلا أنْ يتعلَّمَ خيرًا أو يعلِّمَه كان له مثلُ أجرِ الحاجِّ تامٍّ حجُّه ومَنْ راح إلىٰ المسجدِ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يعلِّمَه كان له مثلُ أجرِ حاجٍّ أو معتمرٍ تامٍّ له حجُّه وعمرتُه»، وَمَنْ أتى مسجدَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلمَ خيرًا أَوْ يُعلمه؛ فهو كالمجاهدِ في سبيل الله.

فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتبَ لنا في مجلسنا هذا الفضلَ كُلّه، وأن يزيدنا من فضلهِ أضعاف أضعاف.

معاشر الفضلاء، نواصلُ درسنا في شرح كتاب كشف الشُّبُهَات هذا الكتابُ الصغيرُ في حجمه، الغزيرُ في علمه، الكبيرُ في فائدته، العظيمُ في عائدته، هذا الكتابُ الذي مَا قرأهُ موحدٌ إلَّا ازْدَادَ يقينًا بتوحيده، وصان توحيدهُ عَنْ الشُبهات، وما قرأهُ زالٌ عَنْ التوحيدِ بتجرد، إلَّا تبينَ لَهُ الحق، وزالَ عنه الإشكال، **وَقَدْ ذكرتُ لكم في مقدمة الكتاب: أن مقاصدَ الكتابِ ثلاثة:**

الأولُ: تثبيتُ الموحدين، ودفعُ الشُّبُهَاتِ عَنْ توحيدِهم.

والثاني: دعوةُ المُخالفين إلى توحيد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

والثالث: إقامةُ الحجة وإزالة الشُبهة عَنْ المُعاند.

وَقَدْ تقدمَ بحمد الله، شرحُ أكثرِ الكتاب، وَقَدْ جمعَ الشَّيْخُ أمهات شُبهاتِ القبوريين الذين يعكفون على القبور، وينذرون لأصحابها، ويدعونَ أصحاب القبور، ويستغيثونَ بهم، بل ويطوفونَ بالقبورِ، بل ويسجدونَ لها، كما رأينا ورأى غيرُنا، وشُبهات الذين يصرفونَ شَيْئًا مما لله لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، وفندها، وبيّنَ بُطلانها، وبيّنَ حقيقة الأَمْر.

ويجبُ أن تعلمَ أيهُا المؤمن أن شُبهات المخالفين للتوحيد على قسمين:

القسمُ الأول: شُبهاتٌ تتعلقُ بنفيِ مُشابهةِ فعلهم لفعل المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيوردون شُبهاتٍ ينفونَ من خلالها أن يكون فعلهم كفعل المشركين الذين سماهم اللهُ مشركين وتوعدهم بالخلودِ فِي النَّار، ونابذهم رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم، وسماهم مشركين مَا داموا قائمينَ على تِلْكَ الحال.

فيُوردُ هؤلاء المتأخرون شُبهاتٍ ينفونَ بها مُشابهة الفعلِ للفعلِ، وهذه الشُّبُهَات قَدْ تقدمت معنا وَهِيَ الشُّبُهَاتُ التسعُ التي تقدمت، وناقشناها، وعرفنا بحمد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أنها باطلة، وأن الفعلَ هو الفعل.

والقسمُ الثَّانِي: شُبهاتٌ تتعلقُ بنفي اتحاد الحُكمِ بين هؤلاء المُتأخرين وأولئك المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون نُسلمُ لكم اتحاد صورة الفعل، لكن لا نُسلم لكم اتحاد الحُكمِ، وهذا هو الشُّبُهَات التي ستأتينا إنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وإذا عرفتَ القسمين يزدادُ فهمُك لهذه الشُبهات وكيف يُردُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ تقدمَ أن هَذِه الشُّبُهَات يُردُ عليها ردًا إجماليًا، ويُردُ عليها ردًا تفصيليًا، وكما ذكرت: مرت بنا تِسعُ شُبهات تتعلقُ بالقسم الأول، عرفناها وعرفنا الردَ عَلَيْهَا، ونُكملُ مَا سطرهُ الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وجزاهُ عَنْ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خيرًا، ونعلقُ عليه.

فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ أشرف الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نبينا مُحَمَّد وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ، فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد شَيْخُ الإِسْلَام مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وجزاهُ عنا خيرًا، في رسالته "كشف الشُّبُهَات": فإذا عرفتَ أن هذا الذي يُسميهِ المُشركونَ في وقتنا الاعتقاد هو الشركُ الذي نزلَ فِيهِ الْقُرْآن، وقاتلَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عليه، فاعلم أن شركَ الأولين أخفُ من شركِ أهل زماننا بأمرين.

(الشرح)

لما تقدم بيانُ أن فعلَ هؤلاء المُتأخرين يُشبهُ ويُطابقُ فعلَ أُولَئِكَ المشركينَ في زمن النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبَيّنَا هذا بِالْأَدِلَّةِ اليقينية، وكشفنا الشُّبُهَات في هذا الأَمْر ورددناها، أرادَ الشَّيْخُ هنا أن يقول لك: إن الأَمْرَ ليس مُجردَ مُشابهة، بل فعل هؤلاء المتأخرين أقبح من فعلِ أُولَئِكَ المتقدمينَ من المشركين، وأشدُ شركًا من شركِ أُولَئِكَ المُتقدمين، فليس الأَمْرُ مجردَ مُشابهة ومطابقة، بل الأَمْرُ أبلغ وأعظم، فشرك هؤلاء أكبر وأعظم وأطم.

وَقَدْ بَيَّنَ الشَّيْخُ هنا أن تعلُقَ هؤلاء المُتأخرين بمن يُسمونهم الأولياء، ويدعونهم، ويستغيثونَ بهم ويصرفونَ لهم مَا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويسمونَ ذلك الاعتقاد، يقولون: نحن مُعتقدون، وهذا اعتقاد، وَقَدْ يُسمونه الاعتقاد الأكبر؛ **لأن الاعتقادَ عندهم نوعان:**

➤ **اعتقادٌ أصغر،** وَهُوَ الاعتقادُ في اللهِ فيما يتعلقُ بأسمائِهِ وصفاتهِ على انحرافٍ فِيهِ عندهم على طريقة الأشاعرةِ أَوْ غيرهم ويسمونه الاعتقاد الأصغر.

➤ **والنوعُ الثَّانِي: الاعتقادُ الأكبر،** وَهُوَ الاعتقاد في الأولياءِ الصالحين، وأنَ لهم تصرفًا، وأَنْهُم ينفعونَ ويضرون، وأَنْهُم يُجيبونَ مَنْ دعاهم، وأَنْهُم يُنقذونَ من يستغيثُ بهم وهم مقبورونَ في قبورهم، وربما قَدْ أرموا وأكلت الأَرْض أجسادهم، هم لا يستطيعون دفع الدودِ عنهم في قبورِهم، وَهَؤُلَاءِ يعتقدونَ أَنْهُم يُفرجونَ الشدائدَ، ويتصرفونَ في الكون، ويُسمونَ ذلك اعتقادًا تزيينًا لَهُ.

والعبرةُ بالحقائقِ لا بالأسماء؛ فهذا الذي يسمونه الاعتقاد هو الذي سماهُ ربُنا شركًا، وَهُوَ الذي سماهُ نبيُنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شركًا، فلا ينفعهم أن يُسموا ذلك بالاعتقادِ شَيْئًا.

أقولُ: بَيّنَ الشَّيْخ أن تعلقَ هؤلاء بأولئك المقبورين وَمَنْ يسمونهم أولياء أشد من تعلق المُشركينَ في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين كفرهم وقاتلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسماهم الله في كتابه، وسماهم رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركين، أشدَ من تعلق هؤلاءِ بآلهتهم، وأبعدَ عَنْ التوحيد.

ولذلك قال لك: (**فإذا عرفتَ**) أي بما مضى من المقدمة وكشف الشُّبُهَات المُتقدمة، (**أن هذا الذي يُسميه المشركونَ في وقتنا الاعتقاد**)؛ وَهُوَ التقربُ إلى المقبورين وسؤالهم والاستغاثةُ بهم (**هو الشرك**)، هَذِه حقيقته بلا ريب، (**الذي نزل فِيهِ الْقُرْآن، وقاتل رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس عليه**).

وعرفتَ مُطابقةَ الحالِ للحال، (**فاعلم**)، وقال شيخنا هنا: (**فاعلم**) لأن الأدلةَ الدالةَ على ذلك صريحةٌ من الْقُرْآن، فهي تدلُ على العلمِ بلا شك، (**فاعلم أن شركَ الأولين أخفُ من شركِ أهلِ زمانِنا**) فالمسألة ليست مجرد مُشابهة، لا، شرك هؤلاءِ أعلى وأقبح (**من شركِ أُولَئِكَ بأمرين**)، يعني أنه أقبح وأشد بأمرين.

الحقيقة أن مقصود الشَّيْخ أن هذين الأمرين أظهر مَا يكون، وإلا فهناك أمورٌ أُخرى، يعني هذا ليس حصرًا، وإنما هذا أوضح مَا يكونُ في ذلك، وَقَدْ بَيّنَ الأمرين.

(**المتن**)

قَالَ رَحِمَهُ الله: أَحَدُهُمَا: أن الأولينَ لا يُشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ أَوْ الأولياءَ أَوْ الأوثان مع اللهِ إلّا في الرخاء، وأما في الضُرِ والشدة فيُخلصون لله الدين.

(**الشرح**)

نعم، المشركونَ في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن شِركهم مُطبقًا، وكانوا يُوحدونَ أحيانًا ويشركون أحيانا كانوا في الرخاءِ يشركونَ بالله، يعرفونَ الله ويُشركونَ به، ويقولونَ: لا شريك لكَ إلّا شريكًا هو لك تملكهُ وما ملك.

أما في حال الشدة والكرب واشتداد الأَمْر؛ فَإِنَهُم ينسونَ مَا يُشركون، ويوحدونَ اللهَ ويدعونَ اللهَ مُخلصينَ لَهُ الدين، حَتَّى ذكرَ بعضُ السلف أَنْهُم كانوا يحملونَ أصنامهم معهم، فإذا جاءت الشدة رموا أصنامهم، ووحدوا اللهَ ودعوه مُخلصين لَهُ الدين.

كانوا إذا ركبوا في الفُلك وسارت الفُلك بهم بريحٍ طيبة؛ يُشركونَ بالله، ومعهم أصنامهم يعبدونها، فإذا اغتلمَ البحرُ وهاج، وتلاطمت الأمواج، وجاءتهم الرِيحُ من كُلِّ مكان، وخافوا الغرق؛ نسوا الأصنامَ تمامًا، بل ذكرَ بعضُ السلف: أنَّهُم يرمونها في البحرِ تخلصًا منها، ويدعونَ اللهَ مُخلصينَ لَهُ الدين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في حقهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾[يونس: ٢٢] ماذا؟ ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[يونس: ٢٢]، بل ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[يونس: ٢٢]، يدعون الله مخلصين لَهُ الدين، ويُعاهدونَ الله على التوحيد إذا نجاهم.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[يونس: ٢٣]، فلما نجاهم من هَٰذِه الكُربة رجعوا إلى الشِرك ولم يفوا بعهدهم، هَٰذِه حالهم.

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت: ٦٥]، إذا ركبوا في الفُلك وخافوا الغرق؛ نسوا أصنامهم، ونسوا شركهم، ودعوا الله وحده، وقالوا يا الله، وليس هذا خاصًا بالبحر، **وإذا نجاهم إلىٰ البر إذا هم يشركون**.

وليس هذا خاصًا بالبحر، ألا ترونَ أنه عندما جاء أصحاب الفيلِ يُريدونَ هدم الكعبة، وَقَدْ كان كُفار قريش يدعونَ الأصنام ويتقربونَ لها، فلما جاء أبرهة علموا أن هَٰذِه الأصنام لا تدفعُ عنهم شَيْئًا، فدعا عبد المطلب ربه؛ رَبَّ البيت أن يحمي بيته، ولجأوا هم إلى الجبال، فلما زالت الكُربة رجعوا إلى أصنامهم، ورجعوا إلى شركهم.

إذًا، مما يجبُ أن يعتقده المؤمن اعتقادًا جازمًا، ولا يجوزُ أن يشكَ فِيهِ، أن المُشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُشركونَ في وقت الرخاءِ والسراء، أما في وقت الضُرِ والشدةِ والكرب؛ فكانوا يدعونَ الله مخلصين لَهُ الدين.

لا يجوزُ لمن يُؤمنُ بالقرآن يشكَ في هذا أبدًا، لأن هذا نصُ الْقُرْآن، وصريحُ الْقُرْآن، خبرٌ لا يلحقهُ نسخ، ونصٌ لا يحتملُ تأويل، هو نصٌ لا يحتمل تأويلًا ولا يُمكن أن يتطرق إليه التأويل، وخبرٌ لا يحتملُ النسخَ والرفع، يقرأه الموحدُ وغيره.

فيجب على المؤمن أن يعتقدَ هذا اعتقادًا جازمًا، وَقَدْ ذكر الشَّيْخ أيضًا بعض الأدلة التي تدلُ على هذا دلالةً قطعية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: كما قال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

(الشرح)

هذا الخطابُ للمشركين، فِيهِ تحريكٌ للعقولِ لو كانت لهم عقولٌ يفقهونَ بها، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾، يعني عنكم ولا تلتفتونَ إليه، ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾، انتبهوا! ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ معنى ذلك أَنهُم في الرخاء يدعونَ الله وغيرهَ، مَنْ تدعون؟ هذا يدعون الله وغيرهُ، فما كان دعاؤهم خالصًا للأصنام والآلهة بل كانوا يدعونَ الأصنامَ والآلهة ويدعون الله، ولكن لا يدعون الله إلَّا وهم مشركون.

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عَنْ هذا التوحيد، واشركتم ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾، لو كانت لهم عقول، لو كان هؤلاءِ آلهة، لكانوا آلهةً في الرخاءِ والشدة، ولكنهم يعلمون في حال الشدة أنها ليست آلهة وأَنهَا لا تنفع وأن الذي ينفع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: وَقَوْلُه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

(الشرح)

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾، أتتكم شدة، أتتكم كُربة، أتاكم شيءٌ عظيم، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ لا والله، لا شكَ أن الإنسانَ إذا عاين الموتَ وفارق الدُّنْيَا وأقبل على الآخرة يُدركُ أنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لكن هذا لا ينفعه.

وهذا مَا حصل لفرعون، لما غشيه البحر وبدأت الروحُ في الخروج أيقن أنه لا إله إِلَّا الَّذِي آمنت به بنو إسرائيل، لكن هذا لم ينفعه.

فالمشركونَ إذا أتاهم عذابٌ من الله أَوْ شدة أَوْ كُربة، لا يدعون إلَّا الله، قال الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإن كنتم صادقين ستقولونَ: لا ندعوا إلَّا الله؛ لأن هذا الواقع منكم، بل تحقيقًا إياه حصرًا تدعونَ، بل إياهُ تدعون؛ هذا يَدُلُّ على الحصر المُطلق، بل للتحقيق، وتقديم إياه للحصر المطلق.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾، والله يُجيب المضطر ولو كان مشركًا، الله يُجيب المضطر إذا دعاه ولو كان مشركًا، سُبْحَانَهُ من رحيمٍ حليم، ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

وكما قُلتُ لكم: قال بعضُ السلف: إذا كانت أصنامهم معهم يرمونها ويُخلصون الدُعاءَ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨] إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

(الشرح)

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ دعا ربه لا غيره، مُنيبًا إليه راجعًا إليه، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ أجاب دعاءه وكشفَ ضُره ورزقه النعمة، ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أنهُ إن نجاه الله من هذا يكونُ من الشاكرين.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ الله: وَقَوْلُه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **الآية** [لقمان: ٣٢].

(الشرح)

فكُلُّ هَذِه الآيات تدلُ على مَا ذكرناه.

فانظر رعاك الله، كيف أن أُولَئِكَ المشركينَ بحُكم اللهِ عليهم وحُكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم كانوا يعرفون الله، ويدعون الله، ويعتقدون قُدرته وأنه هو الذي يُنجيهم، فعند الشدائدِ ينسونَ آلهتهم ويُخلصونَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويدعونه مُخلصينَ لَهُ الدين، فيوحدونَ الله في هَذِه الحال ويرجعون إلى فطرة الله التي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ التوحيد فلم تكن فطرتهم مغمورةً دائمًا، ولم يكن

دُعاؤهم غير الله مستمرًا دائمًا، بل في حال الشدةِ والكرب يدعونَ الله عَزَّ وَجَلَّ مُخلصينَ لَهُ الدين ولا يدعون غيره أبدًا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فمن فهِمَ هَذِه المسألةَ التي وضحها الله في كتابه وَهِيَ: أن المشركينَ الذين قاتلهم رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونَ الله ويدعونَ غيره في الرخاء، وأما في الضراءِ والشدة فلا يدعونَ إلَّا اللهَ وحده لا شريك لَهُ وينسونَ ساداتهم، تَبَيّنَ لَهُ الفرق بين شركِ أهل زماننا وشرك الأولين.

(الشرح)

وأن شرك أهل زماننا أشد؛ وذلك أن هؤلاءِ المتأخرين يدعونَ غير الله في الرخاءِ وفي الشدة، بل هُم في الشدةِ والضراء أشدُ شركًا فلا يذكرونَ الله أبدًا، فإذا نزلت بهم نازلة أَوْ أصابتهم شدة لا تتعلقُ قُلُوبهم إلَّا بسادتهم، ولا يذكرون الله، فلا يُسمعُ منهم إلَّا الغوثَ يا سيدي فلان، إذا نزلت المُصيبة والبلاء والشِدة لا يدعون الله، وإنما ينادون السادة الغوث الغوث يا سيدي فُلان، الغوث يا الاوتاد، الغوث يا سيدي عبد القادر، الغوث يا سيد العيدروس، الغوث الغوث -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-.

يعتقدونَ ذلك بقلوبهم وينطقونه بألسنتهم، إذا جاءتهم الشدة، أين تذهبُ قلوبهم؟ واللهِ لا تذهبُ إلَّا إلى سادتهم، ولا تتعلقُ إلَّا بسادتهم، وتنطقُ ألسنتهم بما في قلوبهم، ويُنادونُ السادة، وهذا الأَمْرُ لا يحتاجُ إلى دليل؛ فَكُلُّ مَنْ يعيشُ مع هؤلاءِ القوم يُدركُ هَذِه الحقيقة، إذا اشتد الكرب قال: نزور سيدي أبي العباس المرسي، المرسي أبي العباس، نضع حاجتنا عنده.

- قال: المرأة لها سبع سنين مَا تلد؟

قال: اذهبي إلى قبر السيدة زينب.

- الرجل تعطل مَا عنده وظيفة؟

قال: عليك بقبر الإمام الشافعي.

وهذا لا يَشكُ فِيهِ عاقل، ولا يستطيعون نفيهُ، إن كانوا صادقين، بل -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- يُقررون ويُرددون ويُقعدون: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور.

بل وينسبون ذلك إلى رَسُول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحةً أَوْ خُفيةً، صراحة بأن يقولون: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور. أَوْ خُفيةً بأن يقولون: قال هذا سيدي فُلان وَهُوَ لا يقولُ إلَّا عَنْ سيدي رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هم عندهم أشياء يأخذونها بزعمهم عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا علم الصَّحَابَة، ولا علمَ بها التابعون، ولا علمَ بها الأئمة الأربعة، وإنما تسلسلت إلى الأولياء.

يقوم قائلهم في هذا الزمان ويقول: أنا أعتقد أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أخرج يده لسيدي فلان وأعطاه كذا، حَتَّى سمعتم من يقول: هَذِه العمة أخذتها بالسند إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بيني وبين رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا أبي، يعني أبوه صحابي، وَهُوَ تابعي يعيش حي الآن، موجود.

فيُمررون على النَّاس أشياء يقولون: قالها سيدي فُلان الولي، وحتى أحيانًا يكذبون على هؤلاء الذين يسمونهم السادة الأولياء، والسادة مَا يقولون إلَّا من معين رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -شرف الله رسوله عَنْ كذبهم هذا-.

وهذا موجود من قديم، حَتَّى أنه عندما نزل التتر ببلاد الْمُسْلِمِيْن وفعلوا مَا فعلوا، كان يقول قائلهم: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عُمَر. -لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ-.

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عُمَر.

ولازالوا إلى اليوم يردون النَّاسَ إلى القبور، بل من أعجبِ مَا سمعت أن رَجُلًا جاء إلى شيخ منهم وقال يا شيخ أنا فعلت كبيرة، سرقت أُريد أن اتوب، كيف أتوب؟ قال: اذهب إلى قبر الحسين وطوف سبعة أشواط، ثُمَّ تب. دعاه إلى الشرك ليتوب من كبيرة، -نعوذ بالله من سوء الحال-.

وهذا أمرٌ لا يُشكُ فِيهِ، فهؤلاء المتأخرون فطرتهم مغمورة دائمًا، وشركهم مستمرٌ، في حال الرخاءِ والشدة، إذا دعوا الله أشركوا معه غيره، واعتقدوا أن غيرهُ ينفعُ من دونه، وغالبا يُخلصون دعاءهم لغير الله، لأصحاب القبور، فشركُ أُولَئِكَ العُتاة في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخفُ من شرك هؤلاء، وعقولُ أُولَئِكَ العُتاة أحسن من عقول هؤلاء، وفطرُ أُولَئِكَ العُتاة أسلم من فِطر هؤلاء، وهذا تفاضلٌ في الظلالِ والشركِ لا يُسقطُ أحدهم عَنْ درجة الشرك، لكنها ظُلماتٌ بعضها أشدُ من بعض.

نحنُ لا نهونُ من شرك أُولَئِكَ؛ بل هم مشركون أبغضهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاداهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكما قلنا يا إخوة سابقًا، ذكرنا قاعدة: أن التفاضل في الكمال لا يستلزمُ نقصًا.

➤تذكرون القاعدة، وقلنا لكم مثلًا: إن كلام الله يتفاضل، فبعضهُ أفضل من بعض، هذا التفاضل في الكمال لا يستلزمُ نقصًا.

➤أهل الجَنَّة يتفاضلون في النعيم، هذا تفاضل في الكمال؛ لا يستلزمُ نقصًا.

➤الأنبياء عليهم السلام يتفاضلون، وهذا تفاضل في الكمال؛ لا يستلزم نقصًا.

فكذلك التفاضل في الظلال؛ لا يستلزم خيرًا.

عندما نُفاضل بين أهل الضلال لا يعني هذا أن الأخفَ على خير، بل الكل على شرٍ وظلالٍ وشرك، ولكن كما قلنا: لكنها ظُلمات بعضُها أشد من بعض، والكُلُّ شِركٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: ولكن أين مَنْ يفهمُ قلبه هَذِه المسألةَ فهمًا راسخًا.

(الشرح)

نعم انتبهوا يا إخوة! (ولكن أين من يَفهمُ قلبُهُ؟) العبرة بالفهم فهم القلوب، وإلا فالقرآن الكُل يقرأه، يقرأون الآيات هَذِه الآيات التي قرأناها يقرؤونها، ولكن لا يقفون عندها، ولا تُؤثرُ فيهم، يختمُ أحدهم جُزءًا من الْقُرْآن، وأنتم تعلمون يا إخوة أن الْقُرْآنَ كُلَّهُ توحيد. وإذا ختم قام إلى صاحب الْقَبْر.

ليست العبرةُ بالقراءةِ ولا بالسماع، ولكن العبرةَ بفهم القلوب، -فنسأل الله أن يرزقنا فهمًا سليمًا، وأن يهدينا سواء السبيل-، لكن أين من يفهمُ قلبه هَذِه المسألة؟ فهي مع يقينية الدلالةِ فيها؛ مَا يقف عندها كثير من النَّاس، ولا يفقهونها ولا يفهمونها، بل ربما حملوا آيات التوحيد على الشِرك، كما نسمع من بعض خُطبائهم يذكر آيات في التوحيد ليقرر بها شركًا، -نعوذ بالله من انتكاس الفهم-.

وهذا يدعوك يا عبد الله أن تحمد الله أن جعلكَ موحدًا، وأن جعلك تفهم نصوص الكتاب والسُنَة فهمًا سليمًا، لأنك سلكت الطَّرِيق وَهُوَ الرجوع إلى فهم صحابة رَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقطعُكَ عنهم قاطع بسلسلةٍ من نورٍ متصلة من عُلمائنا إلى صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يروي السُنّي عَنْ السُنّي عَنْ السُنّي، عَنْ رأسِ أهل السُّنَّة صحابةِ رَسُول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الذين يروون عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورباهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلمهم رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاحمد الله يا عبد الله أن جعلك هكذا، والله يا إخوة كُلُّ مَنْ خالفَ أهلُ السُّنَّة والجماعة، ينقطعُ دونَ صحابة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّ الفِرق، انظر إلى أعلى مَا تصل إليه في عقيدتها، في تقريرها، الأشاعرة إلى أين يصلون؟ إلى أبي الحسن الأشعري، مَا يرتفعون بعده. وأبو الحسن الأشعري قَدْ تركَ مَا يعتقدون ورجعَ إلى عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، فهم على عقيدتهِ الوسطى، لأَنَّهُ مر بثلاث مراحل، ومات على عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، وهكذا كُل فرقة.

أما أهل السُّنَّةِ والجماعة فيتصلون إلى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بإسنادهم المُتصل لا بالإسناد المُدعى، وأن الولي الذي كان في القرن السَّادِس ولا السَّابع قال لَهُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا وكذا -نعوذ بالله من الكذب-، وَلَا شَكَّ أن هذا تعمد الكذب على رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من أشد الكذب، وأقبح الكذب، هذا الأَمْر الأول.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: والأمر الثَّانِي: أن الأولين يدعون مع الله أُناسًا مقربين عِنْدَ الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أَوْ يدعون أحجارًا وأشجارًا مُطيعة لِلهِ ليست عاصية.

(الشرح)

الأَمْرُ الثَّانِي الذي يُبَيّنُ لك أن شركَ هؤلاءِ المُتأخرين أشد قُبحًا من شرك أُولَئِكَ المتقدمين، وإلا فالكُلُّ شِرك: أن الأولينَ يدعونَ مع الله أُناسًا يعتقدونَ صلاحهم أَوْ يعلمونَ عنهم الصلاح، فنصبوا أصنامًا بأسمائهم يعبدونها لتقربهم إلى اللهِ زُلفى.

وبعضهم يعبدون الأنبياء عليهم السلام، أَوْ الملائكة، أو أُناسًا يعتقدونَ صلاحهم -كما قلنا-، أَوْ يدعونَ جماداتٍ لا تدركُ مَا يفعلون وَهِيَ في ذاتها مُطيعة لله، لأن كُلَّ شيءٍ يُسبحُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كُنَّا لا نفقهُ تسبيحهم.

فيدعونَ أحجارًا، ويدعونَ أشجارًا؛ وَهِيَ تُسبحُ الله والله أعلمُ بها، وَهِيَ ليست عاصية.

فالأولون لا يعبدون من يعرفون عنه عصيانًا، وإنما يعبدون من يعتقدون أنه مُطيع أَوْ يعبدونَ جماداتٍ هِيَ في حقيقتها مُطيعة، وهذا واضح وبَيّن.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وأهلُ زماننا يدعونَ مع الله أُناسًا من أفسق النَّاس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجورَ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

(الشرح)

ليس مرادُ الشَّيْخَ أن يقولَ: إن كُلَّ الذين يدعونهم هؤلاء المتأخرون يتصفون بهذه الصفة، وإنما مُرادُ الشَّيْخِ أَنْهُم يدعون بعضَ الفُساق الذين صدرت عنهم طوام ومخازي، هم يحكونها عنهم، لا تُدعى عليهم بل هم يحكونها عنهم قولًا أَوْ فعلًا، وَقَدْ يعتذرونَ لهم، ويقولون: إنَّمَا قال هذا لغياب عقله من شدةِ وجدهِ، ويجعلون العجيب أَنْهُم يحكونَ أمورًا لا شك في كونها خِزيًا وفسقًا بل كُفرًا أحيانًا، ويجعلون ذلك كرامة للشيخ.

السيد البدوي الذي يُحتفلُ به في بعض بلاد المُسْلِمِيْن ويقيمون لَهُ ثلاث موالد، كأنه ولد ثلاث مرات، ومولده عجيب، يحكونَ عنه وَقَدْ ذكر ذلك السخاوي: أنه في يوم الجُمعة كشف عَنْ عورته أمام النَّاس وبالَ في ثيابه وقعدَ ولم يُصلي، -الله أكبر!-، يعدونها كرامة، كشف عَنْ عورته وبال في ثيابه وقعد ولم يُصلي، هم يحكون هذا عنه، والبدوي يا إخوة ممن عُبدَ ورضي، وكان النَّاس يأتونه ويسألونه الحاجات، تأتيه المرأة تقول: استودعتك أولادي، ويأتيه الرجل يُريد أن يُسافر ويقول: استودعتك مالي، وهذا معروف.

على كُلِّ حال، يحكون طوامًا، عَنْ أُولَئِكَ الذين يتقربون إليهم، ويحكون زندقة عجيبة عنهم كالقول بوحدة الوجود، والقول بأن الرب عبدٌ والعبد ربٌ، قال أحدهم: مَا في الجُبة إلَّا الله، وبالتالي لا يُحرمون حَتَّى الفروج، لأَنَّهُ عندهم ثُمَّ الله -نعوذ بالله من ذلك-، ويحكون عَنْ بعضهم أَنْهُم كانوا يأتون المُردان، هم يحكون ذلك، ومن قرأ كُتب القوم وجدَ مَا لا ينقضي منه العجب، ومع ذلك يدعونهم.

خُلاصةُ الكلامِ: أن المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كانوا يدعون من يعتقدونَ فسقهُ، أَوْ مجيئهُ بالطوام، أما هؤلاء المُتأخر فقد يدعونَ مَنْ يأتي بالفسق يقينًا، بل مَنْ يأتي بالزندقةِ يقينًا، بل مَنْ يأتي الْكُفْر الذي لا يُشكُ فِيهِ.

وَلَا شَكَّ أن الذي لا يدعو إلَّا من يعتقدهُ صالحًا أصلحَ عقلًا من يدعو الصالح والطالح، وأخف شركًا. وإن كان كما قلنا يا إخوة، القاعدة: أن هذا تفاضل في الشرك، تفاضل في الضلال، لا يقتضي نقصًا عَنْ الشرك، أَوْ سقوطًا عَنْ الشرك.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والذي يعتقدُ في الصالح، والذي لا يعصي مثل: الخشبِ والحجر أهون ممن يعتقد فِيمن يُشاهدُ فسقهُ وفساده ويشهدُ به.

(الشرح)

الشَّيْخ ذكرَ هذين الأمرين، وهناك أمرانِ آخران ظاهران يُبينان لك أن شرك هؤلاء المتأخرين أقبح وأشد من شرك المتقدمين:

○ **الأول منها:** أن المشركين الأولين مُقرون بالربوبية، ولا يجعلون فعل الله لغير الله، من الرزق والإحياء والإماتة والتدبيرِ وغير ذلك، وَقَدْ تقدمت الأدلةُ على ذلك.

أما هؤلاء المتأخرون فيُشركون حَتَّى في الربوبية، ليس شركهم خاصًا بالألوهية، بل يُشركون حَتَّى في الربوبية، فيعتقدونَ فيمن يتقربونَ إليهم أَنْهُم يتصرفونَ في الكونِ، بل منهم من يعتقد أن السماوات السبع والأراضين السبع قائمة على الأوتاد السبعة من الأولياء، هم الذين يُحركونها، وهم الذين يُصرفونها، ويعتقدونَ أن هؤلاءِ المتقربَ إليهم يُرزقونَ من دونِ الله، ويُحيونَ الموتى من دون الله.

وذكرت لكم القصة التي يُكررونها: أن امرأة مُريدة للشيخ جاءت إليه وقالت: إن ملك الموت قَدْ قبض روح ابني، فصعد الشَّيْخ إلى السَّماء، ووجد ملك الموت في الطَّرِيق، لكن الشَّيْخ نسي أن يسأل المُريدة عَنْ اسم ابنها، طيب هو شيخ يعرف؟ لكن مَا يفهمون، فلقي ملك الموت ومعه الزنبيل وَفِيهِ الأرواح، مَا يعرف الشَّيْخ اسم ولد المريدة فأخذ الزنبيل ونثره، فعادت كُلُّ الأرواح التي قُبضت في تِلْكَ الليلة إلى الأجساد، الله أرادَ قبض أرواحهم وانتهى أجلهم وقبضَ الملكُ أرواحهم وهذا الشَّيْخ ردها، يعتقدون هذا ومذكور كتبهم ويتدارسونه ويتباكون عليه، والله الله.

بل من رؤوسهم اليوم مَنْ يُصرح أن الوليَّ يقدرُ على أن يخلقَ الولدَ في بطن أمه، ولولا اختلاطُ الأنساب لفعل، موجودُ وحي اليوم، لا تقل هذا كلام الأولين والآن النَّاس تطوروا، يقول الولي يقدر على أن يخلقَ الجنين في بطن أُمه، عنده قُدرة لكن مَا الذي يمنعه؟ الخوف من اختلاط الأنساب، لو

خلق الولي الجنين في بطن هَذِه المرأة وَهِيَ زوجة لفُلان وليس من مائة، يصير اختلاط أنساب، -أَعُوذُ بِاللَّهِ-.

هكذا يعتقدون عندهم شِركٌ حَتَّى في الربوبية، وَقَدْ ذكر الشَّيْخ عبد الرحمن بن حسن هذا، وذكرَ أَنْهُم يعتقدونَ أن آلهتهم من الأمواتِ يتصرفونَ في الكونِ دونَ الله، وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَقَدْ سمعنا ذلك منهم مشافهة، واللهِ قَدْ قرأنا ذلك في كُتبهم، وسمعنا اليوم منهم مَنْ يقول ذلك.

والأمرُ الثَّانِي من الأمرين الزائدين على مَا ذكره الشَّيْخ: أن كثيرًا منهم يرجون مَنْ يدعونَ أعظمَ من رجائهم من الله، ويخافونَ خوفَ السرِ مَنْ يدعونهم أعظم من خوفهم من الله، كثير منهم يُصرحون ويقولون: إن الولي إذا دعوته أجابَ دُعاءكَ وفرجَ كربك لا يتأخر، أما الله فقد يُجيبُ وَقَدْ لا يُجيب.

وذلك ذكر أحد الشيوخ: أن امرأة أصابها شيء فكانت تقول يا متولي يا متولي يا متولي، فلما هدأت قال لها الشَّيْخ: لماذا لا تدعين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ قالت: ربنا يستنى لكن الشَّيْخ مَا يستناش. يعني ربنا قَدْ يُؤخر الإجابة وَهُوَ الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن الشَّيْخ يُجيب مُباشرة. هكذا يَغرسونَ في نفوس أتباعهم، ويقررون ذلك، ويقولون: إن مَنْ أنزل حاجته برَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُضيت ولابد، وما أنزلت حاجتك بالولي الفُلاني إلَّا قُضيت، أما الله فقد يُجيب وَقَدْ لا يُجيب، -وَقَدْ عرفنا معنى إجابة الدعاء عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما تقدم من دروس في دروس أُخرى-.

فيرجون في هؤلاء الأولياء أعظم من رجائهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويخافون خوف السر من هؤلاء الأولياء أعظم من خوفهم من الله، ولذلك يُمكن أن يحلفَ أحدهم بالله كاذبًا، لكن من المُحال أن يحلفَ بالولي كاذبًا، لأنهم يخافون خوف السر من هؤلاء أعظم من خوفهم من الله.

إذا عرفتَ هَذِه الأمور الأربعة تيقنتَ أن شِركَ هؤلاء المتأخرين ليس فقط مُطابقًا لشرك أُولَئِكَ المتقدمين في الفعل، بل هو أشدُ، بل هو أقبح، بل هو أولى بالنصوص الواردةِ في الشرك من شِرك أُولَئِكَ.

فإذا كان اللهُ قَدْ حكم على أُولَئِكَ المشركين بأنهم مشركونَ، وحكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، مع أَنْهُم أخف شركًا من هؤلاء المتأخرين، فكيف بالحُكمِ على هؤلاء المتأخرين؟!

هذا الكلامُ كُلُّهُ مُتعلقٌ بمشابهة الفعلِ للفعلِ.

من الدرس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ سنبدأُ مع أقوامٍ لا يُنازعونَ في مُشابهة الفعل للفعل، ويقولون ربما الصورة هِيَ الصورة، لكن يُنازعونَ في اتحاد الحُكمِ، فيقولون: لا نُسلمُ لك أن حُكم هؤلاء هو حُكم أُولَئِكَ، وأن هؤلاءِ مُشركين كما أن أُولَئِكَ مُشركون، وسيذكرونَ مانعًا، وسنناقشُ هذا بالعلم، مَا عندنا اعتداء، مَا عندنا كذب، مَا عندنا إلَّا العلم، مَا عندنا سَب وإتهام بالباطل، هَذِهِ حُجة المفلسين، المفلسون الذين مَا عندهم حجة يسبون ويتهمون مخالفيهم بالباطل ويكذبون عليهم لينفروا النَّاس منهم.

أما أهل السُّنَّةِ والجماعة فهم أعدلُ النَّاسِ مع النَّاس وأرحم النَّاسِ بالناس وَأَعْلَمُ النَّاس بحقِ رب النَّاس.

فأسألُ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُنيرَ بصائرنا، وأن يُثبتنا على التوحيدِ والسُنَة، وأنا أُأكد على مَا ذكرته سابقًا من الوصية بهذا الكتاب: ينبغي على الموحد أن يعتني بهذا الكتاب عنايةً عظيمة، وأن يحرصَ على فهمه، ليصونَ توحيده ولا سيما في هذا الزمان حيثُ أصبحت الشُبه تأتينا من كُل مكان بواسطة هَذِهِ الوسائل المُعاصرة، وصارَ مَنْ لا يفقه يتكلم وينتفخ؛ لِأَنَّهُ وحده لا يوجد مَنْ يرد عليه في مكانه.

فالموحد بحاجة إلى مَا يصونُ توحيدهُ، وليدعو غيرهُ لعل الله أن يُنقذَ بِهِ ولو واحدًا من الشرك فيفوزَ فوزًا عظيمًا.

فوصيتي لأحبتي جميعًا ممن يحضرونَ وممن يستمعون وممن قَدْ يسمعون، أن يعتنوا بهذا الكتاب قراءةً وفهمًا وتكرارًا وتأكيدًا لتتحقق إِنْ شَاءَ اللهُ هاتان الفائدتان العظيمتان.

نقفُ عِنْدَ هذا الموطن، وَإِنْ شَاءَ اللهُ عندنا درس العصر في مكاننا المعتاد في شرح دليل الطالب.

تقبل الله من الجميع هذا المجلس، وجعل هذا المجلس شاهدًا لنا لا علينا، وجعله مما يسرنا عِنْدَ لقائه، أسألُ ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه الحُسنى وصفاتِهِ العُلا، كما جعلنا في هذا المجلس في مسجدِ رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إخوةً متجاورين، أن يجعلنا جميعًا في الجنةِ إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

هٰذَا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلِّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ نجتمع فِي مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد فجر يوم السبت، وقد أنعم الله علينا فأدينا صلاة الفجر فِي جماعة فِي مسجد رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلاةٌ فِي مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إِلَّا المسجد الحرام، فصلاتنا الفجر هٰذِه خيرٌ لنا، وأعظم ثوابًا لنا مِمَّا لو صلينا ألف فجر فِي مسجدٍ آخر، إِلَّا المسجد الحرام.

فالحمد لله الَّذِي أنعم، ونسأله سُبْحَانَهُ أن يتقبل، ثُمَّ جلسنا فِي هٰذَا المجلس نَعمُر مسجد رسولنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعليم العِلم وطلبه، ومن غدا إِلَىٰ المسجد لا يريد إِلَّا أن يتعلم خيرًا أَوْ يعلمه كان له كأجر حاج تامًا حجته، «مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا، أَوْ لِيُعَلِّمَهُ، كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، ثبتت بِهٰذَا الأحاديث عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنسأل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكتب لنا بمجلسنا هٰذَا أجر حاجٍ قد تم حجه، فغُفِر ذنبه، وكان جزاؤه الجَنَّة، وأن يكتب لنا أجر المجاهدين فِي سبيل الله.

<u>معاشر الفضلاء إن الداعي إِلَىٰ الحق عمومًا وإِلَىٰ التوحيد خصوصًا ينبغي أن يستحضر دائمًا أربع قواعد قرآنية:</u>

➢ **الأُولَىٰ**: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢].

فورات الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العِلماء وطلاب العِلم يملكون هداية الدلالة والبيان، فهم هُداة الخلق إِلَىٰ الحق بالدلالة عليه، وبيانه وإزالة الشُبَه الَّتِي تعوق الوصول إليه، فيا طالب العِلم

كن هاديًا إِلَىٰ الحق، باذلًا ما تستطيع في سبيل ذلك، ولا تحقرن من ذلك شيئًا، ولو أن تنشر مقاطع للعلماء الأثبات في الدلالة عَلَىٰ الحق، وبيان الحق.

➢ **والقاعدة الثَّانِية من القواعد القرآنية:** قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى﴾ [القصص: ٥٦].

فأنت أَيُّهَا العبد الداعي إِلَىٰ الحق الداعي إِلَىٰ التوحيد لا تملك هداية التوفيق، فهداية التوفيق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا دللت الناس عَلَىٰ الحق فقد فعلت ما عليك، المطلوب منك: أن توصِل الحق إِلَىٰ أسماع الخلق، لا أن تُدخِل الحق في قلوب الخلق، فإنك تملك إيصال الحق إِلَىٰ الأسماع، لكنك لا تملك إدخال الحق إِلَىٰ القلوب.

➢ **وأما القاعدة القرآنية الثَّالِثة في هَـٰذَا الطريق:** فهي قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فإذا اهتدى الإنسان إِلَىٰ الحق، ودعا إِلَىٰ الحق بما يستطيع، وقرب الحق إِلَىٰ الناس بما يستطيع متوكلًا عَلَىٰ ربه، متسلحًا بالكتاب وَالسُّنَّة، وما عليه سلف الأُمَّة، فإنه بعد ذلك لا يضره مَن ضل من الخلق، فلا يضره في دينه، فلا يتضعضع من أجل كثرة المخالفين، بل يَثبُت عَلَىٰ الحق كالجبل، فلا يتحرك عن الحق قيد أُنمُلة، ثابتًا عَلَىٰ ما يريده الله، وعَلَىٰ الحق العظيم، ولا يضره ما يقوله المخالفون فيه، فإنه هو الأُمَّة، وهو الَّذِي عَلَىٰ الحق.

<u>وليتذكر الداعي إِلَىٰ الحق:</u> أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أشرف مَن دعا إِلَىٰ الله، وأصدق مَن دعا إِلَىٰ الله، وأفصح مَن دعا إِلَىٰ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يستجب له كثيرٌ من الناس، بل نابذه بعض عمومته، وبعض أقاربه، وظل يدعو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ التوحيد والحق ثابتًا عَلَىٰ ذلك، صابرًا عَلَىٰ ما يلقاه، ولم يدخل الناس في دين الله أفواجًا إِلَّا في آخر عمره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ كان ذلك علامة عَلَىٰ قُرب أجله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➢ **وأما القاعدة القرآنية الرابعة:** الَّتِي ينبغي أن يستصحبها الداعي إِلَىٰ الحق عمومًا وإِلَىٰ التوحيد خصوصًا؛ فهي فقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

فلعلك يا رسولنا مُهلِكٌ نفسك عَلَىٰ آثارهم بسبب عدم إيمانهم بما تقول حُزنًا، وأسفًا، وقهرًا عَلَىٰ هٰذَا الحال، فلا ينبغي لك ذلك، فالداعي إِلَىٰ الحق إِذَا توكل عَلَىٰ ربه ودعا إِلَىٰ الحق بما يستطيع، فلا ينبغي له أن يُهلِك نفسه بالحزن؛ لأن الناس لم تستجب له، أَوْ لأن أكثر الناس لم يستجيبوا له، بل يفرح بفضل الله عليه، ويفرح بنِعمة الله عليه أن الله اصطفاه، اصطفاه للحق واصطفاه بالحق الَّذِي ضل عنه أكثر الناس ولم يهتدوا له.

فَهٰذِه قواعد أربع من القرآن الكريم، ما أحوج الداعي إليها حَتَّىٰ يسير في دعوته عَلَىٰ صواب، وَحَتَّىٰ يثبت عَلَىٰ الحق، وَحَتَّىٰ لا يؤثر فيه خُذلان الناس، نقصًا عن الحق، أَوْ ضيقًا في النفس والقلب قد يُضعِفه عن سيره إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ يا معاشر الفضلاء، يا مَن عاهدتم ربكم بإيمانكم أن تستجيبوا لله عَزَّ وَجَلَّ وللرسول إِذَا دعاكم لما يحييكم، اعلموا عِلم اليقين أن أعظم ما دعاكم إليه ربكم وما دعاكم إليه رسولكم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التوحيد؛ أن تعبدوا الله عَزَّ وَجَلَّ ولا تشركوا به شيئًا، وأن تغاروا عَلَىٰ حق ربكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ العبيد، وأن يأبى الواحد منكم أن يجعل شيئًا ولو يسيرًا من حق ربه لغير ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مهما بلغ ذلك من فضل فلا يصرف شيئًا من العبادة، ولا يدعو، ولا يستغيث، ولا يطلب المدد، ولا ينظر إِلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ.

فلا يصرف شيئًا من ذلك لا لملكٍ مُقرَب، ولا لنبيٍ مُرسَل، ولا لوليٍ صالح، ولا لأحدٍ من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يعبد الله وحده يُشرِك به شيئًا، ونحن في درسنا هٰذَا نسعى بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ وقاية توحيد الموحدين من وسوسة المخالفين، وشبهات المُبطلين، وهٰذَا هو المقصود الأصلي من درسنا تبعًا للمقصود الأصلي من الكتاب الَّذِي نشرحه، ثُمَّ نرحم مَن يريد الحق من الخلق لكن تعوقه الشبهات عن سلوك طريق الحق، بأن نزيل الشُبه عنه بعلمٍ، وبيانٍ ودلالةٍ من السُّنَّة والقرآن.

ثُمَّ نقيم الحُجة عَلَىٰ المُعانِد الَّذِي يأبى الحق نصرًا للحق وكسرًا لأهل الباطل، ومن هنا فإننا نشرح كتابًا قد صَغُر حجمه، وعَظُم عِلمه، وكثُرت فائدته، وكَبُرت عائدته، ألا وهو كتاب: (**كشف الشبهات**)؛ لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وجزاه عنا وعن المسلمين وعن الإسلام خير الجزاء، وسائر علماء المسلمين.

وكنا قد قرأنا جزءًا كبيرًا من هٰذَا الكتاب، وعلقنا عليه بما يُقرِب معانيه، ويوضحه، ويكشف حقائقه لكل ذي قلبٍ مريدٍ للحق، ولكل ذي لُبٍ قد ألقى سمعه وهو شهيد، ونُكمِل قراءة ما سطره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ونُعلِق عليه، فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ الإمام المُجدِد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَحُّ عُقُولاً، وَأَخفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلَاءِ.

فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ لا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً.

وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!

(الشرح)

(إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَحُّ عُقُولاً، وَأَخفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلَاءِ)؛ نعم إِذَا تحققت بما تقدم من أول الكتاب أن فعل الَّذِين يدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويطلبون المدد من غير الله، وينادون المدد طالبين ذلك من غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وينظرون لغير الله عَزَّ وَجَلَّ مِمَن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام وما عرفوا حقيقة التوحيد: أن فعل هؤلاء يشبه ويطابق فعل المشركين الَّذِين عاندوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخرجوه من مكة بسبب ذلك، وقاتلهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسماهم رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المشركين، وتوعدهم بالخلود في النار أبدًا.

فلو عرفت كل ذلك بما تقدم في الكتاب، ثُمَّ عرفت في خاتمة الشبه المتعلقة بذلك أن شِرك هؤلاء المتأخرين أعظم وأقبح من شِرك أولئك المتقدمين بأمرين ذكرهما الشيخ، وزدنا عليهما أمرين كما بيناه في الدرس الماضي، فَإِذَا تحققت أن أولئك الَّذِين عاندوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشركوا

بربهم الَّذِي خلقهم ورباهم بالنِعَم وقاتلهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصح عقولًا وأقرب فِطرةً من هؤلاء المتأخرين، من جهة أن أولئك المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يدعون غير الله في الرخاء، أَمَّا إِذَا اشتدت بهم الشدائد، واستحكمت بهم الكربات فإنهم يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ مخلصين له الدين.

أَمَّا هؤلاء فيشركون في الرخاء والشدة، بل إن شِركهم في الشدة أشد، وأعظم فينسون ربهم، ويتذكرون مخلوقات الضعيفة، إِذَا أوشك أحدهم عَلَىٰ الغرق، وإِذَا نزلت بأحدهم مصيبة قَالَ: يا فلان، يا ولي الله، وينسى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم أخف عقولًا، وأقبح شِركًا من أولئك، وليس في هٰذَا مدحٌ لأولئك المشركين الَّذِين قاتلهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا فيه بيان سوء حال هؤلاء المتأخرين الَّذِين ينتسبون إِلَىٰ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعاندون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما عاند به أولئك المتقدمون.

(**فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا**)؛ ينتقل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا إِلَىٰ نوعٍ جديدٍ من الشبهات، إذ أن النوع المتقدم كله في الشبهات الَّتِي يريد من يطرحها أن ينفي الشبه بين فعل المتأخرين، وفعل المشركين، في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تبين لنا بُطلان ذلك.

وذَكَرَ لنا الشيخ في أول أن لهم ثلاث شُبه هي أكبر شُبههِم في الشُبهة المتعلقة بما ذكرنا، شرع هنا رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الشُبه المتعلقة بنفي اتحاد الحُكم بين هؤلاء المتأخرين، وأولئك المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحُكم هو الشِّرْك الأكبر بالله تَعَالَىٰ، وأُذكِر الإخوة جميعًا أن كلامنا هنا في الحُكم عَلَىٰ النوع، وقولنا: إنهم مشركون؛ أي: عَلَىٰ النوع، أَمَّا الأعيان فلهم شأنٌ آخر ينظر بحسب القواعد الشرعية الَّتِي قررها أهل العِلم تقريرًا بينًا ظاهرًا، فبين لنا رَحِمَهُ اللَّهُ وهيأنا لكون هٰذِه الشُبهة سيذكرها من أكبر شُبه القوم في هٰذَا الباب.

(**وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ**

أُولَئِكَ)؛ هٰذِه الشبهة قد يلقيها مَن يخالفك في التوحيد، عَلَىٰ سبيل التنزل معك أن فعله خطأ، وأنه يشبه فعل أولئك المشركين الأوائل، فيقول لك: أنا لا أوافقك عَلَىٰ أن الحُكم عَلَىٰ الصِنفين واحد لِمَا سيذكره، وقد يلقيها موافق لك عَلَىٰ التوحيد، لكن يقول: يا أخي أنا أخالفك في الحُكم عَلَىٰ هؤلاء بأنهم مشركون، فهؤلاء مسلمون يشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

✓ وخلاصة هٰذِه الشُبهة: كيف يتحد الحُكم عَلَىٰ هؤلاء وعَلَىٰ أولئك، وهؤلاء المتأخرون يشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن رَسُولُ اللَّهِ، ويقرأون القرآن، بل وكثيرٌ منهم يحفظونه عن ظهر قلب، ويتلونه، ويقرون به، ويعبدون الله بالعبادات المشروعة؛ كالصلاة، والصوم، والحج، بل قد ترى في وجوه بعضهم أثر السجود.

وأولئك المشرِكون في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُنكِرون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويكذبون رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنكِرون القرآن ويصفونه بالصفات القبيحة ككونه سِحرًا، ولا يعبدون الله بالعبادات المشروعة، وهٰذَا في نظرهم يقتضي عدم اتحاد الحُكم عَلَىٰ الفعل الَّذِي اشتركوا فيه، أَوْ بمعنى آخر أنهم يقولون: إن الَّذِي جاء بالشهادتين وعبد الله بالعبادات الظاهرة لا يَكفُر ولا يُكفَر مهما اعتقد أَوْ فعل، وَإِنَّمَا الَّذِي يكفر مَن لم يأت بالشهادتين أصلًا.

أَوْ بعبارةٍ أخرى يقولون: إن الحُكم لا يتحد بين هؤلاء وأولئك لوجود المانع من تكفير هؤلاء المتأخرين، فنقول لهم: ما هو المانع؟ فيقولون: المانع أنهم يشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وسيجيب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هٰذِه الشبهة جوابًا متينًا بديعًا.

ونُقدِم بين يدي ذلك إجمالا للجواب، فيُجاب عن هٰذِه الشُبهة: بأن نُثبِت لهم أن ما ذكروه مانعًا من التكفير لهؤلاء باطلٌ بإجماع العِلماء عمومًا، وإجماع صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا، بل وبإجماعهم هم يدخلون معنا في الإجماع، وأن هٰذَا المانع من التكفير باطل، إِذَا وجد سبب التكفير، فنُثبِت لهم إجماع العِلماء عَلَىٰ تكفير بعض مَن قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لوقوعه في مُكفِرٍ، ولم يمنع ذلك العِلماء إجماعًا من تكفيره، ونُثبِت لهم كذلك: أن صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمنعهم ذلك المانع الَّذِي يذكرون من إقامة حق الله عَزَّ وَجَلَّ في المخالفين، بل نُثبِت لهم هم: أنهم داخلون في هٰذَا الإجماع؛ لأنهم يُكفِرون من يُكفِره العِلماء.

☚ **ومن جهة أخرى نقول لهم:** إنكم تُكفِرون مَن يخالفونكم في هٰذَا الباب الَّذِين تسمونهم: الوهابية، وتسمونهم: أعداء الدين، وتسمونهم: أولياء الشياطين، مع كونهم يشهدون أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، ويشهدون أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وتصدح مآذنهم بهٰذَا، ويُكرِر خُطباؤهم هٰذَا، فلما كفرتموهم مع وجود هٰذَا المانع؛ وهو: أنهم يشهدون أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإذا بطل المانع اتحد الحُكم لوجود المقتضي، هٰذَا الأمر اَلْأَوَّلُ.

☚ **ومن وجهٍ آخر:** أن هٰذَا الكلام الَّذِي تقولونه مبنيٌ عَلَىٰ تفسيركم المنحرف لشهادة أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، بحيث تفسرونها بأنه لا قادر عَلَىٰ الاختراع إِلَّا الله، أو تفسرونه: بأنه لا موجود إِلَّا الله.

التفسير الثَّانِي: تفسير أهل الحلول والاتحاد، والتفسير اَلْأَوَّلُ: تفسير الأشاعرة الَّذِي يُطبِقون عليه: أنه لا قادر عَلَىٰ الاختراع إِلَّا الله، فاستقر في وجدانكم بناءً عَلَىٰ هٰذَا المعنى أن مَن أقر أنه لا قادر عَلَىٰ الاختراع إِلَّا الله وعبد غير الله لا يكون مُشرِكًا، وهٰذَا انحرافٌ أنبنى عَلَىٰ انحراف، وهٰذَا المعنى باطل بلَا شَكَّ لم يفهمه حَتَّىٰ كبار الكفار في زمن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن كبار الكفار في زمن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتقدون أنه لا قادر عَلَىٰ الاختراع إِلَّا الله، ويؤمنون بالربوبية -كَمَا تَقَدَّمَ- بيانه، والتدليل عليه، لكن لما قَالَ لهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»، ما قَالَوا لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، لو كان معنى لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ: لا قادر عَلَىٰ الاختراع إِلَّا الله لقَالَوا آمين صحيح، لكنهم قَالَوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥]، فعرفوا المعنى الصحيح لشهادة أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وأنه لا معبود بحقٍ إِلَّا الله.

فمَن صرف شيئًا من العبادة لغير الله لم يأتِ بحقيقة لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، ومن وجهٍ آخر نرد عَلَىٰ هٰذِه الشُبهة بأن الأدلة دلت عَلَىٰ: أن لشهادة لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ شروطًا لا توجد حقيقتها إِلَّا بها، ولا تنفع قائلها إِلَّا بها، فمَن قَالَ أشهد أن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حُكِم له بالإسلام الحُكمي، أَمَّا الإسلام المُنجي من النَّار فلا يكون إِلَّا إِذَا أتى الناطق بها بشروطها، فمَن أتى بهٰذِه الكلمة دخل في الإسلام، ثُمَّ إن ظهر منه إخلالٌ بها ونقضٌ لها حُكم بردته وكُفره بإجماع الفقهاء.

قَالَ ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع كل مَن نحفظ عنه من أهل العِلم عَلَىٰ أن الكافر إِذَا قَالَ أشهد أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به مُحَمَّدٌ حق، وأتبرأ من كل دينٍ خالف

دين الإسلام، وهو بالغٌ صحيح العقل أنه مسلم، فإذا رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا يجب عليه ما يجب عَلَىٰ المُرتد.

إِذًا يدخل الإسلام: بأن يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ويشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويَثبُت له الإسلام المنجي إِذَا جاء بشروط لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فإذا ثبت عَلَىٰ ذلك ووافى عَلَىٰ التوحيد كان موحدًا مسلمًا ناجيًا، وإِذَا أتى بمُكفرٍ بعد أن شهِد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن رَسُولُ اللَّهِ، وانتفت الموانع من كفره فإنه يكفر ويرتد بإجماع العِلماء.

- **والوجه الأخير في الرد الإجمالي:** أن الايمان بإجماع السَلَف قولٌ؛ وهو: النُطق بالشهادتين، واعتقادٌ، وعمل، وَلَا بُدَّ من هٰذِه الثلاثة في حقيقة الإيمان، ومَن لم يأتي بواحدٍ منها كفر.

ثُمَّ نقرأ كلام الشيخ ونُعلِق عليه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ؛ كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ.

أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ.

أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ.

أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ، وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَجِّ؛ أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(الشرح)

(فَالجَوَابُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلَامِ.)؛ نعم بإجماع أهل العِلم: مَن كذب رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيءٍ عند دخوله الإسلام مِمَّا ثبت عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدقه في غيره أنه كافرٌ، حَتَّى لو أشهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فلو قَالَ عندما طُلب منه أن يُسلِم

قَالَ: أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لكني لا أصدق بقصة إبراهيم، أَوْ نوحٍ، أَوْ آدم عَلَيْهِم السَّلَامُ، وأصدق بما بقي، فإنه لا يكون قد دخل في الإسلام بالإجماع.

وكذلك لو قَالَ: أشهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأشهد أَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وعاش مسلمًا فترة من الزمن، ثُمَّ قَالَ: أنا لا أصدق بشيءٍ مِمَّا علِم هو ثبوته عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن يقول مثلًا: أنا لا أصدق بخروج الدجال في آخر الزمان، مع أني أعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك صحيحة، لكن أقول ربما أن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها من غيره، فإنه يكفر بالإجماع.

فمَن كذب رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيءٍ ثبت عنده عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدقه في غيره يكفر بإجماع المسلمين.

(**وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ**)؛ نعم إِذَا آمن ببعض القرآن وجحد بعض القرآن فإنه يكون كافرًا، لو قَالَ عند الإسلام: أنا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لكن لا أصدق بقصص الأُمَم الماضية الَّتِي في القرآن فهو كافرٌ وما أسلم، ولو أنه قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاش ردحًا من الزمن يعبد الله عَلَىٰ هٰذَا، ثُمَّ قَالَ: أنا لا أصدق قصص القرآن، وأصدق غير ذلك، فإنه يكفر بالإجماع.

(**كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ.**)؛ أي: كان موحدًا اعتقادًا وعملًا فهو لا يعبد إِلَّا الله، ويعتقد أنه لا معبود بحقٍ إِلَّا الله، لكنه جحد وجوب الصلاة، قَالَ: الصلاة ما هي واجبة، الصلاة ليست فرضًا، فإنه يكفر بإجماع المسلمين، مع أنه يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ويأتي بمعناها؛ الَّذِي هو: أنه لا معبود بحقٍ إِلَّا الله، ويعمل بذلك، لكنه جحد وجوب الصلاة، فإنه يكفر بالإجماع.

(**أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ**)؛ نعم لو أقر بالتوحيد اعتقادًا وعملًا فلم يصرف شيئًا من عبادته لغير الله، وأقر بوجوب الصلاة الَّتِي هي خير أعمالنا والركن الثَّانِي من أركان الإسلام بعد الشهادتين، لكنه أنكر وجوب الزَّكَاة، قَالَ: الزكاة ليست واجبة، الزكاة تبرع، فمَن شاء زكى ومَن شاء لا يُزكي فإنه يكفر بإجماع المسلمين.

(**أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ**)؛ نعم أقر بالتوحيد اعتقادًا وعملًا، وبوجوب الصلاة وصلى، وبوجوب الزكاة وزكى، لكنه جحد وجوب الصوم، قَالَ: الصوم غير واجب، فإنه يكفر بالإجماع ولو

صام، لو كان لا يُفطِر يومًا من رمضان، لكن يقول: أنا اعتقد أن الصوم غير واجب فيكفر بإجماع المسلمين.

لاحظوا أنه أتى بالشهادتين، وأتى بالتوحيد عملًا، وأقر بفرضية الصلاة وعمِل، وأقر بفرضية وعمِل لكنه جحد وجوب الصوم، فإنه كافر بإجماع المسلمين، مع أنه أتى بالشهادتين، وأتى بالصلاة، وأتى بِالزَّكَاة.

(أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ)؛ يعني: لو أقر بالتوحيد وأتى به، وأقر بوجوب الصلاة وعملها، وأقر بوجوب الزكاة وزكى، وأقر بوجوب الصوم وصام، غير أنه جحد وجوب الحج، قَالَ: ما يجب عَلَىٰ الناس ولو استطاعوا أن يذهبوا إِلَىٰ مكة، حَتَّىٰ لو قَالَ: ما يجب عليهم أن يذهبوا إِلَىٰ مكة يمكن أن يحجوا في بلادنا، مع استطاعتهم الذهاب إِلَىٰ مكة فإنه يكون كافرًا بإجماع المسلمين.

(وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَجِّ؛ أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧])؛ لما زعم بعض أهل المِلل كاليهود أنهم مسلمون، كان اختبارهم: بالحج ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧]، فحجوا هيا، فقالَوا: إن الله لم يكتب علينا الحج، فقَالَ الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

جاء عن عِكرِمَة التابعي الجليل من كبار الفقهاء والمفسرين أنه قَالَ لما نزلت: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥]، قَالَت اليهود: نحن مسلمون، فقَالَ لهم النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فقَالَوا: لم يُكتَب علينا، وأبوا أن يحجوا، فقَالَ الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧]، رواه الشَّافِعِيّ في: **(الأُم)** والبيهقي، والفاكهي في: **(أخبار مكة)**، وسعيد بن منصور في السنن بقريبٍ من هٰذَا، والإسناد إِلَىٰ عِكرِمة صحيح، إِذًا هٰذَا يا إخوة مُرسَل صحيح.

فلعل الشيخ يشير إِلَىٰ هٰذَا، والأمر واضح أنهم اختُبِروا بالحج، فلما قَالَوا: إن الحج لم يُكتَب علينا وجحدوا وجوبه ما كانوا مسلمين، ما كانوا مسلمين والإجماع -كَمَا قُلْنَا- حاصل عَلَىٰ هٰذَا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعْثَ؛ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا؛ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا.

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ.

وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَأَقَرَّ بِذَلِكَ، لَا يَجْحَدُ هَذَا، وَلَا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا -.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ: كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ: لَا يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ.

(الشرح)

(وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعْثَ؛ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ)؛ يعني: لو أن إنسانًا أقر بالتوحيد وأشهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وانقاد للتوحيد فلم يصرف شيئًا من العبادة لغير الله، وأقر بوجوب الصلاة وصلى، وأقر بوجوب الزكاة وزكى، وأقر بوجوب الصوم وصام، وأقر بوجوب حج البيت لَمن استطاع إليه سبيلًا وحج، لكنه أنكر البعث؛ قَالَ: الناس إِذَا ماتوا لا يبعثون، فإنه كافرٌ بإجماع المسلمين حلال الدم والمال.

وكذلك مَن قَالَ: أنا أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكني لا أشهد أن صالحًا نبي الله، فإنه يكفر بالإجماع.

(كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ؛ فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا؛ زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ)؛ نعم قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]؛ يقولون: نؤمن بالله وما نؤمن بالرُسُل، ويقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]؛ نؤمن بالله وببعض الرُسُل، ونكفر ببعض الرُسُل، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]؛ حقيقة الكفر موجودة فيهم بسبب هٰذَا الوصف؛ وهو: أنهم يريدون أن يؤمنوا ببعض الرُسُل ويكفرون ببعض الرُسُل.

قَالَ الله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥١]، فاستحقوا بهٰذَا العذاب المهين، وقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، وهٰذَا إِنَّمَا هو للكفار فإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض الكتاب كان سببًا لاستحقاقهم الخلود في النَّار.

فإِذَا كان الله قد صرح في كتابه أن مَن آمن ببعض الرُسُل وكفر ببعض الرُسُل، أَوْ آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب فهو الكافر حقًا زالت هٰذِه الشُبهة، فإنه لو قَالَ: أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وكفر ببعض الرُسُل فهو الكافر حقًا بحُكم الله، ولو قَالَ: أؤمن بالقرآن كله إِلَّا سورة الإخلاص، فشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وقَالَ أؤمن بالقرآن كله إِلَّا سورة الإخلاص فهو الكافر حقًا.

بل والله لو قَالَ: أؤمن بالقرآن كله إِلَّا قول الله في المعوذات: قل، فإنه ليس من القرآن فهو الكافر حقًا بحُكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا عرفنا الإجماع عَلَىٰ تكفير مَن تقدم ذِكرهم مع وجود المانع الَّذِي ذكرتموه؛ وهو: أنهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ عرفنا بطلان قولكم من أصله.

(وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا)؛ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان حريصًا عَلَىٰ بيان التوحيد للناس، وكان يُراسِل الناس حَتَّىٰ إِلَىٰ آحادهم، وله رسائل شخصية رَحِمَهُ

اللَّهُ فيها عِلم غزير، ومنها مراسلات إِلَىٰ بعض أهل الأحساء، أحد أهل الأحساء أرسل للشيخ رسالة يستشكل، وفيها شُبه، فأجاب الشيخ عنها.

(وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ)؛ نعم نقول لهم: هل تُقِرون أن مَن أتى بالشهادتين وجحد وجوب الصلاة كافرٌ بالإجماع أَوْ لا، فإن قَالُوا: لا نُقِر شهدوا عَلَىٰ أنفسهم بالجهل الفاضح، فإن العِلم بهٰذَا مستفيضٌ لَا شَكَّ فيه ونُقيم عليهم الحُجة بالإجماع، وإن قَالُوا: نُقِر بهٰذَا ونعتقد هٰذَا، وَلَا شَكَّ أنهم سيقولون هٰذَا.

(فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ)؛ نعم التوحيد أعظم الفرائض عَلَىٰ الإطلاق، وهو أول ما دعا إليه النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **يا إخوة التوحيد مَتَى فُرِض؟**

فُرِض في أول البعثة في أول لحظة في البعثة، أليس كذلك؟ بلى والله.

- **طيب الصوم مَتَى فُرِضَت؟**

بعد الهجرة إِلَىٰ المدينة، فأيهما أعظم؟ التوحيد أعظم من الصيام بالإجماع، ولا يكون الإنسان مسلمًا أصلًا إِلَّا إِذَا أتى بالتوحيد، فهو أصل الإسلام وكان فرضًا من أول البعثة وَلَا شَكَّ.

فكيف تقولون: إن مَن جحد وجوب الصوم مع نطقه بالشهادتين يَكفُر، ومَن جحد توحيد العبادة الَّذِي هو أعظم توحيد، الَّذِي اتفق عليه الرُّسُل جميعًا لا يكفُر؛ لأنه أتى بالشهادتين، هٰذَا التفريق جهل عظيم، وهو ليس من باب التفريق بين المتماثلات، مع كون التفريق بين المتماثلات قبيحًا، فهو أقبح من ذلك، وهو أشد من ذلك، كما هو ظاهر.

(فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ: كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ: لَا يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ)؛ اللَّهُ أَكْبَرُ ما أمتن هٰذَا الكلام، وما أمتن هٰذَا الجواب، وعَلَىٰ كل حال خلاصة الكلام أن نقول: إن العلماء مُجمِعون عَلَىٰ تكفير مَن أتى بمُكفِر وإن كان ينطق الشهادتين.

لو جاءنا إنسان وقَالَ: أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لكن الحج غير واجب عَلَىٰ مَن يستطيع إليه السبيل، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يكفُر بالإجماع، فبطلت هٰذِه الشُبهة من أصلها، وهي -كَمَا قُلْنَا-: أن النطق بالشهادتين مانعٌ من تكفير مَن نطق بالشهادتين، نقول: هٰذَا باطلٌ بإجماع العِلماء، ثُمَّ الشيخ سينتقل إِلَىٰ صحابة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونُكمِل إِنْ شَاءَ اللهُ في الدروس القادمة، نحن إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نستمر في شرح كتاب: (**كشف الشبهات**) حَتَّىٰ نُنهيه، ثُمَّ أَيْضًا سنشرح الملاحق الَّتِي ألحقها الشيخ جزاه الله خيرًا بهٰذَا الكتاب لأهمية ما فيها، ولا سيما الكلام عن حديث: الأعمى، فإنه قد أعمى الكثيرين عن الحق، وقادهم إِلَىٰ الباطل، وظنوا أنه حق، سنناقش كل هٰذَا إِنْ شَاءَ اللهُ ونبينه بالعِلم، والبراهين من غير تجاوزٍ للحق.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل من الجميع، وأن يشرح صدورنا للهدى، وأن يرزقنا الثبات عَلَىٰ التوحيد وَالسُّنَّة، وأن يجعلنا خُدامًا للكتاب وَالسُّنَّة حَتَّىٰ نلقاه.

هٰذَا، واللهُ تعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ قد علمنا بالأدلة الشرعية القطعية أنّ دِيْن الْأَنْبِيَاء عليهم السلام واحد، فقد بعث الله الأنبياء عليهم السلام جميعًا بالأمر بعبادته وتوحيده، والنهي عن الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما من نبي بعث إلا وقد أمر قومه بعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ واجتناب الطاغوت، وأمرهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وختم الله عز وجل الأنبياء والرسل عليهم السلام بأشرفهم محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه بدين الأنبياء عليهم السلام، بتوحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه بأن يقولون: لا إله إلا الله، ففهموا معناها، وأدركوا مغزاها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، مع أنهم يقرّون بأنه لا يخالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، لكنهم فهموا وأدركوا أن معنى: لا إله إلا الله، أنه لا معبود بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمعبود واحد والعبادة كلها صغيرها وجليلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فأبى صناديد قومه هذا، وسبوه، وأرادوا قتله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وظلّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى هذا التوحيد الْعَظِيم، ويعلّمهم دين الله عَزَّ وَجَلَّ حتى هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه المدينة، فاستمر يدعو الناس إلى التوحيد، وقاتل المشركين على شركهم، وكفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وظل على ذلك حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، ومات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام الصحابة رضوان الله عليهم بالدعوة إلى دين الله عَزَّ وَجَلَّ يعلمون الناس دين الله وشريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فانتشر الإسلام، وعرف التوحيد بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، وظل المسلمون على هذا التوحيد، لا يعكره شيء ثلاثة قرون.

ثم بعد ذلك ظلّ أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام في باب التوحيد، فظهرت المشاهد والقبور والقباب على القبور على يدي العبيدين الفاطميين، الذين يظهرون الرفض وباطنه النفاق والزندقة، ظلمات بعضها فوق بعض.

واغتر بعض من ينتسبون إلى الإسلام بهذا الأمر، فصاروا يعبدون القبور ويعقدون لأصحاب القبور النذور ويصرفون أنواعًا من العبادة لأصحاب القبور كدعائهم والاستغاثة بهم ونحو ذلك، فأنكر علماء الأمة ذلك، وألف بعضهم في ذلك كتب فقرأ بعض المغرورين هذه الكتب فاستنارت بصائرهم، وعادوا إلى توحيد ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلا أن أقوامًا من أولئك المنحرفين عن التوحيد قد عميت بصائرهم وظلوا على هذا الشرك، وصاروا يزينون الشرك لعامة الناس، وكان عامة هؤلاء الرؤوس ممن ينتفعون ببقاء عامة الناس على هذا الشرك، فإنهم بهذا يقدسون تقديسًا عظيمًا، ويعاملون بالتقديس والرفع فيعيشون على أكتاف العامة أعلى من الملوك، تقبل أيديهم ورؤوسهم، وأرجلهم، يسجدوا لهم من يسجد، ويركع لهم من يركع، ويعطيهم العامة المساكين قوت أولادهم وأهليهم.

فقام أولئك بوضع شبهات تصد الناس عن ترك هذا الشرك، والعودة إلىٰ التوحيد، فألف العلماء الناصحون كتبًا في كسر هذه الشبهات وردّ هذه الشُّبُهَاتِ.

☚ ومن أولئك العلماء: **الإمام المجدد طبيب التوحيد الماهر الحاذق الناصح لأمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجاهد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ومن يقرأ سيرة هذا العالم بإنصاف علم قدر هذا العالم، وعلم نصح هذا العالم، وينبغي على الأمة أن لا تغتر بكتابات المخالفين للتوحيد، فإنهم ظلمة، كذبة، أهل بهتان، ألصقوا بالشيخ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ما لا يعتقده ولا يقول به رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، هذا الإمام الناصح ألف كتابًا صغير الحجم عظيم النفع، أسماه كشف الشبهات، رد به شبهات أولئك المضللين تثبيتًا لأهل التوحيد، وبيانًا للمغرورين من عامة الأمة بتلك الأعمال الشركية وإقامة للحجة على المعاندين الذين لا يريدون السير على طريق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته رضوان الله عليهم.

ولما كان الأمر يقوم على بيان أن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويصرفون العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ كفعل أولئك المشركين الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاهم إلى التوحيد

وقاتلهم على ذلك، وأن الذين يفعلون هذا وهم ينتسبون إلى الإسلام حكمهم كحكم أولئك الذين كانوا يشركون بالله في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الآيات والأحاديث الواردة في التحذير من الشرك تنطبق على شرك هذا الزمان كما تنطبق على شرك ذاك الزَّمَانِ.

فإن أهل الشبهات حرصوا على أمرين:

الأمر الأول: الزعم أن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويعبدون غير الله عز وكل يخالفوا فعل أولئك المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأمر الثاني الذي يقوم عليه أو تقوم عليه شبهات القوم: الزعم أن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام يختلفون عن أولئك الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم على شركهم من جهة أن هؤلاء مسلمون وأوليك مشركون، كان كشف هذه الشبهات يعتمد على هذين الأمرين، فكان صدر الكتاب في رد الشبهات التي تتعلق بأن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويذبحون لأصحاب القبور وينذرون لأصحاب القبور ويدعون خلقًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ ويستغيثون بخلق من دون الله عَزَّ وَجَلَّ أن فعل هؤلاء هو فعل أولئك الأولين.

فكان رد كشف الشبهات في إثبات هذا الأمر، وكان آخر الكتاب في كشف الشبهات التي تقول: إن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام مع فعلهم هذه الشركيات يختلف حالهم عن أولئك المشركين، لأن هؤلاء مسلمين والشيخ رد هذه الشبهات وكشفها، وبين أن الفعل هو الفعل، بل إن فعل المتأخرين أقبح بالأدلة البينة الظاهرة وبين أن الفاعل هو الفاعل، ورد هذه الشبهات، وكنا في آخر مجلس نناقش الشبهة التي تقول: إن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويصرفون أنواعًا من العبادات لغير الله سبحانه وتعالى لا ينطبق عليهم التكفير، لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهذا مانع من تكفيرهم مهما قالوا ومهما فعلوا.

وقد ردّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الشبهة وفضح أهلها، وبينا شيئًا من الرد على هذه الشبهة، وفي هذا المجلس نواصل الكلام عن كسر هذه الشبهة وردها.

(المتن)

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشبهات:

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ وَيُؤَذِّنُونَ ويصومون.

(الشرح)

من هنا بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على أن من أتى بالشهادتين يكفر إن تلبس بمكفر، ولا يمنع تكفيره نطقه بالشهادتين، ولا يسوغ ولا يجوز أن يقال لمن كفره: إنه يكفر المسلمين، فمن نطق بالشهادتين ثم أتى بمكفر ولو اوحد فإن الصحابة رضوان الله عليهم مجمعون على أنه يرتد عن دينه، ويكون كافرًا خارجًا عن ملة الإِسْلَامِ؛ فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على كفر المرتدين من بني حنيفة، وقاتلوهم، مع كونهم أتوا بالشهادتين وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلموا مع خير من يسلم معه أسلموا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يصلون ويؤذنون ويعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، لكنهم اعتقدوا أن مسيلمة نبي.

كما نقل ذلك عنهم ابن جرير وغيره من علماء السير، وقد جاء في بعض الروايات أن جماعة من بني حنيفة تابوا من هذه الردة، واستقبحوا فعلهم، ورأوا أنه لا يكافؤوا فعلهم إلا أن يجاهدوا في سبيل الله، فخرجوا بنسائهم وذراريهم إلى الثغور، وبنوا مساجد يصلون فيها، إلا أن رجلًا مر بهم في مساجدهم فوجدهم يذكرون أن مسيلمة نبي، أو كانوا يقرؤون في مساجدهم ببعض خزعبلات مسيلمة، فأخبر بان مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث كان على الكوفة، فتوثق من ذلك وعلم ذلك فأجمع الصحابة الذين كانوا مع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على كفرهم بهذا، لكنهم اختلفوا هل يقتلون مباشرة أو يستتابون؟

ثم استقر الأمر على استتابتهم، فاستتيبوا فتابوا، فأطلق سراحهم، فالصحابة أجمعوا على تكفير بني حنيفة عند ارتدادهم الأول، وقاتلوهم قتال المشركين، مع كونهم قد شهدوا أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله، ثم لما تاب من تاب منهم لكنهم ظلوا في أنفسهم على مكفر، وهو الاعتقاد أن مسيلمة نبي، وإن كان لا يعلنون ذلك ولا يشهرونه أو قراءة ما وضعه مسيلمة في صلاتهم.

أيضًا أجمع الصحابة على كفرهم مع كونهم يصلون في المساجد، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فبان بهذا بطلان الزعم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال ومهما فعل بإجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تكفير من أتى بالشهادتين ثم تلبس بمكفر، فبان بطلان هذا الزعم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ.

(الشرح)

هذا اعتراض من أصحاب الشبهة، وهو أن الصحابة رضوان الله عليهم إنما كفروا بني حنيفة لقولهم: (إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ)، أي أنهم يقولون: ونحن نقول: لا نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرهم يختلف عن أمرنا، ويُجاب عن هذا الاعتراض بأوجه:

الوجه الأول: أن يقال لهم: إن هذا لا ينفعكم شيئًا، لأن المقصود إبطال زعمكم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر بعد ذلك مهما قال أو فعل، وهذا يحصل مع قولكم هذا، نعم هم كفرهم إنما كان بقولهم: (إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ)، ما أتوا بشيء من المكفرات إلا بهذا، وهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومع ذلك كفرهم الصحابة، ومقصودنا أن نثبت هذا، أن من أتى بالشهادتين لا يمنع ذلك من تكفيره إن جاء بمكفر، واجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: إن الذي أنتم فيه أقبح مما كان عليه بنو حنيفة، لأنهم رفعوا رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكفروا بذلك بإجماع الصحابة، أما أنتم وأمثالكم فرفعتم رجالًا إلى مرتبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصرفتم لهم حق الله، وصرفتم لهم أنواعًا من العبادة التي هي الحق المحض لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والوجه الثالث: أن القدح في إحدى الشهادتين كالقدح في الأخرى، فأولئك قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، وأنتم قدحتم في شهادة أن لا إله إلا الله، نعم أولئك القوم الذين كفرهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلوهم قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، فزعموا أن مسيلمة

نبي، لكننا نقول لكم: إن الشهادتين متلازمتان، وإن القدح في إحداهما كالقدح في الأخرى، فلما نظرنا في حالكم ورأينا أنكم تقدحون في شهادة أن لا إله إلا الله علمنا أنكم كالذين قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، فالحكم سواء.

الوجه الرابع: أن نقول لهؤلاء: إنكم اعتقدتم في رجال ما لم يعتقده بنو حنيفة في مسيلمة الكذاب، فاعتقدتم مثلًا أن الأقطاب الأربعة أو السبعة يتصرفون في الكون، فما من حركة في الكون ولا سكون في الكون إلا بأمر هؤلاء الأقطاب الأربعة، أو الأقطاب السبعة، وزعمتم أن لهم رجلًا أعلى منهم، يقال له: قطب الأقطاب، أو الغوث الأوحد، وأن هؤلاء في كل يوم يجتمعون في غراء حراء يقدرون الأمور ويتصرفون في الكون، بل زعمتم أن هؤلاء الأقطاب لا يدخل أحد الجنة إلا بإذنهم، نعوذ بالله من هذا الغلو، وهذا الأمر ما قاله كاف رمن صناديد الكفار في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا قاله أحد من بني حنيفة الذين زعموا أن مسيلمة نبي.

فأنت جئتم بأقبح مما جاء به بنو حنيفة الذين قاتلهم الصحابة رضوان الله عليهم وكفروهم، وأجمعوا على ردتهم.

والوجه الخامس: أن نقول لهؤلاء: إنكم نع قدحكم في شهادة أن لا إله إلا الله قد قدحتم في شهادة أن محمدًا رسول الله، حيث زعمتم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتم أمرًا من أعظم أمور الدين، لأن هذا الذي أنتم عليه وتزعمون أنه من أعظم الدين ما بينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزعمون أنه من الدين، إذًا أنتم تقدحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزعمون أنه لم يُبيّن الدين كله، أو أنه لم يُبين كل الدين في حياته، وأبقى الصحابة على جهل ببعض الدين، وبينه بعد مماته بزعمكم وخرافاتكم من أنه ظهر لبعض شيوخكم أو مد يده إلى بعض شيوخكم فأعطاه صلاة كذا وأعطاه ذكر كَذَا.

وحتى بعض المعاصرين اليوم يقول: جاءني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخصني بهذا الذكر، خصني بهذا الذكر، فأمره بذكر يعبد الله به، ويأمر الناس به، ما علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة، فأنتم تقدحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وتتهمونه بأنه خان الأمانة حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث لم يُبيّن للناس دينهم الذي كمل في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول الله

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فإذا علمنا هذه الأوجه عرفنا رد هذا الاعتراض وأن هذا الاعتراض لا ينقض ما أبرمناه من الرد على هذه الشبهة الباطلة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: قُلْنَا: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

(الشرح)

(قُلْنَا: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ)، هذا المطلوب أن نثبته، وهو زعمكم أنهم إنما كفروا بقولهم: إن مسيلمة نبي.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً فِي مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَرَ.

(الشرح)

وقد أجمع العلماء على أن من رفع رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جعل رجلًا أشرف وأكمل وأتقى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يكفر بذلك، وهذا الذي وقع من الصحابة رضوان الله عليهم، فلما رفع بنو حنيفة مسيلمة إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النبوة أجمع الصحابة على ردتهم، وعلى قتالهم ردة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ.

(الشرح)

أي: أنّ الصحابة قاتلوهم قتال الكفار الذي يحل معه الدم والمال.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلَا الصَّلَاةُ.

(الشرح)

أي: لم تمنع الشهادتان كفره، ولم تمنع صلاته كفره، وهذا المطلوب أن من أتى بمكفر ولو كان ينطق بالشهادتين فإنه يكفر، يكفر من جهة فعله، ويكفر من جهة ذاته إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا؛ فِي مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟!

(الشرح)

كيف بمن رفع شمسان، وشمسان رجل في جهة الرياض في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أو قبله، كان يدعو الناس إلى تعظيمه، ويأخذ منهم الأموال، وكان أولاده نوابًا له يدعون الناس إلى ذلك، ولذلك حكم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بكفره، ولا شك في كفره، مع أنه أيضًا تذكر في سيرته أنه كان رجلًا خبيًا منحلًا من الدين، وأما يوسف فيوسف رجل كان يعظم في شرق الجزيرة العربية، إما في الأحساء وإما في الكويت، وعلى قبره قبة، وكان قبره وثنًا يعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالمقصود فكيف بمن رفع شخصًا ولو كان تقيًا، فكيف إذا كان من شرار الخلق إلى مرتبة الله عَزَّ وَجَلَّ، فصرف له شيئًا من العبادة فإنه أقبح وأكفر ممن رفع رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ: كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟!

أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

(الشرح)

هذا أيضًا من إجماع الصحابة الذي يبطل زعم أهل هذه الشبهة أن من أتى بالشهادتين يمتنع تكفيره مهما قال أو فعل، فإن الصحابة في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعوا على كفر غلاة الشيعة السبئية،

الذين اعتقدوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الألوهية والربوبية، فأمهلهم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاثة أيام للتوبة، فكان أحدهم يأتي إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول: أنت هو، أنت هو، أي أنت الله، نعوذ بالله من هذا الكفر، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يزجرهم، ويعظهم، ويعلمهم أنه عبد، لا يملك لهم من دون الله شيئًا، فكانوا يأتون أيضًا في اليوم الثاني فيقولن: أنت هو، ويفعل بهم كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، فلما رأى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الأمر منكر عظيم، وأنه يجب حسمه، وأن يكون في معاملة هؤلاء ما يزجر من يأتي من بعدهم، فعل أمرًا عظيمًا فخد أخاديد في الأرض، وأجج فيها نارًا، ودعا غلامة قنبر لرميهم في هذه النار، وقال بيته المشهور:

لَـمّـا رَأَيـتُ الأَمـرَ أَمـراً مُـنـكَـراً ... أَجَّـجـتُ نـاري وَدَعَـوتُ قَـنـبَـرا
ثُـمَّ اِحـتَـفَـرتُ حُـفَـراً وَحُـفَـراً ... وَقَـنـبَـرٌ يَـحـطِـمُ حَـطـمـاً مُـنكَـراً

ووافقه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفر هؤلاء، وعلى ردتهم، لكن خالفه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في طريقة قتلهم، فما كان يرى قتلهم بالنار، فلا يعذب بالنار إلا رب النار، وإنما يقتلون بالسيف، وهذا الذي عليه جمهور الفقهاء أن المرتد لا يحرق، وإنما يقتل بالسيف، لكن الشاهد: أن الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا أحياء في زمن علي رضي الله عنه أجمعوا قاطبة على ردة هؤلاء، وعلى كفرهم مع كونهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون مع الناس في المسجد، لكنهم لـما أظهروا هذا الاعتقاد أجمع الصحابة على تكفيرهم، فبطل الزعم أن من أتى بالشهادتين يمتنع تكفيره مهما قال أو فعل.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ - أَيْضًا -: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ: كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(الشرح)

نعم أخذوا العلم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوا صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم ليسوا من الصحابة يقينًا، لكنهم شاهدوا صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهم من أظهر الإسلام نفاقًا، فهو يبطن الكفر وأظهر الإسلام مخادعة ليصل إلى غرضه في المسلمين، ومنهم من يظهر أنه مسلم، لكنهم اعتقدوا هذا الاعتقاد بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قلنا: كانوا يقولون له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت هو، أي أنت الله.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا.

(الشرح)

المقصود أن الذين يعتقدون في أصحاب القبور هم يجعلونهم آلهة، وإن لم يسموهم آلهة، لأن الذي تصرف له العبادة هو الإله، فهؤلاء القبوريون كأولئك السبئية الذين جعلوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلهًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟!

(الشرح)

أي: كيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم مع نطقهم بالشهادتين لو كان النطق بالشهادتين مانعًا من التكفير، كيف أجمع الصحابة على كفرهم وقتلهم؟! مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولو ظاهرًا، لو كان ما تقولونه صحيحًا من أن النطق بالشهادتين مانع من التكفير، بمعنى أن نقول: إما أن الصحابة مخطئون، وإما أنكم في زعمكم مخطئون، ولا شك أن الصحابة غير مخطئين، ولا يمكن أن يجمع الصحابة على باطل، فتعين أنكم المخطئون، وأن زعمكم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أو فعل باطل وخطأ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟!

(الشرح)

أي هل تظنون أن الصحابة رضوان الله عليهم كفروا هؤلاء القوم وهم مسلمون؟! وهل يستسيغ مسلم أن يقول: إن الصحابة يكفرون المسلمين؟ الجواب يقينًا: لا، ولن يقول أحد يعرف دين الله إلا كلمة: لا، جوابًا عن هذا السؤال، فإن الصحابة رضوان الله عليهم ما كفروا قومًا مسلمين، وإنما كفروا من ارتد عن الإسلام، فصار حقيقًا بأن يكفر.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

(الشرح)

أي هل تسلمون أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على تكفير هؤلاء لغلوهم واعتقادهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فيقولون: نعم، الصحابة في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كفروا هؤلاء لغلوهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واعتقادهم فيه، فيكون السؤال التالي: هل هذا خاص بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم يشمل كل من غلا في عبد واعتقد فيه أن له ما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أو بعبارة أخرى: هل تظنون أن الصحابة رضوان الله عليهم كفروا من اعتقد هذا الاعتقاد في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يكفرون من اعتقد هذا الاعتقاد فيمن هو دون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

لا يمكن أن يكون هذا، فإن من دون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الاعتقاد فيه أقبح وأعظم ظلمة، لا شك أن القوب إن هذا قاصر على الغلو في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون من هو دونه لا يقبله عقل سليم ولا قياس صحيح، فتعين القول: إن الاعتقاد في مخلوق بأن يصرف له شيء مما لله عز وجل فر، يخرج من ملة الإسلام بإجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهنا الشيخ أبطل شبهتهم وأبطل شيئًا يوصم به دعاة التوحيد، ويقال: إنكم تكفرون المسلمين، لم؟ لم قلتم: إنه مسلمون؟ قالوا: لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، وربما كان في جبهة أحدهم زبيبة، وعلامة على كثرة الصلاة، يقول الشيخ: هل تقولون: إن الصحابة يكفرون المسلمين؟ هذا لا يمكن أن يقوله مسلم.

وقد وجدنا الصحابة رضوان الله عليهم يكفرون من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وصلى مع المسلمين لكنه أتى بمكفر، واستحق التكفير.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ: كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ.

فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -؛ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

(الشرح)

هنا يشرع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في بيان إجماع علماء المسلمين على أن من أتى بالشهادتين ثم تلبس بمكفر أنه يكفر، فمن الأوجه التي تدل على ذلك: أنّ بني عبيد القداح، عبيد القداح قيل هذا اسمه، وقيل لقبه، واسمه سعيد، كان يهوديًا في المغرب، تعرفون المغرب ليست دولة الآن، المغرب جهات أفريقيا كانوا في تونس، فزعم أنه من نسل فاطمة، وعامة المسلمين عامة علماء المسلمين يذكرون كذب هذا الرجل في نسابه إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاها، وإنما هو يهودي أظهر الإسلام مكرًا وخداعًا، وهو مؤسس الدولة العبيدية الإسماعيلية، وقد ملكت المغرب ومصر والحجاز ثلاثة قرون تقريبًا، من بعد القرن الثالث، يعني من بداية القرن الرابع لمدة ثلاثة قرون تقريبًا.

وقد كانوا يدعون الإسلام ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيمون المساجد ويبنون المساجد ويصلون الجمعة والجماعة، لكنهم انكروا بعض الشرع، وأول ما عرف عنهم: أنهم كانوا يرون جواز الجمع بين الأختين في النكاح، وأحلوا بعض المحرمات، فكفرهم العلماء، واتفق العلماء على أنهم زنادقة كفار، لكن شرهم لم يقف عند هذا، بل زاد قبحهم وزاد شناعتهم زيادة عظيمة حتى بلغ الأمر أنهم شرعوا للناس أنه إذا ذكر اسم الحاكم يسجد الناس سواء كانوا في المسجد الحرام أو في المسجد أو في السوق، فإذا ذكر اسم الحاكم لا بد أن يسجد جميع من يسمع هذا الاسم، وعمموا سب الصحابة وتكفيرهم، وكان كل عالم يترضى عن الصحابة يقتل، وكل عالم يأبى أن يسب الصحابة يقتل، ثم زاد قبحهم حتى اعتقدوا الألوهية في حكامهم بل والربوبية في حكامهم.

فكان قبحهم قبحًا عظيمًا، وهم الذين أدخلوا في الأمة المشاهد على القبور، والقباب على القبور، هم الذين أحدثوا مشهد الحسين في مصر، وزعموا أن رأس الحسين دفن هناك، وهم أول من أقام الموالد في هذه الأمة، فهم أصحاب شناعات عظيمة، لكن الشيخ هنا يتكلم عن حالهم في أول أمرهم، أما في آخر أمرهم فهم أكفر من كفر، وشناعاتهم ما وصل ليها أحد، يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن العلماء متفقون على رميهم بالزندقة والنفاق، وقد أفتى العلماء من جميع المذاهب بكفرهم، وحثوا على جهادهم وقتالهم، وعلى أن دارهم دار حرب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ.

(الشرح)

والحجاز أيضًا، وكان هذا في بداية القرن الرابع، واستمر ما يقرب من ثلاثة قرون، ثلاثة قرون إلا قليلًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ.

(الشرح)

ولو ظاهرًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ.

(الشرح)

أي في أول أمرهم، وكانت تقام الجمعة والجماعة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -.

(الشرح)

أي: في أول أمرهم، وكما قلت لكم: أظهروا جواز الجمع بين الأختين في النكاح، وعملوا بهذا، وحللوا كثيرًا من المحرمات.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ.

(الشرح)

من كل المذاهب أفتوا بكفرهم، وحرضوا على قتالهم.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

(الشرح)

وسقطت دولتهم الفاسدة، فالمقصود هنا: إجماع العلماء على تكفير من تلبس بمكفر وإن أتى بالشهادتين.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ -؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

(الشرح)

هذا الوجه الثاني من إجماع العلماء على من أتى بمكفر يكفر من جهة فعله ومن جهة ذاته إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع، مع كونه قد أتى بالشهادتين، يعني إجماع العلماء على أن النطق بالشهادتين ليس مانعًا من التكفير عند وجود سببه، هذا هو الوجه الثاني، ما هو هذا الوجه؟ أن الفقهاء مجمعون على ذكر كتاب أو باب في المرتدين، يذكرون فيه أمورًا يرتد بها من نطق بالشهادتين ويخرج عن الإسلام، يختلفون في عدها كثرة وقلة، وأكثر الفقهاء ذكرًا وتعدادًا لهذه الأمور هم الفقهاء الحنفية الأحناف الفقهاء الحنفيون هم أكثر الناس ذكرًا حتى أنهم ذكروا أشياء يراه الناس كثيرًا.

بعض فقهاء الحنفية قالوا: من صغر المسجد فقال: مسيجد على سبيل التصغير له والتحقير يكفر، ويرتد، مع أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن قال: هذا مسيجد، ليس من باب الوصف، يعني لو كان صغيرًا لا يتكلمون عنه، وإنما من باب التحقير والتقليل منه، قالوا: إنه يكفر.

وكذلك من ذكر آية على سبيل المزاح يكفر، فإذا ذكر آية، يعني يذكر هذا فقهاء الأحناف، وذكره غيرهم أن من قال آية ذكر آية في مقام المزاح أنه يكفر بذلك، مع كونهم يأتون بالشهادتين، المقصود أن الفقهاء مجمعون على أن هناك أمورًا من قال واحدًا منها أو فعل واحدًا منها يرتد عن دينه، ويحكم بكفره، مع كونه قد أتى بالشهادتين، فدل ذلك على أنه لا يلزم من التكفير أن يكون الكفر مغلقًا، لأن بعض هؤلاء القوم يقولون: لا يكفر الإنسان إلا إذا كذب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنكر البعث، وأشرك بالله مع هذا، هذا الكفر المغلق المطبق، أما ما عدا ذلك فما دام أنه أتى بالشهادتين فلا يكفر مهما فعل ومهما قال.

وهذا باطل، أبطلناه من وجوه كثيرة من أول الكلام عن هذه الشبهة، وهذا الجواب المقصود به إجماع علماء الأمة على أن من أتى بالشهادتين يرتد عن الإسلام إذا أتى بشيء من أسباب الردة، وهذا يبطل زعمهم أن من أتى بالشهادتين يمنع ذلك تكفيره مطلقًا، مهما قال أو فعل.

لعلنا نقف عند هذه النقطة، لأن الشيخ سينتقل إلى رد أيضًا على هذه الشبهة يحتاج إلى شيء من الوقف، فيكون في الأسبوع القادم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهديني وإياكم سواء السبيل، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا أتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الذي هدانا للتوحيد بفضله أن يثبتنا عليه، وأن يجعلنا دعاة إليه، حكاة له حتىٰ نلقاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلك، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وقد اجتمعتم في بيت عظيم من بيوته في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتطعتم جزءًا من أول يومكم هذا، أسأله سبحانه أن يجعل يومكم سعيدًا، وأن يعينكم فيه علىٰ طاعته، وأن يتقبل منكم، وأن يوسع رزقكم، وأن يقيكم شر الأشرار وكيد الفجار.

هٰذَا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.

المجلس (١٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، الحَمْدُ للهِ عِنْدَ الرِّضَا، والحَمْدُ للهِ بَعْدَ الرِّضَا، والحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّار، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ العَبْدُ المُصْطَفَىٰ المُخْتَارُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَقْبَلَ لَيْلٌ أَوْ أَضَاءَ نَهَارٌ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ آلِهِ الأَطْهَار وَصَحَابَتِهِ الأَبْرَار.

أَمّا بَعْدُ؛

معاشر الفضلاء؛ أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعل مجلسنا هذَا من خير أعمالنا في يومنا هذَا، وأن يتقبله منا، وأن يدخره لنا، وأن يجعله سببًا لرضاه عنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاشر الفضلاء؛ إن العلم يعظم إذا تعلق بحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا تعلق بالتوحيد، وإن المؤمن ليحلو لَهُ أن يسمع الكلام عَنْ حق ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونحن في درسنا هذَا نشرح كتاب: (**كشف الشبهات**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولا زلنا في سياق الرد على شبهة كبيرة، يُرددها الفاعلون للشِّرْكِ والقائلون للشرك ممن ينتسبون إلى الإسلام قديمًا.

ولا زال القائلونَ الشرك والفاعلونَ الشرك الَّذِينَ يُجاهرون، ويزعمون أَنَّهُم أنه يصلحهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه يُقربهم إلى الله، بل يصيرون به أولياء لله، ويسبقون به غيرهم إلى الجنة، لا زال أولئك يُرددون هَذِه الشبهة، وقد عظم شأن الشبه المتعلقة بالشرك في زماننا هذَا؛ حيث انفجرت وسائل التواصل الاجتماعي، وصار كل من يُريد أن يتكلم تكلم وألقى الطوام والبلاء في آذان الناس.

هَذِه الشبهة مفادها: أنكم يا أهل التوحيد، يا من تدعون إِلَىٰ التوحيد على وجه التفصيل، ويا من تنهون عَنْ الشرك وتُبينونه على وجه التفصيل، إنكم تُكفرون المسلمين، وتنشرون التكفير بين

المسلمين، والمسلم إذا أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أَوْ فعل، ولا يُكفر مهما قال أَوْ فعل، إلَّا إذا كذب الله وكذب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكذب القرآن وكذب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذب بالبعث.

فهذه الشبهة لها أصل وفرع:

- **أما أصلها:** فزعمهم أن من نطق بالشهادتين يبقى إسلامه لازمًا دائمًا، لا يُكفر مهما قَالَ، ومهما فعل، فقوله: (**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**) يكفيه، ولو فعل مَا فعل، ولو قال مَا قَالَ.

- **وأما فرعها:** فهو أنكم يا أهل التوحيد تُكفرون المسلمين، وتحكمون على المسلمين بالكفر، وبهذا تنشرون التكفير بين المسلمين.

وَهذِهِ الشبهة يُريد بها أصحابها أمرين:

اَلْأَوَّلُ: ثنينا عَنْ الدعوة إِلَىٰ التوحيد، والتحذير من الشرك حَتَّىٰ يبقى العوام أسرى لهم يُعظمونهم، ويُجلونهم، ويرفعونهم رفعًا عظيمًا، ويخدمونهم، ويُعطونهم مَا يملكون.

والأمر الثَّانِي: التشنيع عَلَىٰ التوحيد، وعَلَىٰ دعوة التوحيد، حَتَّىٰ لا يُقبل العوام على التوحيد، وَحَتَّىٰ لا ينبذ العوام الشِّرْك.

ونحن عندما نرد هَذِهِ الشبهة وأمثالها، ونكسر هَذِهِ الشبه كسرًا بالحجة والبرهان، إنَّمَا نُريد أمورا ثلاثة:

- **الأمر الأول:** تثبيت أهل التوحيد عَلَىٰ التوحيد، وعلى الدعوة إلى التوحيد، هَذِه الدعوة الَّتِي هِيَ أعظم دعوة وأشرف دعوة، وفيها أعظم إحسان لبني الإنسان.

- **والأمر الثاني:** أن نكشف الشبه، ونُزيل مَا يُغطي عيون العوام مِمَّا يُلقيه أهل الباطل عَلَىٰ مسامعهم رحمة بهم، وإحسانا إليهم، ودعوة لهم إلى الجَنَّة، وخوفًا عليهم من النَّار.

- **والأمر الثالث:** أن نُقيم الحجة على أهل الباطل، وندمغهم دمغًا بقول الله وقول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماع سلف الأُمَّة.

وقد تقدم الكلام عَنْ هَذِه الشبهة في المجالس، وبيَّنَّا أوجهًا من الجواب عَنْ هَذِه الشبهة، **فقد تقرر تقررًا بينًا لا لبس فيه:** أن الصحابة مجمعون عَلَىٰ أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ تلبس بمكفر من المكفرات

أنه يكفر بذلك، ويخرج عَنْ دين الإسلام، وفق الضوابط المعروفة عند أهل العلم، وأن الفقهاء والعلماء مجمعون عَلَىٰ أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ أتى بمكفر يرتد عَنْ الإسلام، ويصبح كافرًا وفق الشروط الَّتِي سنشير إليها إِنْ شَاءَ اللهُ فِي ختام الكلام عَنْ هَذِهِ الشبهة.

وكان آخر مقطع قرأناه يتعلق بتقرير إجماع الفقه على أن المسلم قد يرتد عَنْ دينه إذا أتى بشيء من المكفرات النواقض للإسلام، وقد قرأنا هذَا المقطع عَلَىٰ عجل، فأطلب من الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين أن يُعيد علينا قراءة هذَا المقطع.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشُّبُهَات": وَيُقَالُ أَيْضـًا:

إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغيْرِ ذَلِكَ.

فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ) -وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ-؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعـًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً -عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا-؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

(الشرح)

هذَا أيضًا من باب تقرير إجماع الفقهاء على أن من أتى بالشهادتين إذا أتى بناقض أَوْ مكفر فإنه يرتد عَنْ الدين، فيقول الشيخ: (**إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ**)؛ أي الَّذِينَ كانوا فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ التوحيد، وأبغضهم لشركهم وقاتلهم على هذَا الشرك، وتوعدهم بالخلود فِي النَّار، (**لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ**)؛ فأتوا بالأقوال والأفعال الشركية.

(**وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)؛ فجمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (**وَالقُرْآنِ**)؛ أي وتكذيب القرآن، وهذا تكذيب لله عَزَّ وَجَلَّ، (**وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغيْرِ ذَلِكَ**)؛

ومعنى ذلك: أنه لا يكفر بزعمكم إلَّا من كان على هذَا الحال، أما من فعل الشرك مع تصديق رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتصديق بالقرآن، والإيمان بالبعث فإنه لا يكفر بزعمكم.

فما معنى الباب الَّذِي اتفق عليه الفقهاء، ويذكرونه في كتب الفقه، وَهُوَ باب حكم المرتد؟ وفي هذَا معاشر الفضلاء إجماع الفقهاء على أن المسلم مع نطقه بالشهادتين قد يرتد، ويُحكم بكفره إذا أتى بناقض من النواقض؛ من قول يُناقض الدين، أَوْ فعل يُناقض الدين، أَوْ اعتقاد يُناقض الدين، أَوْ شك يُناقض الدين، فإن الفقهاء متفقون على عقد هذَا الباب: (**باب حكم المرتد أَوْ أحكام المرتدين**).

والمرتد كما هو معلوم: مسلم أتى بالشهادتين، وقد يعيش زمنًا طويلًا من عمره عَلَىٰ الإسلام، ثُمَّ يأتي بناقض واحد فيُحكم بكفره، ولا يشترط مع القول أَوْ الفعل استحلال القلب عند الفقهاء، بل الكفر يا إخوة يُقابل الإيمان، فكما أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ مع يقين، فإن الشرك كَذَلِكَ يكون بالقول وحده، وبالفعل وحده، وبالاعتقاد وحده، وبالشك المنافي لليقين.

وقد ذكر الفقهاء أنواعًا من المكفرات، حتى أوصلها بعض الفقهاء إِلَىٰ مَا يزيد على أربعمائة مكفر، ولو جمعنا مَا يذكره هذَا، ويذكره هذَا، ويذكره هذَا لوجدنا آلاف المكفرات الَّتِي يذكرها الفقهاء، وقد نصوا: عَلَىٰ أن من أتى بواحد منها فإنه يكفر ويُستتاب، فإن تاب وَإِلَّا قُتل كفرًا، فلم يشترطوا اجتماعها، ولا كثرتها، وَإِنَّمَا إذا أتى المسلم بناقض واحد منها، بمكفر واحد منها، فإن يكفر بذلك.

وقد ذكر بعض الفقهاء كما أشار الشيخ: منها أشياء يسيرة عند قائلها أَوْ فاعلها، كقول مثلًا: (**مُسَيْجِد، ومصيحف**) بالتصغير، فإن فقهاء الأحناف نصوا عَلَىٰ: أن من قال مسيجد أَوْ مصيحف لا يقصد الصورة، ولا يقصد التعظيم؛ لأن التصغير أحيانًا يكون خبرًا عَنْ الصورة، خبرًا عَنْ صورة الشيء، فيقول مسيجد: أي أن صورته صورة صغيرة، مصيحف لو وجد مصحفًا صغيرًا جدًّا وقد كتب نقشًا، فيقول: مصيحف إخبارًا عَنْ السورة، هذَا مَا يدخل هنا، أَوْ للتعظيم؛ فإن التصغير من مقاصده في لغة العرب التعظيم، فإذا أراد التعظيم لا يدخل هنا.

أما إذا لم يرد الأخبار عَنْ الصورة ولا التعظيم فإنه يكفر؛ لأَنَّهُ يُحمل عَلَىٰ التحقير، حتى لو لم يرد هو ذلك يُحمل على التحقير، أما إذا قصد التحقير والإهانة فإنه يكفر بلا شك، فانظروا يا إخوة كلمة: (**مسيجد**) تصغير مسجد أمر يسير جدًّا إذا سمعته، ومع ذلك ينص الأحناف على أنه إذا صغر المسجد

أَوْ المصحف لا يقصد إخبارًا عَنْ صورة ولا تعظيمًا أنه يكفر بهذا، وأن هذَا يُحمل على التحقير والإهانة حَتَّىٰ لو لم يرد ذلك.

مع أن هذَا يعني فيه نظر، وإذا لم يرد التحقير والإهانة فإنه لا يُقال: أنه يكفر بهذا، لكن المقصود التنبيه على أن الفقهاء يذكرون أشياء يسيرة عند قائلها أَوْ فاعلها في باب المكفرات.

وقد قَالَ الشيخ: (مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ)؛ لا يقصد الشيخ مثل كلمة تجري على اللسان من غير قصد لها، وَإِنَّمَا يقصد الشيخ أن يقول كلمة الكفر ولو لم يستحلها بقلبه، فتجري كلمة الكفر عَلَىٰ لسانه وَهُوَ يعلمها، ليس ذاهلًا غافلًا مثل ذاك الَّذِي قَالَ: (اللّهم أنت عبدي وأنا ربك)، وَإِنَّمَا هو عالم يقصد الكلمة، فإنه يكفر ولو لم يستحل قولها.

(أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ)؛ يعني نص على هذَا الفقهاء، مثلًا قال الحنفية: **"من هزل بلفظ شرعي كفر وارتد، وإن لم يعتقده للاستخفاف"** هكذا ينصون في كتبهم، بعض الناس مثلًا يهزل بالحور العين، أَوْ بِالجَنَّةِ هزلًا واستهزاءً، فهذا عندهم يكفر وإن لم يعتقد ذلك بقلبه.

وكقول الحنفية أيضًا: **"من قال في رجل كبير: هذَا قد نسيه الله يكفر"**، بعض الناس يقولون هذَا من باب المزاح، من باب السخرية، إذا رأوا رجلًا كبيرًا جدًّا طاعنًا في السن يقولون: هذَا متى يموت؟ هذَا قد نسيه الله -أعوذ بالله-، مَا يقولها معتقدًا، لكن يقولها سخرية ولعبًا قالوا: يكفر بهذا.

وقولهم أيضًا: **"من لف ساقه على ساقه، وَقَالَ: والتفت الساق بالساق يكفر؛ لما في هذَا من الاستخفاف"**، انظروا إِلَىٰ أي درجة وصل الأَمْر عند الفقهاء.

✍ **فالشاهد:** أن الفقهاء مجمعون على بطلان هَذِه الشبهة الَّتِي يُرددها أقوام قديمًا وحديثًا، وبهذا تبين لنا إجماع الصحابة، وإجماع العلماء، وإجماع الفقهاء، بل وإجماع العامة على هذَا الأَمْر، بل إن هؤلاء الَّذِينَ يقولون هَذِه الشبهة لا يلتزمونها، فمن خالفهم يُكفرونه.

الأشاعرة ينصون نصًا على أن من قَالَ إن الله في السماء لا يقولها لظواهر النصوص، وَإِنَّمَا يقولها معتقدًا أنه يكفر، -أعوذ بالله- الَّذِي يقول مَا قال الله وقاله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكفر، هؤلاء الَّذِينَ يفعلون الشركيات يُكفرون الموحدين، أَلَا تسمعونهم يُكفرون من يسمونهم الوهابية، ويلعنونهم لعنًا قبيحًا، ويقولون إنهم أشر من على وجه الأَرْض؟ طيب أليسوا هؤلاء يشهدون أن لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون، ويُقيمون المساجد، لو كان قولكم هذَا صحيحًا عندكم أنتم لما كفرتموه، لكن هذَا القول يعلم كل عاقل بطلانه.

ولا زال الشيخ يسوق الأدلة والأوجه علىٰ كسر هَذِه المظلة، وذلك لعظيم رَوَجَانِهَا وشدة وخطر تأثيرها.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]؛ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ -مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ-؟

(الشرح)

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٧٣ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣-٧٤]، فهذه الآية كما هو ظاهر جدًّا في المنافقين الَّذِينَ كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وانتبهوا يا إخوة: المنافقون كفار في الباطن، مسلمون في الظاهر، محكوم ظاهرًا بإسلامهم، إذًا في الظاهر عندنا هم مسلمون، والباطن والله يعلمه هم كفار، هم في الظاهر يشهدون أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون، ويصومون، بل قد يُجاهدون، وقد كانوا يُجاهدون مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهؤلاء المنافقون الَّذِينَ كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقولون في الظاهر: نَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُصلون مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُزكون، ويحجون، ويُجاهدون معه، فكانوا مسلمين بحكم الظاهر، قالوا كلمة الكفر، فسبوا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقعوا في النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي المسلمين، وسبوا الإسلام، وشكوا في وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكفروا ظاهرًا بهذه الكلمة، فخرج كفرهم الباطن إِلَىٰ الظاهر، فكَفَّرهم الله عَزَّ وَجَلَّ ظاهرًا، وحكم بكفرهم ظاهرًا لما؟ مَا سبب ذلك؟ مَا علة ذلك بنص الآية؟ أَنْهُم قالوا كلمة الكفر.

إذًا علة كفرهم ظاهرًا أَنْهُم قالوا كلمة الكفر، يا إخوة قبل أن يقولوا هَذِه الكلمة الَّتِي هِيَ وقيعة في رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبٌّ للإسلام، وشكٌّ في وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان يُحكم بإسلامهم ظاهرًا، إِلَىٰ أن قالوا هَذِه الكلمة، فلما قالوا هَذِه الكلمة حُكم بكفرهم ظاهرًا، فدل ذلك عَلَىٰ: أن علة كفرهم الظاهر هِيَ أَنْهُم قالوا كلمة الكفر، فدل ذلك عَلَىٰ: أن قول المسلم كلمة الكفر يكفر به، كمن سب الله وَهُوَ يعلم مَا يقول، أَوْ سب رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يعلم مَا يقول، أَوْ سب القرآن وَهُوَ يعلم مَا يقول، فإنه يكفر بذلك بالإجماع.

فدلت هَذِه الآية على بطلان قولهم: (إن من أتىٰ بالشهادتين لا يكفر بعد ذلك مهما قَالَ، ومهما فعل).

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِي كِتَابِه أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ -وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ- قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

(الشرح)

هؤلاء الَّذِينَ ذكرهم الشيخ، وَالَّذِينَ ذُكروا في الآية قَالَ بعض أهل العِلم: هم قوم مذبذبون عندهم شيء من الإيمان وعندهم شيء من النفاق، فليس نفاقهم خالصًا، وليس إيمانهم خالصًا، بل كان عندهم شيء من الإيمان، فاستهزأوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل اللعب والمزاح، فخلص وظهر كفرهم.

وعند المحققين من العلماء: هم جماعة من المنافقين، ليس عندهم شيء من الإيمان وشيء من النِّفَاق، بل في باطنهم النِّفَاق؛ بدليل سياق الآية، وكون الآية أيضًا في سورة التوبة الَّتِي فضحت المنافقين.

وقد جاءت قصتهم هَذِه عَنْ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: (**قَالَ رجلٌ فِي غزوةِ تَبوكَ في مجلسٍ يومًا: ما رأيتُ مِثلَ قُرَّائِنا هؤلاء**)؛ من القراء؟ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبار الصحابة، (**لَا أرغَبَ بُطونًا**)؛ أي أنهم يُحبون الأكل كثيرًا، (**ولا أكذَبَ ألسِنةً**)؛ وَهذَا ظاهر، (**ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ!**

فقال رجلٌ في المجلِسِ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافِقٌ، لأُخبِرنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبلغ ذلك النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُنْزِل القرآنُ).

قَالَ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فأنا رأيتُه)؛ أي ذلك الرجل، (مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رَسولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بحقب، وفي بعض الروايات بنسع، وهو الحزام الَّذِي يُشد به الرحل عَلَىٰ الناقة، ويكون من تحت بطن الناقة، (تَنكُبُه الحِجارةُ، وهو يقولُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلعَبُ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]).

روى هَذِه القصة الطبري في التفسير، وابن أبي حاتم، وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً في (الصحيح المسند من أسباب النزول): "**الحديث رجاله رجال الصحيح إلَّا هشام بن سعد، فلم يُخرج لَهُ مسلم إلَّا في الشواهد، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم**"، إذًا هَذِه القصة ثابتة، وهذه الرواية ثابتة.

فهؤلاء قَالَ الله فيهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأن سألت هؤلاء عَنْ قولهم عنك ومن معك من الصحابة مَا رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، ليقولن لك جوابًا واعتذارًا إنَّما كنا نقول ذلك نقطع الطريق لطول الطريق، ونلعب ونتسلى، فجاوبهم لا تعتذروا، فإن هذَا العذر الَّذِي تُوردونه لا ينفعكم شَيْئًا، فإن قولكم هَذِه المقولة لعبًا كفر قد كفرتم به ظاهرًا بسبب قولكم هذَا، بعد أن كان كفركم باطنًا.

قد كفرتم ظاهرًا بعد إيمانكم الظاهر، فكنتم تُظهرون الإيمان، وأنتم الآن كفار في الظاهر، فنقض استهزائكم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالصحابة الَّذِينَ معه إيمانكم الظاهر، فصرتم كفارًا في الظاهر، فدل هذَا عَلَىٰ: أن قولهم واستهزائهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان لعبًا يُحكم بسببه بكفرهم مَا دام يعلم المعنى، حَتَّىٰ لو لم يعلم أنه كفر، مَا دام يعلم المعنى، وأنه يتضمن الاستهزاء ولو كان لعبًا، فإنه كفر.

بعض الناس يُريد أن يُضحك الناس، فيأتي بألفاظ شرعية، أَوْ أعمال شرعية ويستهزأ بها، فهذا كفر -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، فسب الله تَعَالَىٰ أَوْ سب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ سب القرآن أَوْ سب الدين أَوْ سب بعض الدين، والاستهزاء بالله أَوْ الاستهزاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ الاستهزاء بالقرآن أَوْ بعضه...

يحضرني هنا أن بعض الفقهاء في أحكام الرِدة ذكروا: أنه لو قَالَ رجلٌ عَنْ رجل قصير هذَا أقصر من سورة قل هو الله أحد يكفر، أَوْ قال عَنْ رجل طويل هذَا أطول من سورة البقرة يكفر، ولا شك أنه إذا كان هذَا على سبيل الاستهزاء لا شك أنه كفر، وَإِلَّا فالموضوع خطير جدًّا.

أَوْ الاستهزاء بالدين أَوْ بعضه كفر مضاد للتعظيم بإجماع العلماء، فمن سب أَوْ استهزأ بما ذكرنا وَهُوَ يعلم مَا يقول، فإنه يكفر بذلك إن كان مؤمنًا قبل ذلك، ويقبح كفره إن كان كافرًا فالكفر ظلمات، فمن سب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار كفره أقبح، وصار حاله أشنع، وصار بغضنا لَهُ أعظم.

نُبغض الكفار جميعًا، لكن من سب الله، أَوْ سب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ سب الدين، أَوْ استهزأ بهذا، وَهُوَ من الكفار، فإن بغضنا لَهُ يعظم ويشتد؛ لأَنَّهُ مع كفره آذى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآذى المؤمنين، وقد قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

وإذا كان قائلها منافقًا فإنه يكفر بظاهره، كما كان كافرًا بباطنه.

فدل ذلك يا إخوة: على أن من أتى بالشهادتين، ثُمَّ أتى بمكفر فإنه يحكم بكفره، هذَا الحكم العام، ولكفره أصول تُتبع سنذكرها في آخر الكلام عَنْ الشبهة، لكن يا إخوة لا شك أن من سب الله سبًّا يُعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول لا شك أنه كافر بعينه، لا يُتردد في كفره، كذا من سب رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبًّا يُعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول، ليس غضبانًا غضبًا أطار عقله حَتَّىٰ صار لا يعلم مَا يقول، أَوْ سكرانًا سكرًا أطار عقله حَتَّىٰ لا يعلم مَا يقول، أنه يكفر بعينه، ويُحكم بكفره بعينه.

وسنأتي إِنْ شَاءَ اللهُ في آخر الشبهة للرد على زعمهم: أن أهل السُّنَّة أهل التوحيد ينشرون التكفير سنأتي بأصول أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في التكفير، ونرد شبهتهم هَذِه إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

إذا مقصود الشيخ: أن يُبيِّن لك بهذه الأدلة أن النطق بالشهادتين لا يمنع من التكفير إذا وُجد المكفر ممن نطق بالشهادتين قولًا كان أَوْ فعلًا.

لعلنا نقف عند هَذِه النقطة؛ لأن الدليل التالي فيه طولٌ وفيه تفصيل، فلعلنا نجعله في بداية الدرس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولعلنا نُجيب عن بعض الأسئلة.

(الأسئلة)

السؤال: جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، أحسن الله إليكم؛ يقول: هل من سب الله يجب عليه أن يغتسل وينطق بالشهادة من جديد، أم يكفيه النطق بالشهادة فَقَطْ؟

الجواب: من سب الله عَزَّ وَجَلَّ بلفظ يعلم أنه سب، وَهُوَ يعلم مَا يقول حتى لو كان لا يعلم أنه كفر يكفر، ويخرج من دين الإسلام، فإن تاب وتوبته تكون بندمه على مَا قال، وعزمه على ألَّا يرجع إلى هذَا المقال فإنه يدخل في الإسلام فيأتي بالشهادتين ويكفيه هذَا، بل قال العلماء: إن تاب وبعد توبته صلَّى، فإنه يكون قد دخل في الإسلام، فمن خصائص الصلاة: أن من أتى بها تعبدًا يدخل الإسلام؛ لأَنَّهَا تتضمن الشهادتين وفيها التعظيم.

إذًا انتبهوا للقيد الَّذِي أقوله: إذا تاب؛ بمعنى ندم وعزم على ألا يرجع، وصلى فإنه يكون دخل في الإسلام، لماذا أقول انتبهوا؟ لأن بعض الناس يقول: الَّذِي يسب الله ثُمَّ يُصلي يكون دخل في الإسلام، لا إذا لم يتب من جريمته، فإنه حَتَّىٰ لو صلى مَا يدخل في الإسلام.

بعضهم يقول: يا أخي هذَا يسب الله، ثم يقول: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يقولها باعتبار مَا يقول سابقًا، إذا لم يتب فهذا لا ينفعه، لَا بُدَّ من أن يتوب من جرمه، وتوبته: أن يندم عَلَىٰ مَا قال، وأن يعزم على عدم الرجوع إِلَىٰ ذلك، فإذا تاب وَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ عاد إِلَىٰ الإسلام، ولا يحتاج إِلَىٰ شيء آخر، وإذا تاب وصلى عاد إِلَىٰ الإسلام ولا يحتاج إلى شيء آخر.

معاشر الفضلاء؛ إن التوحيد أكبر نعمة يُنعم الله عَزَّ وَجَلَّ بها عَلَىٰ الإنسان، فمن رزقه الله هَذِه النعمة فليحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، وليشكر الله شكرًا عظيمًا أن اختاره واصطفاه، وليحافظ على هَذِه النعمة، وليحذر حذرًا شديدًا مِمَّا يُناقضها أَوْ ينقصها، وليدعو إليها بحسب استطاعته.

أيها الفضلاء؛ أن المسلم والمسلمة إذا هُدي إِلَىٰ خير فلزمه، أَوْ هُدي إلى شر فاجتنبه يتسلط عليه السفهاء الجهلة وأصحاب المقاصد السيئة فيعيبونه، ويسبونه، ويشتمونه، ويتنقصونه، ألَا ترون أن الفتاة الَّتِي تكون في بيئة لا تلتزم بالحجاب، ويختلط فيها الحابل بالنابل -وأقصد البيئة الصغيرة الأسرة

أَوْ نحو ذلك-، إذا استقامت فوسعت ثيابها ولبست حجابها سلطوا عليها الألسنة بالسخرية، والألقاب المنفرة: متشددة، معقدة. تعيش في القرون الماضية، متخلفة، فضحتنا أمام الناس؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ! البنت الَّتِي تخرج ببنطلون ضيق وقد كشفت عَنْ ساقيها أَوْ كشفت عَنْ كتفيها هَذِه مَا فضحتهم، لكن بنت استقامت وسترت، يقول: هَذِه فضحتنا عند الناس، وهكذا في كل خير يهتدي إليه المسلم، أَوْ شر يجتنبه يُجلب عليه، هذَا من الابتلاء يا إخوة، هذَا من الابتلاء حَتَّىٰ يتبين الصادق الثابت من المذبذب.

فالواجب علىٰ من هداه الله إلىٰ خير، واجتناب شر: أن يحمد الله، ويشكر الله، ويثبت على مَا هو عليه، فإن الله اصطفاه.

عندما ينظر إلى من حوله ويسمع هذَا الكلام، يقول: سُبْحَانَ اللَّهِ، الله اصطفاني عَلَىٰ ضعفي واختارني لأسلم من هذَا البلاء الَّذِي يروج على كل هؤلاء، ويثبت على مَا هو عليه، ويقول: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عافاني مما ابتلاهم به.

لا ينبغي أيها المؤمن أن تُكسَر بهجمات المخالفين، ولا بتشنيع المخالفين، مَا دُمت عَلَىٰ الهدى والتقى، مَا دُمت رزقت لزوم كتاب الله، والسير عَلَىٰ طريق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوالله أنت الأمة ولو كنت واحدًا، وأنت الشريف وأنت الكريم وأنت العزيز، فأخلص لله واثبت واستمر في طريقك متمسكًا بدينك معتزًا بدينك، ولا يهولنك كثرة المخالفين، ولا كثرة المرجفين، ولا كثرة السابين، ولا كثرة المتهكمين، فإن العزة أن تكون عزيزًا عند الله، ومن عز عند الله فهو العزيز.

والمتمسك بكتاب الله، وبسنة رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبأصول السَلَف هو العزيز من الخلق، هو المبارك، هو الَّذِي يُسابق إلى الجنات، فالثبات الثبات، واحذروا من أن تُكسروا.

وفق الله الجميع، وتقبل الله من الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (١٩)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ أمِّلوا الخير من ربكم وأبشروا، فقد صليتم الفجر في جماعة في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكنت في ذمة الله وأمانه، ثم عكفتم علىٰ مجلس علم تتقربون به إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي ذلك خير عميم، وأجر كريم، فمن جلس مثل مجلسكم مخلصًا لله عَزَّ وَجَلَّ موعود بأن تتنزل عليه السكينة، وتغشاه الرحمة، وتحفه الملائكة، ويذكره الله فيمن عنده، وأن يؤوب من مجلسه بأجر حاج قد تم حجه، وأجر المجاهد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن ينصرف مغفورًا له، محققًا سؤله، معطىٰ رجائه، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكتب لنا هذا، وأن يزيدنا من فضله أضعافًا أضعاف.

معاشر الفضلاء؛ إن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق آدم وذريته لتحقيق التوحيد، ولا سيما توحيد العبادة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فخلق الله عَزَّ وَجَلَّ آدم عليه السلام من تراب، وأسكنه السماء، ثم شاء سبحانه أن يهبطه إلى الأرض لتحقيق الحكمة من خلقه وذريته؛ وهي توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعمر آدم عليه السلام وذريته الأرض بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان إبليس يوسوس لبني آدم ويسعى حثيثًا ليوقعهم في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى ظفر منهم بباب الغلو في الصالحين، ورجاء البركة منهم، فقادهم إلى وضع تماثيل لقوم ورجال صالحين رجاء تذكرهم والاجتهاد في الطاعة عند رؤية تماثيلهم.

ثم لما تنسخ العلم وسوس للناس أن آبائكم وأجدادكم إنما صوروا هذه الصور والتماثيل ليجعلوها وسيلة بينهم وبين الله ليتقربوا بها إلىٰ الله، فما صوّروها إلا ليعبدوها، وما عبدوها إلا لتقربهم إلىٰ الله زلفىٰ، فأوقعهم في الشرك، فأرسل الله الرسل عليهم السلام يدعون إلىٰ التوحيد، فالله

عَزَّ وَجَلَّ بعث الرسل جميعًا بالدعوة إلىٰ التوحيد، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فخلق الناس من أجل التوحيد، وبعث الرسل من أجل التوحيد، فكان أعظم ما فرض على بني آدم أن يوحدوا ربهم، وأن يفردوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، فلا عبادة إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، العبادة كلها صغيرها وكبيرها محض حق الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يجوز صرفها لأحد من دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لما دون ذلك أو لمن دون ذلك.

وصرف شيء من العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكان أعظم ما أمر به التوحيد، وكان أقبح ما نهي عنه الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه الله بالتوحيد فكان أول ما أمر به توحيد ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان يأمر بالتوحيد في أوقاته كلها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يأمر بالتوحيد وهو في مكة، ويأمر بالتوحيد وهو في المدينة، ويحقق التوحيد، وعلم الصحابة رضوان الله عليهم التوحيد، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعية إلى التوحيد، وكان محققًا للتوحيد، وكان الصحابة رضوان الله عليهم دعاة للتوحيد، ومحققين للتوحيد رضوان الله عليهم.

وترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمة على هذا، وقام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر العظيم والشرف الكريم، فحققوا التوحيد ودعوا إلى التوحيد، وملئوا الأرض دعوة إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكان التوحيد أعظم النعم وكان الشرك أكبر النقم، وإن من أخطر ما يكون على من ينتسب إلى الإسلام أن يهوّن شأن التوحيد في نظره وفي نفسه، وأن يأمن الشرك، وأنه لا يكون مشركًا، وإنما الشرك لغيره ممن لا ينتسب إلى الإسلام، فإنه إن هان التوحيد في نظره ونفسه وأمن الشرك يقع في الشرك وهو لا يدري، بل يشرك بالله وهو يظن أنه يحسن عملًا، وأنه يوحد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا وقع في الشِّرْك؛ فإنه لا يحدّث نفسه بترك هذا الشرك والبعد عنه، ومن هنا حرص الشيطان على أن يلقي على الناس شبهًا شيطانية يتبناها بعض الإنس تهون من شأن التوحيد في أنفسهم وتجعلهم يأمنون الوقوع في الشرك، فكانت هذه الشبه من أخطر ما يكون على دين الإنسان بل على الإنسان، والله إنها أخطر من الأمراض الفتاكة، وأخطر من النكبات العظيمة؛ لأنها خطر على دين الإنسان، ومن هنا تعلم بارك الله فيك أهمية أن يعلم الإنسان هذه الشبه وأن يعلم سقوطها وردها، وكيف

يردها، ولا سيما في زماننا هذا الذي كثرت فيه وسائل التواصل، وصار كل من يريد أن يتكلم بما شاء، فصار الناس يرون أناسًا معممين، وأناسًا يحملون الشهادات العليا، وغيرهم يفعلون الشرك الصرح، ويدعون إلى الشرك الصراح، ويقبحون التوحيد، ويقبحون الموحدين ودعاة التوحيد، ويسبون الموحدين، ويسبون دعاة التوحيد.

وحقيقة الأمر أنهم لو كانوا يعقلون أنهم يسبّون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسبّون صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن دعاة التَّوْحِيْد، إنما صاروا على طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل التوحيد إنما هم على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار الأمر خطرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا، فينبغي على المسلمين أن يشتد حرصهم على تعلم التوحيد، وعلى تعلم ما يضاده، وعلى معرفة الشبه الشيطانية التي ألقاها الشيطان في هذا السبيل وفي هذا الطَّرِيقِ.

وقد أحسن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أيما إحسان؛ حيث جمع أصول هذه الشبهات الشيطانية التي يرددها بعض الإنس في كُتيب صغير الحجم، غزير العلم، كبير الفائدة، يعود على دين الإنسان بالحفظ والصيانة، ويدفع وساوس الشيطان عنه، يتعلم به كيف يرد هذه الشبه عن قلبه، وكيف يردها عن غيره، ويتعلم به كيف يصون توحيده، هذا الكتاب الذي أسماه الشيخ على ما بناه في طريقة اسمه في أول الكلام: "كشف الشبهات".

أسماه بفعله بهذا الاسم، وهو حقًا كشف للشبهات، وقد علمنا معاشر الفضلاء أن هذه الشبهات مهما تَنَوَّعَت وتعددت تعود إلى شبهتين:

أما إحداهما: فهي أن ما يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من صرف العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ كدعاء المقبورين، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، ليست كفعل المشركين الذين كانوا يشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ، وحاربهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بينا هذه الشبهة، وذكرنا صورها تبعًا للشيخ، وبينا الأجوبة العديدة عليها، وعلمنا علم اليقين أن ما يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من صرف العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ هو عينه ما كان يفعله عباد الأصنام، بل هو أقبح، بل هو أشنع، بل هو أشد اعتداء على حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على التوحيد، وقد بينا هذا بيانًا واضحًا شافيًا كافيًا تبعًا للشيخ رحمه الله عَزَّ وَجَلَّ رحمة واسعة.

وأما الشبهة الثانية: فهي أن من أتى بالشهادتين لا يقع في الشرك مهما فعل ومهما قال، فما دام أنه ينطق بالشهادتين فإنه لا يكون مشركًا ولو عبد القبور، ولو دعا أهل القبور، وهذا لا شك أنه من أبطل الباطل، وقد ذكرنا صورًا من صور هذه الشبهة تبعًا للشيخ وبيناها، ثم بينا أوجه الرد عليها، وقد علمنا بالإجماع والدلة القطعية اليقينية أن هذه الشبهة باطلة ساقطة، وأن مجرد الإتيان بالشهادتين ليس عاصمًا من الوقوف في الكفر، وليس عاصمًا من تكفير من يأتي بمكفر، بل إن من يأتي بالشهادتين قد يرتد عن دين الله، ويكون مرتدًا كافرًا وإن كان ينطق بالشهادتين، وقد أقمنا أدلة كثيرة على هذا الأمر، ولازلنا مع هذه الأدلة الدالة على هذه القضية الشرعية اليقينية، وهي أن المسلم قد يرتد عن الإسلام، إذا أتى بناقض ينقض إسلامه، فنواصل قراءة الأدلة التي سطرها هذا الإمام الطبيب الحاذق العلام المتفنن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ: وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

(الشرح)

تأمل هذه الشبهة، وقد تقدمت بصورها، وهي أنهم يقولون لأهل التوحيد الذين يعظمون التوحيد ويقبحون الشرك وينهون عنه ويبينون أن من يأتي بالشهادتين قد يقع في الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، فيكون مشركًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، خارجًا عن دين الإسلام، يقولون: إنكم تكفرون المسلمين، (**تُكَفِّرُونَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن محمدًا رسول الله وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ**)، والمعلوم أن أهل التوحيد لا يكفرون إلا من كفره الله عَزَّ وَجَلَّ، وكفره رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو أن هؤلاء القوم الذين أتوا بالشهادتين وصلوا وصاموا صانوا ذلك وحفظوه وحققوه لكانوا أولى بالإكرام، وكانوا أولى بالذب عنهم، لكن إن جاؤوا بناقض ينقض إسلامهم يرتدون به، كما دلت عليه الأدلة الماضية، فإن تكفيرهم ليس تكفيرًا لمسلم لم يأتي بمكفر، وإنما هو تكفير لمن كفر نفسه، وأتى بكفر قد نهي عنه، ودلت الأدلة بالكتاب والسنة على أنه كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الشبهة شبهة تردد كثيرًا اليوم فتأملها، ثم تأمل جوابها الذي تقدم، ومضمونه أننا لا نكفر مسلمًا، ونأبى أن يلحق التكفير بمسلم ظلمًا وعدوانًا وبهتانًا، ونحن أبعد الناس على الإيذاء في التكفير،

وإنما نُبين الكفر بالأدلة ونُبين أن من فعل الكفر يصبح كافرًا مستحقًا للتكفير، فإن انتفت الموانع ألحق التكفير به بعينه، وخرج بذلك عن دين الإسلام، وقد تقدم الجواب منقحًا موضحًا مبينًا بما يدفع كل ريب وكل شك.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ - أَيْضًا-: مَا حَكَىٰ اللهُ عز وجل عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - مَعَ إِسْلَامِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلَاحِهِمْ-: أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: "يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ"، فَحَلَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

(الشرح)

لازال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يورد الأدلة القطعية الدالة على بطلان شبهة أن الإتيان بالشهادتين مانع من لحوق الكفر بمن أتى بهما مهما فعل، ولو أتى بمناقض للتوحيد، ولو فعل كفرًا، ولو عبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُبين الأدلة على أن المقطوع به شرعًا أن من أتى بناقض للتوحيد ينتقض توحيده، ويكون كافرًا، ولا يكون مجرد نطقه بالشهادتين مانعًا من تكفيره، بل قد يرتد مع نطقه بالشهادتين، فمن الأدلة على ذلك: هذا الدليل الذي أورده الشيخ وهو أن بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى عليه السلام فكانوا مؤمنين، وكانوا مع نبيًا من أنبياء الله، من أولي العزم من الرسل، وكانوا بالنسبة لغيرهم من أهل زمانهم أهل صلاح وعلم، هؤلاء القوم لما مروا على قوم يعكفون على أصنام يعبدونها، ويتبركون بها، قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا من الأصنام نعبده ونتقرب إليه ونتبرك به كما لهم آلهة.

وقد جاء عن بعض السلف أن أولئك القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، ويتبركون بها كانوا يصنعون تماثيل للأبقار والعجول، فلما رأوا ذلك منهم، أعني بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا، اجعل لنا مثالًا، اجعل لنا تمثالًا كتماثيلهم هذه نتقرب بها إلى الله ونجعلها واسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، تجهلون حق ربكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن العبادة لا تنبغي إلا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد ابتغاه إلهًا من غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمقصود من إيراد هذا الدليل: أن إيمانهم لمن يمنع أن طلبهم هذا من نبيهم عليه السلام اتخاذ للآلهة من دون الله، أي أنهم طلبوا اتخاذ آلهة من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه من صنيع أهل الجاهلية، فلو كان الإيمان دافعًا للشرك بحيث لو طلب الإنسان الشرك لا يكون جاهلًا ولا يكون طالبًا اتخاذًا إلهًا كان لذلك مانعًا هنا.

ولما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ولا بين لهم أن هذا من ابتغاء الآلهة من دون الله عَزَّ وَجَلَّ فزجرهم ونهاهم عن هذا الطلب، فدلّ ذلك على أنهم لو فعلوه لكانوا كفارًا، وكانوا ابتغوا إلهًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، ومثل هذه القصة التي حدثت في بني إسرائيل وهم مع موسى عليه السلام مع ما حدث في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوم كانوا حديث عهد بكفر، حيث أسلموا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان في آخر رمضان أو في أول شوال، ثم خرجوا معه إلى حنين في شوال، فكان الوقت قريبًا، فوقع ما جاء عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر"، لا يعني أن كل الذين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاء عهد بكفر، وإنما يعني من أسلموا في عام الفتح؛ حيث أسلموا كما قلنا: في آخر رمضان أو في أول شوال.

وكان خروجهم إلى حُنين في شوال، فهؤلاء كانوا حديث عهد بكفر، قال: **"وللمشركين سدرة يعكفون عندها يناطون بها لأسلحتهم، يقال لهم: ذات أنواط"**، كانت هناك سدرة كبيرة خضراء ظليلة، فكان الكفار يتخذون هذه السدرة يعكفون عندها يرجون بركتها ويعتقدون أنها تبارك بذاتها، ولذلك يعلقون أسلحتهم بها لتنتقل البركة من الشجرة إلى الأسلحة، لينتصروا على أعدائهم، وهذا شرط أكبر، لأنهم يعتقدون أن السدرة والشجرة تبارك بذاتها، قال: **"فمررنا بسدرة"**، الأظهر والله أعلم أنها هي نفس السدرة التي كان المشركون يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، قال: "فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"، يعني اجعل لنا هذه السدرة ذات أنواط نعلق بها أسلحتنا لنتبارك من هذه الشَّجَرَة.

فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَن»، **قُلْت**: والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبنّ سُنن أو سَنَن، كلاهما صحيح، من كان قبلكم.

هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى، وابن حبان، وصححه الترمذي، وابن حبان والألباني وابن باز، وقال الإمام ابن القيم: إنه حديث ثابت، فدل هذا الحديث على أن من جعل شيئًا يلتمس منه البركة بذاته قد جعله إلهًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذين يجعلون القبور يلتمسون منها البركة ويلبون من أصحابها الرزق والولد والغوث قد جعلوها آلهة من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمجرد أنهم طلبوا ولم يفعلوا، بمجرد أنهم طلبوا ولم يفعلوا أغلظ عليهم، وجعل هذا الطلب كأنهم يطلبون أن يجعلوا إلهًا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فطلبوا هذا من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنهم لم يفعلوه.

والمقصود من إيراد هذا الدليل أمران:

الأمر الأول: أن من اتخذ مخلوقًا يتبرك به ويعتقد أنه يبارك بذاته، وأن البركة تكون من ذاته يكون قد جعله إلهًا بنص القرآن ونص حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جعله إلهًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ لا شك أنه كفر بذلك.

والأمر الثاني: المراد أن الإيمان والنطق بالشهادتين لا يمنع من أن يكون فعل من نطق بالشهادتين إذا كان مخالفًا لشرع الله موافقًا لشأن المشركين أن يكون حكمه حكمهم، وهذا هو المطلوب.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: "اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ"؛ لَمْ يَكْفُرُوا.

(الشرح)

هذه يا إخوة شُبهة، وفي نفس الوقت رد للدليل الذي أورده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقالوا: إن بني إسرائيل الذين قالوا تلك المقولة لم يكفروا، بدليل أنهم لم يؤمروا بالدخول في الإيمان بعد أن قالوا تلك

المقولة، وكذلك الصحابة الذين قالوا تلك المقولة لم يكفروا، بدليل أن النبي صلى الله عليه لمي أمرهم بتجديد إسلامهم، والإتيان بالشهادتين، فبطل استدلالكم بهذا الدليل، وكان هذا الدليل منقلبًا عليكم، هذه الشبهة، لأنه يدل على ما نقوله: أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أو فِعْلُ، **ويُجاب عن هذه الشبهة وهذا الرد للدليل بأجوبة بينها الشيخ فقال:**

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفْعَلُوا.

(الشرح)

هذا الجواب الأول: أن بني إسرائيل وكذلك الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكفروا لأنهم لم يفعلوا، وإنما طلبوا من رسولهم أن يجعل لهم ذلك، فزجرهم عنه، فلم يكن عدم كفرهم لكونهم مؤمنين من قبل، مع وقوعهم في الكفر، وإنما لأنهم لم يفعلوا ما يكفرون به، لكن طلبهم كان طلبًا من فعل أهل الجهل، ومن فعل المشركين، فهذا الذي أثبتناه وذكرناه أنهم مع كونهم مؤمنين عندما فعلوا ما يفعله المشركون وهو الطلب وليس الفعل، كان شأنهم كشأن المشركين، لكنهم لم يفعلوا ما يكفروا به فلم يكفروا، ولو فعلوا لكفروا كما يأتي في الجواب الثاني.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لَا خِلَافَ أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ - بَعْدَ نَهْيِهِ -؛ لَكَفَرُوا.

(الشرح)

هذا الجواب الثاني: وهو أن نقول: إنهم لو فعلوا ما طلبوه بعد نهي نبيهم وزجره لهم عن ذلك أنهم يكفرون بالإجماع، فإنهم يكونون قد فعلوا الكفر عن علم، يا إخوة لو أن بني إسرائيل لما زجرهم موسى عليه السلام عن هذا، وبين لهم أنه من ابتغاء الآلهة من دون الله عصوه، واتخذوا آلهة، اتخذوا صنمًا، فإنهم يكفرون بالإجماع، لأنهم فعلوا الكفر مع العلم، فدل هذا على ما نقوله: أن الإيمان لا يمنع من الردة، ولا يمنع من كفر من أتى به إن أتى بمكفر، كذلك الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لو أنهم بعد أن نهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذوا ذات انواط، فإنهم يكفرون بهذا بالإجماع، لأنهم فعلوا الكفر عن علم.

ويمكن أن نجيب جوابًا ثالثًا: وهو ما يشير إليه الشيخ لاحقًا وننبه عليه، فنقول: لو سلمنا لكم جدلًا أنهم فعلوا ما يكفرون به، وهو طلبهم هذا، فإنا لا نسلم لكم أن مانع تكفيرهم هو تقدم إيمانهم، وإنما مانع تكفيرهم جهلهم، ولهذا زجرهم نبيهم عليه السلام فورًا فانزجروا فورًا، ولو أنهم لم ينزجروا لكفروا، وهكذا نقول نحن: إنه ليس كل جهل مانعًا من التكفير كما تقدم معنا، لكن لو كان الجهل في حال العذر فإنه يجب تعليم هؤلاء الجهال فورًا، فإن انزجروا فور التعليم لم يكفروا، ولا يمنع ذلك التغليظ عليهم، وإن لم ينزجروا بعد التعليم فإنهم يكفرون، والمقصود أن مجرد الإتيان بالشهادتين ليس مانعًا من التكفير، بل لو أنهم أتوا بالمكفر مع العلم فإنهم يكفرون بالإجماع ولو كانوا ينطقون الشهادتين.

من عُلم أن دعاء غير الله كفر، وأقيمت عليه الحجة، ثم ذهب عند قبر كما نرى من بعضهم، وأخذ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا صاحب القبر، يا صاحب السر ارزقني، اغثني، المدد، المدد، فإنه يكفر بالإجماع، وإذا تمحض الجهل في حقه وكان في حاله عذرًا فإنه يجب على من علم بحاله أن يعلمه فورًا، فإن علمه فورًا فانزجر لا يكفر، ويكون جهله عذرًا في تكفيره وليس تقدم الشهادتين، وإن لم ينزجر فعد تعليمه؛ فإنه يكفر بهذا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

(الشرح)

(وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ)، المقصود المطلوب إثبات أن من أتى بالشهادتين ثم أتى بمكفر وانتفت الموانع عن تكفيره أنه يكفر، ويصبح كافرًا، وليس مجرد النطق بالشهادتين مانعًا من تكفيره.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنَّ هَذِهِ القِصَّةَ تُفِيدُ: أَنَّ المُسْلِمَ - بَلِ العَالِمَ - قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا يَدْرِي عَنْهَا.

(الشرح)

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فوائد عظيمة تتعلق بالتوحيد من قصة هؤلاء الصحابة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر الفائدة الأولى، والمقصود منها يا إخوة أن الإسلام، بل الفضل في الإسلام وقوة الإيمان لا يمنع من الزلل والوقوع في الخطأ والوقوع في الشرك، بل إن المسلم بل إن الفاضل من المسلمين إذا زل في أمر عظيم يغلظ عليه، ومن ذلك: أنه فقد يقع في نوع من الشرك، أو أنواع من الشرك وهو لا يدري، فينبغي لمن يدري أن يغلظ عليه، وأن يزجره زجرًا بليغًا، وذلك يقتضي أن يحرص المسلم على تعلم التوحيد، وتكرار ذلك، وألا يملّ من ذلك.

- المؤمن يحب التَّوْحِيْد.
- ويحب أن يسمع التَّوْحِيْد.
- ويحب أن يتعلم التَّوْحِيْد.
- ويحب أن يكرر التوحيد على مسامعه.

ويقتضي أيضًا أن يحرص العالم على تعليم الناس التوحيد، وعلى تكرار ذلك بلا ملل ولا كلل، وأن يتحرز المسلم عن الشرك وأن يحذر الشرك حذرًا كبيرًا دائمًا، فإن القصة تفيد أن الجهل بالتوحيد يقود إلى الوقوع في الشرك، أو إلى طلب ما قد يكون شركًا وهو لا يدري، فإن هؤلاء لما كانوا حديث عهد بكفر كانوا حديث عهد بجاهلية طلبوا ذلك، فالمطلوب من المؤمن أن يبتعد عن الجهل بالتوحيد بعدًا عظيمًا، وأن يعرف التوحيد على وجه التفصيل، وأن يعرف الشرك على وجه التفصيل ليتحرز منه، وأن يكون حذرًا دائمًا من الوقوع في الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الفائدة الثانية الذي قال فيها الشيخ:

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتُفِيدُ: التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ.

(الشرح)

يعني أن الفائدة الأولى تجر إلى الفائدة الثانية من القصة، فإذا علمت يرعاك الله أن المسلم بل الفاضل في الإسلام قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري أنها شرك، بسبب جهله بها، فإن ذلك يقودك إلى الأمرين:

الأمر الأول: أن تحرص على أن تتعلم التوحيد، وأن تكرر ذلك، ولذلك يقول العلماء: من العلم الذي لا يوقف فيه عند حد التوحيد، فإنك تتعلم التوحيد، ثم ترجع إلى التوحيد مرة أخرى، ثم ترجع إلى التوحيد مرة أخرى إلى أن تموت، وأنت على هذا الحرص، ويفيدك ذلك التحرز والحذر الشديد من الشرك كما بيناه.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ؛ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ، وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

(الشرح)

هذه الفائدة الثالثة من هذه القصة: وهي أن قول بعض الناس: التوحيد أمره سهل، ويمكن أن يتعلم في عشر دقائق، ونحن قد فهمنا التوحيد وحققناه، والناس موحدون، فلا تشغلوا الناس بدروس التوحيد، واهتموا بالعلوم الأخرى، أن هذه المقولة وهذا القول قول باطل، ويقود إلى شر عظيم، بل هذا القول بحد ذاته جهل، يقتضي منا أن نعتني عناية عظيمة بالتوحيد، وكان بعض من كانوا مع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ استكثروا من الشيخ كثرة الكلام في التوحيد، وكثرة الكتابة بالتوحيد، وقالوا: التوحيد قد فهمناه نريد علومًا أخرى، ونريد أن ننقل إلى علوم أخرى، فنبه الشيخ على هذه الفائدة، ولا شك أن هذا القول جهل بشأن التوحيد في الكتاب والسنة، وفي سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالقرآن لو استعرضته من أوله إلى آخره تجده في التوحيد، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مليئة بالتوحيد، وسيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معطرة بالعناية بالتوحيد.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى التوحيد، وحقق التوحيد، وخاف الشرك من أول يوم بعث فيه إلى آخر لحظة من لحظات حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الجملة الفاسدة التي أصبحنا نسمعها كثيرًا في وسائل التواصل الاجتماعي يقولها أصناف:

⊙ صِنفٌ طيبون، لكنهم مستغفلون، لا يدركون الحقيقة ويغشهم المخالفون بالتوحيد، وهؤلاء ينبغي عليهم أن يتنبهوا.

⊙ وصِنفٌ لا يريدون تعليم التوحيد، ولا يريدون ظهور دروس التوحيد لتروج شرورهم وبواقعهم على الناس، فهم لن يصدقهم الناس ما دام التوحيد ظاهرًا، وما دامت دروس التوحيد قائمة، عندما يأتي أحدهم ويقف على المنبر ثم يبرق بعيونه ويظهر للناس أن الملائكة حضرت له، والمساكين الجهلة بالتوحيد يتصايحون: الله أكبر، لو كان التوحيد قائمًا وكانت دروس التوحيد قائمة لأدرك الناس أن هذا دجل، وأن هؤلاء القوم إنما يريدون أن يعبدهم أولئك الناس، وأن يعظمهم أولئك الناس، لو كانت دروس التوحيد قائمة لأدرك الناس أن طلب البركة ببصاق المشايخ ونحو ذلك دجل، ومخالفة لدين الله عَزَّ وَجَلَّ ولا ما صدقوا هذا، ولا ما وقعوا في هذه الحبائل.

ولذلك أولئك الشياطين لا يريدون لدروس التوحيد أن تقوم، ولا للناس أن يقبلوا على أهل التوحيد وعلى دروس التوحيد، ويوهمون المساكين أن دروس التوحيد خطر، وأن أهل التوحيد خطر حتى أن بعضهم إذا جاء الحجاج والزوار يقولون لهم: لا تجلسوا في حلق شيوخ الحرمين، ولا تستمتعوا.

بل يقولون لهم: لو مررتم بالحلقة فضعوا أصابعكم في أذانكم، ومروا سراعًا، هؤلاء الدجالون الذين يستغفلون المساكين الجهلة، لا يريدون لدروس التوحيد أن تقوم، ولذلك يقولون هذه المقولة ليهونوا من شأن التوحيد، لا يريدون للناس أن يعرفوا التوحيد تفصيلًا، وإنما يريدون أن يقول الناس التوحيد عظيم، لكن ما هو التوحيد؟ ما الذي ينقضه؟ لا يريدون للناس أن يتعلموا ذلك.

وصنف ثالث كثروا في زماننا لا كثرهم الله يريدون أن يكون تعليم التوحيد تعليمًا إجماليًا، لا تفصيليًا، وذلك ليشتغل الناس بالسياسة، وبما يمسونه فقه الواقع، فالتوحيد عندهم تعليمه ليس مقصودًا، وإنما هو وسيلة لاصطياد الناس، ليشتغل الناس بالسياسة على الوجه المخالف لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى أنهم أرادوا ان يجعلوا التوحيد الذي يهتم به هو ما يتعلق بالسياسة، ويتعلق

بتكفير الأحكام، فصاروا يلقون على المساكين العامة وعلى من يصدقهم أن التوحيد الطعن في الحكام، وتكفير الحكام، وصاروا يرددون أن شرك القبور صار معروفًا، وإنما الذي ينبغي أن نهتم به شرك القصور، ويتجاهلون ما يقع فيه الناس عند القبور، من عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل هم يقعون في شرك القبور، ويدعون الناس إلى شرك القبور، ونرى بعض دعاتهم وهو يتمسح ببعض من يسمون بالصالحين ويأخذ بصاقهم ويمسحه على وجهه، وغير ذلك من الشركيات، سواء الشرك الأصغر أو الأكبر.

فهؤلاء القوم إنما مرادهم كراسي الحكم، لا تحكيم شرع الله ولا تحقيق دين الله، وهم يعلمون أنهم لن يروج فكرهم ولن يحققوا مرادهم ما دام علم التوحيد على وجه التفصيل قائمًا، وما دام دروس التوحيد قائمة، ولذلك يحرصون على التهوين من شأن التوحيد، وأنه لا يحتاج إلى التفصيل، عشر دقائق وننتهي من التوحيد، وعلى صرف الناس عن التوحيد الذي في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان السلف يدعون إليه إلى أمور أخرى.

فالشاهد معاشر الفضلاء: أنه يجب علينا أن ننتبه لهذه المقول الفاسدة التي في التهوين من شأن التوحيد، والدعوة إلى ترك دراسته على وجه التفصيل، وأن نقف في وجهها، وفي وجه أهلها بتعليم التوحيد على وجه التفصيل، وأن نتعاضد على ذلك.

وإذا وقعنا بيننا خلاف في مسألة تفصيلية فينبغي أن نتناصح، وأن يُبين كل واحد منا ما عنده، فقد يقع الخلاف بين دعاة التوحيد في مسألة ليست في أصل التوحيد، يقول فيها بعضهم بقول بعض المشايخ بناء على بعض الأدلة، ويقول فيها بعضهم بقول بعض المشايخ بناء على بعض الأدلة، فلا ينبغي أن يتحاربوا من أجل هذا، وإنما عليهم أن يتناصحوا، وأن يفهم بعضهم كلام بعض، وأن يتقي أحدهم ربه أن ينسب إلى أخيه ما لم يقل، بل ما يصرح بخلافه، وما يعلم من حاله خلافه، وألا يكون أبله يجتزئ له كلام فيندفع ليعلق على ذلك الكلام، فإن الكلام مجتزئ وإن كان بصوت قائله إلا أن له سابقًا وله لاحقًا، أن يبتعد عن ذلك، وقد كان مثل هذا يقع بين المشايخ أهل السنة في الزمن القريب منا، فما كان أحدهم يعتدي على الآخر.

ومن ذلك مثلًا مسألة العُذْر بالجهل بالتوحيد، كان الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يقرّر العذر ويكرّره ويستغرب ممن لا يقول بالعذر، ويرد ذلك، ولم يقله مرة، بل كان عليه طوال حياته، وقد سألته عن

ذلك في آخر زيارة زار فيها المدينة فأجابني بنفس كلامه، وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى عدم العذر، لكن ما كان المشايخ الذين يرون عدم العذر يرمون الشيخ ابن عثيمين بالأوصاف القبيحة، أو أنه مرجئ وحاشاه أو نحو ذلك، وما كان الشيخ ابن عثيمين يرمي من يخالفه بألفاظ قبيحة، لكن كل يقرر ما يراه على وفق الدليل، وهكذا ينبغي أن يكون أهل التوحيد؛ أن يسيروا على هذا الطريق الذي هو طريق السلف، وطريق من يسيرون على طريق السلف.

يا إخوة أهل الباطل أهل الشركيات أهل الحزبيات أهل مخالفة أصول أهل السنة يتأزرون اليوم، ويتعاضدون وينشرون باطلهم نشرًا عظيمًا، فلا يليق بمن ينتسب إلى التوحيد ومن ينتسب إلى السنة أن يكون قاطع طريق، وأن يكون ناهيًا عن الأخذ عن إخوانه الذين يدعون إلى التوحيد، ويقررون ويكررونه، ويلهجون به دائمًا لمجرد أنه خالفهم في مسألة، هذا الواجب علينا أن نعلم التوحيد ونكرر تعليم التوحيد، وأن نتعلم التوحيد ونكرر تعلم التوحيد، وأن نتعاضد نحن أهل التوحيد، ونتناصح فيما بيننا.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدينا جميعًا إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، دعاة إلى التوحيد والسنة، كاسرين لدعوة الشرك والبدع والحزبيات التي لا تجر على الناس إلا شرًا، وضرًا، وباطلًا، لعلنا نقف عند هذه النقطة لأن الفائدة التالية فائدة نفيسة، ينبغي أن نقف معها وقفة، فنفتتح بها إن شاء الله المجلس في الأسبوع القادم.

(الأسئلة)

السؤال: يقول: امرأة قامت علىٰ أذان الفجر في رمضان ووجدت نفسها في عطش فأسرعت إلىٰ الماء وشربت قبل انتهاء الأذان، فما حكم ذلك؟

الجواب: إن كانت تعلم أن المؤذن يؤذن على الوقت، وقد علمت أنه أذن فشربت بعد أذانه، أعني بعد بدأ أذانه ولو بلحظة فإن صومها لا يصح، أما إن كانت تعلم أن المؤذن يؤذن قبل الوقت، فإن بعض المؤذنين في بعض بلدان المسلمين يؤذنون للفجر قبل الوقت، لا و سيما إذا كان ذلك مظنة الصوم من باب الاحتياط للإمساك، نجد أن بعض المسلمين في بعض البلدان يضعون إمساكية ويكتبون وقت الإمساك، ويجعلونه قبل الفجر قبل الأذان بخمس دقائق أو عشر دَقائِقَ.

وبعض المؤذنين يؤذن عند هذا الوقت الذي يسمى وقت الإمساك، وهذا بدعة، فالمسلم له أن يأكل ويشرب إلى أن يدخل الفجر، ويطلع الفجر، فإن كانت تعلم أن هذا المؤذن يقدم الأذان قبل الوقت فشربت عند أذانه فلا حرج عليها، وصومها صحيح، أما إذا لم تعلم أنه قد أذن، واستيقظت ولم تعلم أن الفجر قد دخل، ولم تفرط فذهبت وشربت ماءً، ثم وهي تشرب سمعت المؤذن يقول: حي على الصلاة، فإن صومها صحيح، ولا حرج عليها.

السؤال: يقول: ما حكم التجارة الإلكترونية بشراء سلع عبر المواقع الأجنبية، مع العلم بأن هذه الشركات تتعامل مع بنوك ربوية؟

الجواب: التجارة الإلكترونية حكمها حكم التجارة المباشرة، إن كان فيه محظور شرعي فهي محرمة، وإن كانت الشروط الشرعية متوافرة فيها ولا محظور من المحظورات الشرعية فيها، فإنها مباحة، هذا الضابط الكلي، ويطبق على كل صورة بحسبها، نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ على التمام، ونسأله سبحانه القبول، ونسأله أن يفقهنا في دينه.

هٰذَا، واللهُ تَعَالىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصلِّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٢٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ موضوع مجلسنا موضوع عظيم، وكيف لا يكون موضوعًا عظيمًا وهو يتعلق بالتوحيد لأعظم فرضٍ فُرض، وأعظم حق علىٰ الإطلاق لأعظم كنز يكنزه الإنسان، وكيف لا يكون عظيمًا وبه يزداد الموحد يقينًا من توحيده، ويثبت علىٰ توحيده -بإذن الله عزَّ وجل-، كيف لا يكون عظيمًا وبه يصون المسلم الموحد توحيده من الشبهات التي يلقيها شياطين الإنس والجن، ولاسيما في هذا الزمان الذي كثر فيه المتحدثون المزينون للشرك، المقبحون للتوحيد، المتفننون في إيراد الشبهات.

وكيف لا يكون عظيمًا وبه تدفع الشبهات عن المخدوعين ممن يخدعهم المعممون والمتكلمون ويلقون عليهم هذه الشُّبُهَاتِ، وكيف لا يكون عظيمًا، وفيه إقامة الحجة علىٰ المعاندين للتوحيد، المنابذين للتوحيد، إنَّ موضوع مجلسنا يتعلق بكشف الشبهات المتعلقة بالتوحيد.

وقد ذكرت لكم أن هذه الشبهات مهما تعددت تعود إلى شبهتين كليتين:

أما الأولى فهي: أنّ ما يفعله أولئك المنتسبون إلى الإسلام من أفعال شركية كدعاء غير الله عَزَّ وَجَلَّ كدعاء أصحاب القبور، وكالاستغاثة بأصحاب القبور، وكالنذر لأصحاب القبور؛ بل وكالسجود لأصحاب القبور، والطواف حول القبور، إن تلك الأعمال التي يعملها بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام ليست كأعمال المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن هذا الشرك، ونابذهم على ذلك، وقاتلهم على ذلك.

وقد ذكرنا شبهًا متعددة كلها تعود إلى هذه الشبهة الكلية، وأجبنا عن كل شبهة بأجوبة متعددة تَبَيَّنَ بها -بحمد الله عزَّ وجل- أن الأفعال هي الأفعال، وان كلها شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ واعتداء على حق الله سبحانه وتعالى؛ بل تَبَيَّنَ لنا أن أفعال هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام هي أقبح وأشد إثمًا من أفعال أولئك المشركين الأصليين.

وأما الشبهة الكلية الثانية، فهي: أن كل من نطق بالشهادتين يمتنع تكفيره، فنطقه بالشهادتين يعصمه من التكفير ومن القتل مهما فعل، ومهما قال.

وقد ذكرنا أيضًا شبهًا متعددة تعود إلى هذه الشبهة الكلية، وأجبنا عنها بأجوبة متعددة، وأقمنا الأدلة القطعية اليقينية على بطلان هذه الشبهة، وبيّنا أن المسلمين بمختلف عصورهم مجمعون على بطلانها، وأن هناك ما ينقض الإسلام، من أتى به حتى وهو ينطق الشهادتين يكفر، فأقمنا الأدلة على إجماع الصحابة على هذا، وأقمنا الأدلة على إجماع أئمة الفقه على هذا؛ بل وأقمنا الأدلة على إجماع الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة على هذا، ولا زلنا ننظر في هذه الشبهة، والادلة على كسرها وإبطالها.

وكنا قد ذكرنا قصة الصحابة الذين أسلموا عام الفتح في آخر شهر رمضان، أو في أول شهر شوال، ثم خرجوا مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضمن من خرجوا معه إلى حنين في شهر شوال، فمروا بسدرة كبيرة خضراء، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط؛ وذلك أن المشركين كانوا لهم سِدرة كبيرة خضراء، ويظهر أنها هذه السِدرة التي مر بها الصحابة -رضوان الله عليهم- مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا يعلقون عليها أسلحتهم لتتبارك، أي: لتباركها الشجرة بذاتها، فتصبح أنكى في العدو، وأدعى للنصر على العدو.

فقال بعض أولئك الصحابة الذين أسلموا في عام الفتح: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أواط، فقال لهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر، إنها السُّنَنُ! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}».

وتكلمنا عن هذه القصة، ثم ذكر الشيخ -رحمه الله عزَّ وجل- تتميمًا للفائدة المتعلقة بموضوعنا:

أن هذه القصة فيها خمس فوائد، وأظن أنا ذكرنا فائدتين، وشرحناهما، ووقفنا عند الفائدة الثالثة، ذكرنا -أظن- ثلاث فوائد، وقفنا عند الفائدة الرابعة. فليقرأ من عند قول الشيخ: وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أما بَعْدَ؛ اللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ كُفْرٍ وَهُوَ لا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ: أَنَّهُ لا يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

هذه الفائدة الرابعة من الفوائد المستفادة من قصة قول بعض الصحابة من مسلمة الفتح في غزوة حنين: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، وهي:

أن المسلم إذا قال أو فعل باجتهاد يريد به الخير ولا يعلم أنه حرام، قال قولًا باجتهاد يريد به الخير، وهو لا يعلم أنه حرام، وهو في حقيقته كفر، أو فعل فعلًا باجتهاد يريد به الخير، وهو لا يعلم أنه حرام، وهو في حقيقته كفر، وثبت جهله هذا، ولما علم تاب فور علمه أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل الذين قالوا لموسى -عليه السلام-: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فإن هؤلاء جهلة، وموسى -عليه السلام- زجرهم، فانزجروا.

وكما فعل الذين سألوا النبي صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولهم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فإنهم جهلة، كما قال موسى لهم: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقالها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأولئك القوم.

وهذا -معاشر الفضلاء- يشهد لما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله عزَّ وجل- من أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله عزَّ وجل- لا يعذر بجهل الإعراض، أما الجهل الحقيقي فإذا ثبت فإنه يعذر به.

فهنا لما ثبت جهلهم بدليل قول موسى -عليه السلام- إنكم قوم تجهلون، وقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأولئك الأصحاب ما قاله موسى -عليه السلام-، وبدليل أن أولئك الصحابة الذين قال بعضهم هذا القول كانوا حديث عهد بكفر، وبدليل أنهم لما زجروا انزجروا فورًا، ولم يكابروا، دل كل هذا على أنهم جهلة، فلما ثبت جهلهم ذكر الشيخ أنهم لا يكفرون.

كما يشهد لما قررناه وذكرناه من أن الجهل الحقيقي إذا كان في المسائل التي الظاهر فيها العلم لا يقبل ادعاؤه؛ بل يد إلا إذا ثبت بالقرائن كما هنا، فإن جهل هؤلاء قد ثبت بالقرائن.

وأقوى من هذا أنه ثبت بالدليل؛ حيث قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ومع قولنا: إن الجهل إذا ثبت في هذه المسائل الكبيرة يعذر به فيدفع التكفير، فإنا نقول بأمرين:

الأمر الأول: أنه يجب على من علم بجهله ممن عنده علم أن يعلمه وأن يزجره عما هو عليه، فإن انزجر بعد علمه لا يُكفَّر، وإن أبى الانزجار والازدجار بعد علمه؛ فهو كافر.

والأمر الثاني: أنا نقول كما قدمنا أن الآثار المترتبة على هذا قسمان:

القسم الأول: ما يتعلق بك أنت، كالاستغفار له، والصلاة عليه إذا مات، وهذه قلنا: تجتنبها؛ احتياطًا لنفسك وللدين.

والقسم الثاني: ما يتعلق بغيرك كالحرمان من الميراث، وهذه يُرجع فيها إلى القضاء.

وأما المسائل التي تخفى فدعوى الجهل فيها مقبولة، ويجب على من علم بجهله أن يعلمه، ويرفع عنه الجهل.

وهذه خلاصة ما قدمناه وبيناه وأعدناه هنا للتذكير للمناسبة لما ذكره الشيخ -رحمه الله عزَّ وجل-.

وفي قول الشيخ -رحمه الله-: فنبَّه على ذلك: تنبيه على أن من عنده علم بالتوحيد يجب عليه أن يعلم التوحيد بحسب استطاعته على وجه العموم، وأن من علم جهل منتسب إلى الإسلام ببعض التوحيد أو ببعض الشرك، وعنده علم يجب عليه أن يعلمه، وأن ينبهه، فيالها من فائدة عظيمة نبه عليها هذا الإمام العالم، الإمام الطبيب فيما يتعلق بالتوحيد ونواقضه.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتُفِيدُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ، فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلامُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم.

(الشرح)

❍ هذه الفائدة الخامسة من فوائد القصة، وهي:

أن المسلم المجتهد الذي يريد الخير إن قال كفرًا أو فعل كفرًا وهو لا يدري أنه حرام، -انتبهوا يا إخوة- لا نقول: لا يدري أنه كفر، لا، يكفي أنه لا يدري أنه حرام؛ لأنه لو علِم أنه حرام، فكونه كفرًا هذا أثر لا نعذره به؛ لكن إذا كان لا يدري أنه حرام فإن جهله وإن منع تكفيره لا يمنع زجره بالتغليظ عليه تغليظًا شديدًا، كما فعل موسى -عليه السلام-، وكما فعل الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجمع بين الحزم والعلم والتعليم بما يزجر عن الباطل، ويوصل الحق.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَهُم شُبْهَة أُخْرَىٰ يَقُولُونَ أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أنكر علىٰ أُسَامَة قتل من قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله، وَقَالَ: "أقتلته بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله"؟، وَكَذَلِك قَوْلُهُ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

✓ هذه شبهة -أيضًا- متعلقة بالشبهة الكبرى التي ذكرناها، وهي: أن النطق بالشهادتين يمنع التكفير والقتال، فمهما قال أو فعل من نطق بالشهادتين فإنه لا يكفر ولا يقاتل ما دام نق بالشهادتين.

✓ وهذه الشبهة هنا محصلها: أن النطق بالشهادتين يعصم العِرض فلا يكفر، ويعصم النفس فلا يقتل بأي سبب من الأسباب، فكل من نطق بالشهادتين عُصِم دينه فلا يكفر مهما قال أو فعل، وعُصِمت نفسه فلا يقتل مهما قال أو فعل، وأقاموا في ظنهم دليلًا على شبهتهم، وهو:

ما ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، أي: فرَّ فلحقناه، فلما غشيناه، أي: غشيناه بأسلحتنا، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي.

✓ **هكذا يقول أسامة –رضي الله عنه–:** فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا أسامة «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، قال: قلت: كان متعوذًا، أي: يا رسول الله ما قالها من قلبه، وإنما قالها حتى لا أقتله، كان متعوذًا من القتل، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

☚ **وفي رواية عند مسلم قال أسامة –رضي الله عنه–: فذكرته** للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي أن الذي ذكر ذلك للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلَّغ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أسامة؛ لأنه حاك في نفسه، فقال: «قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟».

قُلْت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟!»، وهذا دليل على ما يقوله أهل السنة من أن القلب له قول، قال: «حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا؟!»، أي: أقالها قلبه، أم لا، قال: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

قال هؤلاء أهل الشبهة: فدلّ هذا الحديث على أن من نطق بالشهادتين يمتنع قتله مهما قال أو فعل.

وكذلك أقاموا دليلًا آخر بزعمهم، وهو: قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلهَ إِلاَّ الله فَمَنْ قَالَهَا، فقَدْ عَصَمَ مِني مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّه، وَحِسَابُهُ عَلىٰ اللهِ»، متفق عليه.

هنا –يا إخوة– قبل أن نخوض في الأجوبة أذكركم بأمر، وهو: أن أهل السنة وَالْجَمَاعَة يجمعون الأدلة، ويجمعون بينها، فلا يأخذون طرفًا من الأدلة ويتركون طرفًا؛ بل يجمعون أدلة المسألة، ويجمعون بينها، وصورت لكم طريقة أهل السنة والجماعة بمن ينظر إلى الهرم من أعلاه، من فوقه، فإنه يرى الهرم من جميع الجهات، ويتصور الهرم من جميع جهاته.

أما أهل الْأَهْوَاءِ؛ فإنّ طريقتهم أنهم يأخذون طرفًا من الأدلة ويتركون طرفا، والغالب أنهم يأخذون المشتبه، ويتركون المحكم.

وهذه القضية هنا أخذوا هذين الحديثين، وفهموهما بأهوائهم، ولم ينظروا إلىٰ بقية الأدلة؛ بل إلىٰ بقية ألفاظ الحديث، فزعموا أن هذين الحديثين يدلان علىٰ هذه المقولة الباطلة، وهذه الشبهة –

يا إخوة- يجاب عنها بجميع الأجوبة المتقدمة من الشبهة التي تدخل تحت هذه الشبهة الكلية التي ذكرناها، التي قالوا فيها: كل من نطق بالشهادتين لا يكفر، ولا يقاتل مهما قال أو فعل.

فيا رعاك الله استصحب جميع تلك الأجوبة المتقدمة هنا، لا داعي لتكرارها، ومن تلك الأجوبة لإبطال هذه الشبهة: ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا حيث قال.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ: أَنَّ مَنْ قَالَهَا؛ لَا يُكَفَّرُ، وَلَا يُقْتَلُ - وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ! -.

(الشرح)

مراد هؤلاء الجهلة بمراد الله ومراد رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم جهلة بهذا؛ لأنهم لم يسلكوا طريق العلم، وطريق العلم في بابين، أعني: العلم بمراد الله ومراد رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بابين:

الباب الأول: المعرفة والإحاطة بالأدلة، فإن الأدلة يفسر بعضها بعضًا، فآيات القرآن تفسر آيات القرآن، والسنة تفسر آيات القرآن وتفسر السنة، ومن لم يعتصم بكتاب الله وبسنة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويجمع بين النصوص فإنه لن يفهم مراد الله، ولن يفهم مراد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والباب الثاني: الرجوع إلى فهم الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين علمهم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهمهم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك -يا إخوة- الهدى والتقى والصواب ومعرفة مراد الله، ومعرفة مراد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما تكون مع من جمعوا بين هذين البابين.

أما من لم يفعل ذلك؛ فإنه سيكون جاهلًا بمراد الله، وبمراد رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان كما هي الألقاب اليوم دكتورًا أو أستاذًا، ما دام أنه لم يسلك هذين الطريقين في معرفة مراد الله ومعرفة مراد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو جاهل.

إذًا قول الشيخ: ومراد هؤلاء الجهلة، أي: بمراد الله ومراد رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُمْ؛ وَهُمْ يَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

أي: أن ظاهر زعمكم أن حديث أسامة بن زيد والحديث الآخر يدل على أن مجرد قول لا إله إلا الله يكفي في منع التكفير وفي عصمة الدماء، وهذا باطل قطعًا، لا يشك مسلم في بطلانه، فإن اليهود في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يقولون: لا إله إلا الله؛ بل ذكر الشافعي في الأم أن من اليهود من كان يقول: نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله غير أنه لم يبعث لنا، ومع ذلك، مع قولهم لا إله إلا الله قاتلهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتل منهم من قتل، وسبى من سبا منهم؛ لأنهم ما وحّدوا الله -سبحانه وتعالى-، وما آمنوا برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا يبطل قولكم: أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقاتل، هذا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال هذا لأسامة، كفَّر اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وقاتلهم، وقتل من قتل منهم، وسبى من سبى منهم، كما يبطل ذلك قطعًا ما جاء في الحديث الثاني الذي ذكرتموه، وهو مقيد للحديثين.

حَيْثُ قال النبي صلَّى الله عليهِ وَسلَّمَ: «أُمِرتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّىٰ يَشْهَدُوا أن لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وأنَّ مُحمَّدًا رسُول الله، ويُقِيمُوا الصَّلاة، وَيُؤْتُوا الزَّكاة، فإذا فعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَموالَهُم إلَّا بِحقِّ الإسلام، وَحِسَابُهُم عَلَىٰ الله»، متفق عليه.

فانظر -رعاك الله- كيف قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أُمِرتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ»، إلى أن، «يَشْهَدُوا أن لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وأنَّ مُحمَّدًا رسُول الله»، فلا تكفي شهادة أن لا إله إلا الله دون شهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا أصل قيام العصمة، «ويُقِيمُوا الصَّلاة»، وهذا دليل صدق الإيمان، فإن الذي لا يصلي ليس بمؤمن؛ إذًا أصل قيام العصمة أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لكن لابد أن يأتي بعمل مما أوجبه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قل: أوجبه الله في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقربًا لله يصدق إيمانه، والراجح أنها الصلاة بخصوصها، كما دل عليه هذا الحَدِيثِ: «وَيُؤْتُوا الزَّكَاة»، وهذا من لوازم لا إله إلا الله، وإن لم ين ترك الزكاة من غير نكران لها كفرًا، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم.

وفي رواية عند البُخَارِيِّ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يقولوا لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وصَلَّوْا صَلَاتَنَا، واسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بحَقِّهَا وحِسَابُهُمْ علَىٰ اللهِ»، فهذا دل على بطلان قولكم: إن الناطق بلا إله إلا الله بمجرد نطقه بلا إله إلا الله يعصم من التكفير والقتال مهما قال أو فعل.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ؛ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ.

(الشرح)

تقدم معنا أن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم قاتلوا من زعموا أن مسيلمة نبي، مع شهادتهم أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، فلم يمنع قولهم بالشهادتين، مع إتيانهم بمناقض، وهو: إثبات النبوة لمسيلمة من قتال الصحابة لهم وتكفيرهم.

وأيضًا لما منع من منع من العرب الزكاة، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا توفي رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أبو بكر، أي: كان أبو بكر الخليفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وكفر من كفر من العرب، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أي: عندما عزم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتالهم: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمَنْ قَالَهَا، فَقَدْ عَصَمَ مِني مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّه، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ».

سبحان الله أشكل هذا الأمر على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى بعض الصحابة، كيف نقاتل هؤلاء وهم يقولون: لا إله إلا الله؟! فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واللهِ لَأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ؛ فإنَّ الزكاةَ حَقُّ المالِ وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عناقًا»، وفي رواية عند مسلم: «عِقَالًا»، «كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فاستقر رأي الصحابة على قتالهم، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

انتبهوا -يا إخوة-، انتبهوا هنا: هؤلاء الذين منعوا الزكاة إن كان منعهم لها على وجه الكفر، على وجه الإنكار لوجوبها: فالاستدلال هنا واضح جدًا، فإن الصحابة -رضوان الله عليهم-

كفروهم وقاتلوهم، بدليل قول أبي هريرة -رضي الله عنه-: وكفر من كفر من العرب، فدل ذلك على أن مجرد النطق بالشهادتين لا يعصم من التكفير والقتال لمن أتى بناقض، وإن كان منعهم للزكاة على غير وجه الكفر، وإنما على وجه الامتناع، وإلا فهم يقرون بوجوبها؛ لكن امتنعوا من دفعها إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فإن هذا يدل على أن مجرد النطق بالشهادتين لا يمنع من القتال، فإذا كان لم يمنع من القتال في أمر دون الكفر فكيف بأمر هو كفر؟! بمعنى نقول له:

إذا كان قولهم للشهادتين مع امتناعهم من أداء الزكاة لا جحودًا لو جوبها لم يمنع من قتالهم، فكيف فلو كان امتناعهم من الزكاة جحودًا للوجوب، فإنه كفر، فإنه من باب أولى لا يمنع من قتالهم، فكيف إذا كان فعلهم أو قولهم نقضًا لا إله إلا الله التي هي أصل إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وجميع الأعمال، لا شك أن هذا يدل على إجماع الصحابة على أن من أتى بناقض من نواقض التوحيد، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بلسانه يكفر، ويقاتل، فهذا ظاهر جدًّا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه-.

(الشرح)

هذا الجواب الثالث الذي ذكره الشيخ عن شبهتهم؛ وقد تقدم معنا هؤلاء القوم -يا إخوة- من السبئية الذين غلو في علي -رضي الله عنه-، وقالوا: إن عليًا هو الله، وكان أحدهم يأتي إلى علي -رضي الله عنه- فيقول: أنت هو، فأجمع الصحابة على كفرهم، وزجرهم علي -رضي الله عنه- عن هذا، وبيّن لهم أنه عبد ضعيف لا يملك لنفسه شيئًا، وأمهلهم ثلاثة أيام، فلما رأى اشتداد الأمر، وأن الأمر أمر منكر يجب حسمه؛ لينزجر غيرهم، أمر غلامه فأجج نارًا، وقتلهم بهذه الطريقة الشنيعة؛ لشناعة فعلهم، وأجمع معه الصحابة على قتلهم؛ لكن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنكر تحريقهم بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار، ورأى أن يقتلوا بالسيف.

فالشاهد: أن الصحابة أجمعوا على كفر هؤلاء، وعلى قتلهم، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون مع الناس؛ لكنهم لما أتوا بهذا الناقض لم ينفعهم قولهم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

(المتن)

قال رحمه الله: وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ: كُفِّرَ وَقُتِلَ -وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ-، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ: كُفِّرَ، وَقُتِلَ -وَلَوْ قَالَهَا-.

فَكَيْفَ لَا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ -الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ-؟!

(الشرح)

هذا الجواب الرابع عن شبهتهم، وهو: أنهم هم بأنفسهم يبطلون قولهم، هذه القاعدة الكلية التي يديرونها بألسنتهم كل من نطق بالشهادتين امتنع تكفيره وقتاله مهما قال أو فعل.

هذه القاعدة هم بأنفسهم يبطلونها، وينقضونها، فإنهم يرون أن من نطق بالشهادتين وأنكر البعث يكفر ويقتل، هم يقولون:

من قال أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ ولكنه قال: لا بعث، ولن نبعث، وليس هناك يوم آخر، قالوا: إنه يكفر، ويُقتل، يا قوم إن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وقد قلتم: أنّ من نطق بالشهادتين امتنع تكفيره أو قتله مهما قال؟! فقعدتم قاعدة كلية، والقاعدة عند أهل العلم -يا إخوة- أن القاعدة الكلية تُنقض بصورة جزئية، وهذه صورة تدخل تحت القاعدة، ومع ذلك لا ينطبق عليها الحكم، فبطلت القاعدة، وانتقضت القاعدة، كما أنهم هم يرون أن من نطق بالشهادتين وسبَّ الله يكفر، ويقتل، فبطل قولكم بقولكم، كما أنهم هم يرون أن من نطق بالشهادتين، وأنكر وجوب الصلاة، وأنكر وجوب الزكاة، أو أنكر وجوب الصوم، أو أنكر وجوب الحج يكفر ويقتل، فبطل قولكم بقولكم.

وتضمن هذا الجواب الخامس، وهو: أنّ الإجماع منعقد على أن النطق بالشهادتين لا يمنع التكفير والقتل، فقد أجمعت الأمة على من نطق بالشهادتين وأنكر اليوم الآخر يكفر، ويقتل إن أصر على ذلك، يستتاب فإن تاب وإلا قد قتل كفرًا.

كما أجمعت الأمة على أن من نطق بالشهادتين وسب الله يكفر ويُقتل، كما أجمعت الأمة على أن من نطق بالشهادتين وأنكر وجوب معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة، والصوم، والحج، فإنه يكفر ويقتل، فالإجماع منعقد على بطلان قاعدتكم، الإجماع بما فيه أنتم منعقد على بطلان قاعدتكم.

الجواب السادس -أيضًا-، تضمنه كلام الشيخ هنا، وهو: إذا كان الإسلام ينتقض بهذا، بإنكار البعث، أو جحد وجوب الصلاة، أو جحد وجوب الصوم، ونحو ذلك، فكيف لا ينتقض بانتقاض أصله، الذي من أجله خلق الناس، ومن أجله بعث الرسل، ألا وهو توحيد العبادة، سبحان الله كيف ينتقض قول الشهادتين بانتقاض الصلاة ولا ينتقض بانتقاض لا إله إلا الله التي هي أصل جميع العبادات، إن هذا لأعجب العجب، وأبطل الباطل.

الجواب السابع: نقول لهم: من خير من نطق بلا إله إلا الله؟

خير من نطق بلا إله إلا الله رسل الله، ورأسهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرفهم، خير من نطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]، إذا كان الأنبياء -عليهم السلام-، وهم خير من نطق بلا إله إلا الله، إذا كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خير من قال لا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يخاطبون بهذا الخطاب، أوحي إليهم؛ إذًا أوحي إليهم بعد بعثتهم (لَئِنْ أَشْرَكْتَ)، لإن أتيت بشرك (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)، ومتى يحبط العمل؟

عند الرِدة، عند الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والكفر (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، فإذا كان في حق هؤلاء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وحشاهم أن يفعلوا، فكيف في حق من دونهم؟! كيف يقول الله عَزَّ وَجَلَّ هذا للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتقولون أنتم لمن دونهم إنا نوحي إليكم؟! ما دمتم قلتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله أنكم إن أشركتم لا يحبط عملكم؟! كيف تجرؤون على هذا القول والله يقول هذا لأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فدل هذا دلالة قطعية على بطلان هذه المقولة الكلية:

كل من نطق بالشهادتين امتنع تكفيره وقتاله مهما قال أو فعل، إذًا ضم ما تقدم من أجوبة مع هذه الأجوبة ينتج القطع ببطلان هذه القاعدة في هذه الشبهة الواهية.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ.

(الشرح)

الله أكبر، ما أبدع صنيع هذا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً وَاسِعَةً وجزاه عنا وعن الإسلام وعن التوحيد خير الجزاء، بعد أن أبطل شبهتهم عاد ليبطل فهمهم، أبطل شبهتم التي يتخندقون ورائها، ثم عاد رَحِمَهُ اللَّهُ ليبطل فهمهم للأحاديث، وأن فهمهم للأحاديث فهم باطل.

(المتن)

قال: فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه: فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ؛ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ.

(الشرح)

قال: فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ، فما الذي فيه؟ الذي فيه أن رجلًا قال: لا إله إلا الله، هل فعل شيئًا بعدما قالها ينقضها أو يخالفها؟ ما قال ولا فعل شيئًا، قال لا إله إلا الله، فقتله أسامة -رضي الله عنه- بعد أن قالها؛ لأنه شك أنه ما قالها من قلبه، وإنما قالها بلسانه؛ ليحمي نفسه، والقرينة موجودة، لكن يبقى أنه ظن، اليقين أنه قال لا إله إلا الله، وأنه لم يفعل ما يبطل قوله بعد أن قاله، واليقين لا يزول بالشك، من ثبت إسلامه بيقين لا يرتفع بالشك، ولا ينقض بالشك، هذه قاعدة أهل السنة والجماعة، فمن أتى بالشهادتين، ولم يأتي بعد ذلك بما ينقضها، فإنه لا طريق لتكفيره أبدًا، ولا يقتل إلا بالأسباب الشرعية التي بينها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا شتان ما بين ما في الحديث وبين ما تقولون، فإن الذي في الحديث أن من أتى بالشهادتين، ثم لم يصدر منه بعد ذلك ما يخالف الشهادتين، فإنه لا يكفر، ولا يُقتل إلا بالأسباب الشرعية، وزعمكم الباطل أن كل من نطق بالشهادتين لا يكفر مهما قال أو فعل، وليس هذا في حديث أسامة -رضي الله عنه-.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ -بَعْدَ ذَلِكَ- مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ: قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وَلَوْ كَانَ لا يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا: لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى.

(الشرح)

قول الشيخ: (وَأَنْزَلَ)، الواو هنا: إما أن الشيخ يريد أنه بسبب فعل أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنزل الله هذه الآية، وهذا قول أن الآية نزلت في أسامة بن زيد.

وهناك أقوال أخرى تزيد على خمسة.

وإما أن الشيخ يريد أن يعضد المعنى الذي ذكره لحديث أسامة بهذه الآية، وهو أن الله أنزل هذه الآية ولا يقصد أنها نزلت في أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤]، ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ رَجُلًا مَرَّ بِالصَّحَابَة وَمَعَه غُنَيْمَات فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غَنَمَهُ»، وجاء عند الترمذي بإسناد صحيح: «إِنَّ نَفَرًا مِنْ الصَّحَابَةِ مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ وَمَعَهُ غَنَمٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: مَا قَالَهَا إِلَّا لِيَسْلم مِنْكُمْ تَعَوُّذًا، فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا غَنَمَهُ»، **فأنزل الله هذه الآية، والآية فيها قراءتان:**

(فَتَبَيَّنُوا)، وهذه قراءة الأكثر، وقراءة حمزة والكسائي: (فتثبتوا)، والمعنى قريب، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه، أي: من أظهر الإسلام.

وقد جاء في بعض روايات القصة أنه قال:

لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي بعضها أنه قال السلام عليكم، فالآية تدل على أن من أظهر الإسلام يجب الكف عنه، ما دام أنه أظهر الإسلام ولم يظهر منه خلاف ذلك، ويجب التثبت، والفحص، والتبين، بسبر حاله، فإن لم يظهر منه ما يخالف قوله وجب الكف عنه، وإن ظهر منه ما يخالف قوله ولو بعد حين، فإنه يقتل؛ لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لما قال الله: (فَتَبَيَّنُوا)، وإنما لقال فكفوا؛ لكن لما قال: (فَتَبَيَّنُوا)، ما فائدة التبين؟ أَنَّهُ لو بان منه خلاف قوله فإنه يقتل، فدلت هذه الآية على هذا المعنى العظيم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ: مَعْنَاهُ: مَا ذَكَرْنَا؛ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَالتَّوْحِيدَ: وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ؛ إِلَّا أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

(الشرح)

وهذا ظاهر جدًا، وظاهر المسألة كما قلت لكم جمع ألفاظ الحديث ورواياته، وجمع أدلة المسألة، والنظر في فهم الصحابة، فإذا جمعنا ألفاظ الحديث ورواياته، والأدلة الأخرى، ونظرنا في فهم الصحابة، فهمنا ذلك فهمًا سليمًا مستقيمًا، وإن اختل ذلك كان الضلال والزلل.

ثم سيقيم الشيخ الدليل على هذا، فلعلنا نقف عند رأسه، ونكمل الأسبوع القادم -إن شاء الله عزَّ وجل-.

أيها الإخوة إن المؤمن ينبغي عليه أن يعتني بتوحيده عناية عظيمة، قد كان السابقون يعلمون التوحيد في بيوتهم، فكان الصغار يلقنون رؤوس التوحيد، الأصول الثلاثة: ومعنى لا إله إلا الله، والخوف من الشرك، وأين الله، ويربى الصغار على ذلك، وما أحوجنا -يا إخوة- إلى هذا الأمر، أن نغرس التوحيد في الصغار، وأن نعلم الصغار التوحيد، نعلمهم الرؤوس بما ينغرس في قلوبهم، ويكبر مع قلوبهم، وينبغي علينا أيها الإخوة أن نحذر حذرًا شديدًا من الاستماع إلى المشركين، والمخالفين للتوحيد في هذه القنوات المحدثة، وهذه الوسائل التي بين أيدي الناس، وللأسف انه صار بعض الناس يستمعون لهذا، وصرنا نسمع لبعض عوامنا أسئلة ما كانوا يسألونها؛ بل والله -يا إخوة- صار بعض طلاب العلم يراسلونني بشبه في التوحيد، ما السبب؟

النظر في هذه القنوات ولو من باب الفضول، والله -يا إخوة- يحرم أن تسمع كلام أهل الباطل أو أن تجالس أهل الباطل ولو في هذه القنوات، ولو أنت لوحدك في بيتك، وهم في مجلسهم في هذه القنوات سواء كان ذلك مسجلًا أو مباشرًا يحرم مجالسته، إلا من كان من أهل العلم، وكان شأنه أن يرد الشبهات، وأن يرد على أهل الباطل، فيسمع ليبين للناس باطلهم، وليرد باطلهم، نعم العالم والشيخ المتمكن الذي يعلم الناس لا حرج أن ينظر في هذه القنوات من أجل أن يقيم الحق، وينصر الحق، أي: -يا إخوة- كثير من الناس يقولون لنا يا إخوان هذه الأشياء التي تتكلمون عنها قديمة، الآن ما يوجد هذا، والله في هذه القنوات أحد كبارهم من المشهورين يقول:

أنا أؤمن أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مد يده، أخرج يده من القبر وصافح سيدي فلان، وأن الذي لا يؤمن بهذا عنده مشكلة في دينه.

ويقول المجنون، هو ليس بمجنون؛ ولكنه يقول كلام المجانين، يقول:

إن العقل يجيز ذلك أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمد يده من قبره، ويتجاوز هذه الأسوار؛ ليسلم على سيدهم فلان، ما سلم على أبي بكر، ما سلم على عمر، ما سلم على عثمان، ما سلم على علي، ما سلم على بنته فاطمة، وسلم على سيدهم فلان، والله هذا يقوله موجود، يرفع عمامته يقول: هذه العمامة

أخذتها بالسند عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس بيني وبين رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أبي، يا دجال العمامة من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبيك إليك؟! وأحد المعممين يقول: إن بلادنا لن تغرق ولن تصاب بالبلاء ما دام فيها الولي فلان، يقولون لنا الناس ما يحتاجون هذا الشرك زال، والله والله أنه هذه الأيام يزداد ازديادًا عجيبًا، ويتعين علينا أن نعلم التوحيد كله بحسب استطاعته، على الأقل علم أهلك، علم أبناءك، علم أحفادك، حافظ على هذا الكنز، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم من أهل التوحيد الثابتين عليه، المنافحين عنه، الداعين إليه، وأن يكفي الله عَزَّ وَجَلَّ الأُمَّة شرّ الدجالين الذين يدعون الأمة إلى كل شر.

هٰذَا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

المجلس (٢١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء؛ فهذا المجلس معقود لختم شرح كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام الإمام المجدد الناصح، طبيب التوحيد، الخبير به: محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هذا الكتاب الفريد في بابه، النفيس فيما أودع فيه الذي فيه الفوائد العظمىٰ عند قراءته قراءة صحيحة، يزداد الموحّد يقينًا بتوحيده، وثباتًا علىٰ توحيده، ومن كان علىٰ انحراف في التوحيد، فقرأ الكتاب بتجرد، فإنه تستبين له المحجة، وتقوم الحُجَّةِ، ويظهر له الحق، ويلين إِلَيهِ بإذن الله عزَّ وَجَلَّ، أَمَّا من كان مكابرًا معرضًا؛ فإن في هذا الكتاب إقامة الحجة عليه، فنواصل شرح الكتاب من حيث وقفنا.

فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ أشرف الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ نبينا مُحَمَّد وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ، فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمامُ المُجدد شَيْخُ الإِسْلَام مُحَمَّدُ بن عبد الوهاب رَحِمَهُ الله تَعَالَى وجزاهُ عنا خيرًا، في رسالتهِ كشف الشُّبُهَات: والدليل علىٰ هذا.

(الشرح)

أي: الدليل على أن من أظهر الإسلام، فنطق بالشهادتين يعصم دمه وماله وعرضه، وتبقى له العصمة ما بقي إسلامه ظاهرًا، أما إذا نقض إسلامه، فإن عصمته تنتقض، أو أتى بسبب من الأسباب التي تنقض العصمة، فإن عصمته تنتقض، الدليل على ذلك: ما يذكره الشيخ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

(الشرح)

فهذه الأدلة دلَّت على عصمة دم من قال: لا إله إلا الله، ولابد من قرينتها: شهادة أن محمدًا رسول الله، فمن نطق بالشهادتين عصم دمه وماله وعرضه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»، «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلاً - حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَهُمْ.

(الشرح)

هذا الدليل على أن من أتى بسبب تنتقض به العصمة تنتقض عصمته، ويقاتل، ومن نقض توحيده، فإن عصمته تنتقض، ويُقَاتَل، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الخوارج: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»، وهذا الحديث في الصحيحين، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، وهذا الحديث في الصحيحين، فانظر -رعاك الله-:

أخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لو أدرك الخوارج لقتلهم بنفسه، وقاتلهم بنفسه، وأمر الأمة بقتالهم حيثما وجدوا، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ويصومون؛ بل هم من أكثر الناس عبادة، وقراءة، حتىٰ أن الصحابة يحقرون أنفسهم من جهة العمل عِنْدَهُمْ.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي قال فيهم: «تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ إِلَىٰ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ إِلَىٰ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤون القُرْآنَ»، كما عند البخاري في الصحيح، فمع وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بهذا أخبر أنه لو أدركهم لقاتلهم، وأمر بقتالهم، فدل ذلك على أن من أتى بسبب من الأسباب التي تنقض العصمة تنتقض عصمته، ويقاتل.

⊙ أين الدلالة على أنه يُقاتل إذا نقض التوحيد؟

نقول: الدلالة من جهة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، فذهب جماعة من أهل السنة إلى أنهم يكفرون بهذا، فالخوارج عند جماعة من أهل السنة

كفار، وعلى هذا فالدلالة ظاهرة، لما أحدثوا الخروج كفروا به، وانتقضت عصمتهم، وخرجوا من الإسلام.

وعند جماعة من أهل السنة من أفجر المبتدعة؛ لكنهم ليسوا كفارًا، وهنا أيضًا الدلالة ظاهرة، فإذا كانوا بفعلهم شيئًا دون الكفر يستحقون القتل فكيف بمن فعل الكفر؟! لا شك أنه يستحق القتل من باب أولى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(الشرح)

ما أعظم هذه الجملة، انتبه يا طالب العلم:

الخوارج أدركوا الصحابة، وعاشوا مع الصحابة، وتعلم بعضهم من الصحابة؛ لكن هذا العلم لم ينفعهم؛ لأنهم ما ساروا على نهج الصحابة، ولا ساروا على طريقة الصحابة، ولا عرفوا قدر الصحابة؛ بل رأوا أنهم أغير على دين الله من الصحابة، وأعلم بدين الله من الصحابة، وهذه مقتلة لطالب العلم، إذا ظنّ طالب العلم أنه أتقى لله من العلماء، وأخشى لله من العلماء، وأغير على دين الله من العلماء، فإنه يهلك ولابد، ويقع في شر البدع، ويتردى، لا يزال طالب العلم ما عظَّم أهل العلم من أهل السنة، وعرف قدرهم، وأخذ العلم عنهم، ولزم طريقهم، ولزم منهجهم.

وَلِذَلِك؛ إذا رأيت من يزعم أنه طالب علم يقع في العلماء من أهل السنة، وأحب شيء إليه أن يسبهم ويشتمهم عصبية أو نحو ذلك، فاعلم أنه في طريق مهلكة، وأنه في طريق ضلال.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَلَا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلَا ادِّعَاءُ الإِسْلَامِ؛ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

(الشرح)

لم ينفعهم قولهم: لا إله إلا الله، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا كثرة عبادتهم، ولا ادعاءهم الإسلام لما جاءوا بالخروج، فانتقضت عصمتهم، فالنطق بالشهادتين لا ينفع من يأتي بالشرك كما يفعل بعض الناس: يرددون لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ثم يدعون الأولياء في قبورهم، أو أصحاب القبور؛ بل رأيت بعض الناس يجتمعون عند القبر، ويرددون: لا إله إلا الله،

محمد رسول الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ثم يكبون على القبر سجودًا عليه، ثم ينادون صاحب القبر: الغوث، الغوث، المدد، المدد، هؤلاء ينقضون قولهم لا إله إلا الله، محمد رسول الله بفعلهم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ.

(الشرح)

كما تقدم معنا قريبًا: أن اليهود يقولون: لا إله إلا الله، ومع ذلك قاتلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم ما شهدوا أن محمدًا رسول الله، ومنهم من شهد أن محمدًا رسول الله؛ لكن قال لغيرنا، ليس لنا، ومع ذلك فقاتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدلَّ ذلك على أن مجرد قول: لا إله إلا الله لا يعصم؛ لكن من قالها وأظهرها، فإنا نحكم له بالعصمة؛ حتى يظهر لنا منه ما يناقض ذلك.

واليهود قالوا: لا إله إلا الله؛ لكن لم يحكم لهم بالإسلام؛ لأن المناقض كان مقارنًا، فهم يقولون: لا إله إلا الله وهم يعتقدون ما ينقض لا إله إلا الله في نفس الوقت، وهذه مسألة مهمة جدًّا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

(الشرح)

كما تقدم مَعَنَّا قريبًا، فإنهم قاتلوهم، أجمع الصحابة على قتالهم، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون؛ لكن لما أتوا بالناقض أو المنع قاتلهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَكَذَلِكَ أَرَادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقِ؛ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ؛ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمْ.

(الشرح)

جاء في مسند الإمام أحمد في قصة طويلة: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بعثًا إلى بني المصطلق، لم يخرج معهم، والغزوة تطلق على ما خرج فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن يتوسع فيها بعض أهل العلم، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بعثًا من الصحابة إلى بني المصطلق لما ظن أنهم

منعوا الزكاة، وأرادوا قتل رسوله إليهم ليقبضها؛ وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رسولًا؛ ليقبض الزكاة، وكان كبير بني المصطلق ينتظره، وقد جمع الزكاة، كما وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن هذا الرسول في الطريق خاف، فرجع إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: لقد منعوا الزكاة وأرادوا قتلي.

فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثًا إليهم، كبير بني المصطلق لما تأخر الرسول خاف أن يكون رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غضب عليه، فأخذ الزكاة وانطلق بها، لقي البعث في الطريق، فأخبروه بما كان، فقال: لا والله، وما خرجني إلا خوفي من غضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرجع البعث، ونزلت آية الحجرات، والحديث حسن بشواهده، وهو عند الإمام أحمد في المُسْنَد.

والشاهد منه: أنّ بني المصطلق كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ لكن لما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم منعوا الزكاة، وأرادوا قتل رسوله لقبضها أراد قتالهم، وبعث لهم بعثًا من الصحاب ليقاتلوهم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا: مَا ذَكَرْنَا.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ؛ وَهِيَ: مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم.

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

(الشرح)

هذه شُبهة مستقلة يوردها المشركون الذين يستغيثون بغير الله كالذين يستغيثون بأصحاب القبور، هؤلاء الذين ينتسبون إلىٰ الإسلام ويفعلون هذا الشرك يوردون شبهة تتعلق بأكبر ما يحصل منهم، وهو الاستغاثة بغير الله عَزَّ وَجَلَّ وهذه الشبهة تجعلهم عاكفين علىٰ ما هم عليه، ماضين عليه لا يغيرون، ولا يبدلون، ولا يتوبون، ولا يؤبون، وهي: أنهم يقولون دَلَّ الدليل الصحيح علىٰ أن الاستغاثة بالمخلوق الصالح كالنبي والملائكة جائزة وليست شركًا، **ما هذا الدليل؟**

يقولون: «ما يكون يوم القيامة عند حصول الكرب العظيم حين يجمع الله الأولين والآخرين، وتدنوا الشمس، فينظرون من يشفع لهم عند ربهم، فيأتون آدم -عليه السلام-، ثم نوحًا -عليه السلام-، ثم إبراهيم -عليه السلام-، ثم موسىٰ -عليه السلام-، ثم عيسىٰ -عليه السلام-، وكلهم يعتذر عنها، ويطلب منهم أن يذهبوا إلىٰ من بعده، ثم يأتون رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشفع لهم بعد استئذان ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»، والحديث في الصحيحين.

يقولون: فهنا استغاث الناس بالأنبياء -عليهم السلام-، وما أنكر عليهم الأنبياء ذلك، ولا أنكر عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وعندما أخبرنا بهذا الأمر ما أنكره، فدل هذا على أن الاستغاثة بالمخلوق الصالح جائزة.

والدليل على أن فعلهم هذا استغاثة: ما رواه البخاري في الصحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: «إنَّ الشَّمسَ تدنو حتَّىٰ يبلغَ العرقُ نصفَ الأذنِ، فبينما هم كذلِك استغاثوا بآدمَ -عليهِ السَّلامُ-، ثمَّ بموسىٰ، ثم بِمُحمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، الحديث.

إذًا هذه الشبهة، وهذا دليلها:

الشبهة: أن الاستغاثة بالمخلوق الصالح جائزة، وليست شركًا.

ودليلها: ما يكون يوم القيامة.

والجواب عن هذه الشبهة: أن الاستغاثة هي طلب الغوث لتفريج الكربة، وهذه المسألة قسمان:

قسم: هو محل اتفاق ووفاق بيننا وبينكم.

وقسم: هو محل النزاع بيننا وبينكم؛ بل بينكم وبين جميع الموحدين من آدم -عليه السلام- إلى آخر موحد، هذا محل النزاع، هذا القسم، وبين القسمين كما بين السماء والأرض.

أما القسم الذي هو محل اتفاق بيننا وبينكم، فهو: الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، أن يستغيث إنسان بإنسان حي، حاضر فيما يقدر عليه، طالب في الاختبار، جف القلم الذي معه، فقال لزميله الذي بجواره: أغثني، أعطني قلمًا، حي يستغيث بحي حاضر فيما يقدر عليه.

وكذلك كما لو استغاث المظلوم بالناس الموجودين لدفع الظلم عنه، لو جاء رجل قوي يضرب إنسانًا ظلمًا، فاستغاث هذا الإنسان بالناس الذين حوله، قال: أغيثوني، وهم أحياء، موجودون، حاضرون، قادرون على نصرته، فهذا من مقتضى خلقة الناس، فإن الله خلق الناس يحتاج بعضهم بعضًا، وقد دَلَّت الأدلة على جوازه، كهذا الحديث الذي ذكرتموه، فهؤلاء أحياء، استغاثوا بأحياء، حاضرين، قادرين على الشفاعة إن أذن الله لهم؛ لكن الْأَنْبِيَاء قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتذروا لوجود مانع، لا لعدم قدرتهم.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن عنده مانع، فاستأذن ربه، فأذن له، فشفع لهم، وهذا عليه عمل الناس من زمن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا من غير نكير؛ لكن هذا القسم ليس عبادة، وليس فيه شبهة العبادة مطلقًا.

وأما القسم الذي وقع بيننا وبينكم فيه النزاع، فهو: الاستغاثة التي هي عبادة، التي لا تكون إلا إذا اعتقد المستغيث في المستغاث به أن له قدرة على النفع والضر، وأن له تأثيرًا في الكون، وذلك إذا كان المستغاث به ميتًا أو غائبًا، أو حاضرًا طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

يا إخوة الميت المقبور الذي يذهب إليه ويستغيث به لماذا؟

لأنه قام في قلبه اعتقاد أنه يقدر على ضره ونفعه وهو في قبره، وأنه يستطيع أن يتصرف في الكون وهو في قبره، الذي ينادي غائبًا هو في البحر، في السفينة أو في حافلة بين مكة والمدينة، فيقع حادث، فينادي: يا سيدي فلان، ينادي شيخ الطريق في بلاده، لماذا يناديه؟

لأنه قام في قلبه أن شيخه مع غيبوبته وبعده يقدر على نفعه وضره، وأن له قدرة على التصرف في الكون، لو جاء إنسان إلى شيخ، حي، موجود، حاضر، قال: يا مولانا، يا مولانا ارزقني ولدًا، يا مولانا اغفر لي ذنوبي، يا مولانا أنزل علينا المطر، فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يكون ذلك إلا إذا قام في قلبه اعتقاد أن هذا يستطيع أن ينفعه ويضره من دون الله، وأنه يستطيع أن يتصرف في الكون، فيرزق الولد، وينزل المطر، ونحو ذلك.

إذًا انتبهوا: يظهر لنا هنا الفرق بين القسمين:

في القسم الأول ما يظهر هذا مطلقًا، أما في هذا القسم فلا يمكن أن يكون إلا هكذا، فهو عبادة، وصرف شيء منها لغير الله شرك، وإنما تكون هذه الاستغاثة بالله وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال -تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩]، فهذه الاستغاثة الشرعية، وفرق كبير بين القسمين كما بينا، وليس لكم أن تستدلوا على ما تنازعنا فيه بدليل يدل على ما اتفقنا عليه؛ لأنه استدلال في غير محل النزاع، وهذا باطل، كيف وقد أثبتنا الفارق المؤثر؟!

فليس لكم أن تستدلوا علينا بالدليل المتعلق بالأمر الجائز بالاتفاق على ما تنازعنا فيه، لأمرين:

الأمر الأول: أنه لا يجوز الاستدلال بدليل في غير محل النزاع.

والأمر الثاني: أنا بينا الفارق المؤثر بين النوعين.

ويدل دلالة واضحة على الأمرين: تصرفات الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، فإن الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا إذا نزل بهم كرب يذهبون إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويطلبون منه الدعاء، أن يدعوا لهم، كما إذا قحط، تأخر المطر وحصل الجدب، فإنهم يذهبون إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستسقي لهم؛ لكن لما مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات كما يموت البشر؛ لكن بقي فضله، والله ما نقص من جاهه شيء، ولا نقص من شرفه شيء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما ذهبوا إلى قبره يسألونه في قبره، أو يستغيثون به وهو في قبره، حتى عندما حصل الجدب في زمن عمر -رضي الله عنه- ما ذهبوا إلى قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا توسلوا بجاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع بقاء جاهه؛ بل توسلوا بدعاء العباس عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فدل هذا على ما ذكرنا، وكذلك شأن السلف بعد الصحابة، فإنه لم ينقل عن واحد من أئمة أهل السنة، ومنهم الأئمة الأربعة أنه ذهب إلى قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكوا شيئًا أو يطلب شيئًا، مع أنهم أعظم الناس حبًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكثر الناس تعظيمًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدل ذلك على الفرقين.

أنبّه قبل أن ننتقل إلى قراءة كلام الشيخ: أنه مع جواز الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، فإن من كمال التوحيد، وقوة الإيمان أن يجعل العبد حاجته كلها عند الله، وأن لا يسأل الناس شيئًا ما استطاع، من كمال التوحيد وقوة الإيمان أن يحرص العبد علىٰ أن يكون سؤاله لله، وأن لا يسأل الناس شيئًا ما استطاع، مع أنه لو فعل جاز علىٰ الصورة التي ذكرناها.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ!

(الشرح)

سبحان من طبع على قلوب أعدائه، سبحان الله يا إخوة! الذي لا يستدل مخلصًا، وإنما يريد نصرة قوله أو نصرة شيخه يكون أعمى، فيستدل بغير دليل، ويرد الدليل؛ ولذلك فرق لازم على من يبحث ويستدل أن يخلص لله، أن يريد الحق، ونصرة الحق، وإلا تخبط وأتى بالمضحكات، ستجده يرد الأدلة المحكمات، ويأتي بأدلة مضحكات، لا ندل على ما يراد؛ ولذلك نحن -يا طلاب العلم- ينبغي أن نقتنص هذه الفوائد في طلبنا العلم، في تقريرنا، لابد من أن نكون مخلصين لله عَزَّ وَجَلَّ إخلاصًا تامًا، أن نتجرد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَإِنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا نُنْكِرُهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ - فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾.

(الشرح)

وهذا دليل على جواز هذه الاستغاثة في الدنيا، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص:١٥]، من بني إسرائيل، ﴿عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص:١٥]، وهذا دليل لأن القصة ذكرت في القرآن إقرارًا، فهذا يدل على جواز هذا.

وهنا الحظوا: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حي، حاضر، لما رآه استغاث به، قادر؛ ولذلك وكزه موسى -عليه السلام- أي: وكز عدوه فقضى عليه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الحَرْبِ وَغَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ.

(الشرح)

وهذا استدلال بالإجماع العملي، فالأمة مجمعة من زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحروب وغيرها على أن يستغيث المخلوق بالمخلوق الحاضر فيما يقدر عليه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ وَالأَنبِيَاء وَغَيْرِهِم.

(الشرح)

أو عند غير قبورهم، أي: بعض الناس يستغيث بالمقبور عند القبر، وبعض الناس يستغيث بالمقبور وهو بعيد عن القبر، قد يكون بينهما ما بين المشرق والمغرب، ويستغيث بالمقبور.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا.

(الشرح)

أو في غيبتهم أي: من الجن والإنس والملائكة، فهم بالنسبة لنا غيب، الإنسي معروف حاضر وغائب، والجن؟ الجن بالنسبة لنا غيب.

والملائكة؟ بالنسبة لنا غيب.

فالاستغاثة بهم في غيبتهم هذه عبادة؛ لأنها لا تكون إلا عن الاعتقاد الذي ذكرناه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ.

(الشرح)

في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله: هذه -يا إخوة- خرجت مخرج الغالب؛ لأن الغالب أن هؤلاء يسألون الأموات، والغائبين ما لا يقدر عليه إلا الله، كالهداية والمغفرة والرزق وإنزال المطر والولد، فهي ظلمات بعضها فوق بعض، فليس لهذه الجملة مفهوم مخالفة، فإن سؤال الميت مطلقًا شرك؛ حتى لو سأله ما يقدر عليه الحي، وسؤال الغائبين مطلقًا شرك؛ حتى لو سأله ما يقدر عليه الحاضر.

لو أن إنسانًا يضرب، فاستغاث بشيخه في المغرب، هو في المدينة، يضرب في المدينة، استغاث بشيخه في المغرب، هو لو استغاث بإنسان موجود، حاضر يجوز، ويقدر على هذا؛ لكن الغائب لا يقدر على هذا، فهذا شرك، وسؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله شرك ولو كان المخلوق حاضرًا، كما نرى الآن في الغلاة وينشرون هذا في المواقع وكذا، يأتي للشيخ، يقبل يد الشيخ، ويقبل ركبة الشيخ،

ويقبل ركبة الشيخ، ويتفل عليه الشيخ، ثم يسأل الشيخ الولد، يا شيخ ارزقني علمًا، يا شيخ اجعلني من الأولياء، يا شيخ اجعلني من المقدمين في الطريقة، يا شيخ ارزقني الشفاعة، يا شيخ ارزقني الولد، فهذا شرك أكبر، فسؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله شرك مطلقًا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: فَالِاسْتِغَاثَةُ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ؛ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

(الشرح)

وكما قلنا: كان الأنبياء يقدرون على هذا؛ لكن اعتذروا لوجود المانع إلى أن وصل الناس إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، تَقُولُ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي.

(الشرح)

كأن تعلم أن جارك يريد أن يعتمر، يذهب إلى العمرة، فتذهب إليه، تقول: يا جاري ادع الله لي بخير، ادع الله لي بخير، أو تعلم أنه يريد الحج، فتذهب إليه، تقول: يا جاري ادع الله لي بالخير، ادع الله لي أن يرزقني الولد، ادع الله لي أن يصلح أولادي، ونحو ذلك، وهذا فعله الصحابة -رضوان الله عليهم-.

والحظوا -يا إخوة- هنا أن في هذا مصلحة للسائل والمسئول؛ لأن السائل يدعى له، والمسئول إذا دعا لأخيه قال: الملك آمين، ولك مثله، ذهبت إلى جارك وقلت: يا جاري ادع لي عند الكعبة، أنت الآن أحسنت إلى نفسك وإليه؛ لأنه إذا دعا لك عند الكعبة، دعا لك وحصل الدعاء لك، واستفاد هو؛ لأن الملك يؤمن على دعاء ويقول: ولك مثله، فتحصل المصلحة هنا للسائل والمسئول، والكل يدعوا الله، الكل يدعوا الله ما يعتقد في المسئول أنه قادر، وإنما يعتقد في المسئول أنه عبد يدعوا، يدعوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاتِهِ.

(الشرح)

ثبت في أحاديث كثيرة أن الصحابة سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء، أن يدعوا الله؛ لكن إذا تأملت في طلبات الصحابة أو طلب الصحابة الدعاء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجد أنه إما في مصلحة عامة للأمة، وإما في أمور عظيمة، كالجنة، دخول الجنة كالثبات على الحق، ونحو ذلك.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ: فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ.

(الشرح)

لا الصَّحَابَة، ولا السلف، ومنهم الأئمة الأربعة سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قبره ولا عن بُعد شيئًا بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يستطيع أحد أن يأتي بشيء من ذلك إلا أن يكون كذابًا، وضَّاعًا، وما أكثرهم -لا كثرهم الله-، اليوم يقولون أحاديث واضح أنها مكذوبة حتى لو ما كان عند الإنسان علم، ويضحكون، ويتجلون على الناس ويكذبون على الناس.

اليوم -يا إخوة- يكون على المنبر يخطب، فجأة يجدونه يبرق بعيونه، وينظر بعيونه يمين وشمال، يوهمون الناس أن الملائكة حضرت، ولا واحد على المنبر يخطب وفجأة: يا مرحبًا بالمصطفى، يوهم الناس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل، كذاب، مجرمون والله، ما يستحون، يكذبون بلا حياء، ويضعون الآثار والناس مساكين ما تستطيع تميز، وهذا شيخ؛ قال ثبت عن الصحابة أنهم فعلوا كذا وكذا، كذاب، ما فعلوا، أما أن يوجد صادق نتحداه أن يأتينا بأثر واحد عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن السلف، فيه أنهم سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال: بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسِه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا بدعة، هذا بدعة، فكيف بدعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه وهو شرك، فلما رأوا البدعة، وهي: تخصيص

الموضع عند القبر بدعاء الله، أنكروه وزجروا فاعله، فكيف بما هو شرك بالله، بأن يقف الإنسان عند القبر ويدعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عياذًا بالله من ذلك، ذكر المحقق في الحاشية رقم اثنين ذكر أثرًا اقرأه -بارك الله فيك-.

(المتن)

قال: من ذلك ما جاء عن علي بن الحسين -رضي الله عنهما- أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم»، رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في التاريخ، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو يعلىٰ والضياء والمقدسي في المختارة، والحديث صحيح بشواهده، قد حسنه السخاوي في قول البعيد، وَصَحَّحَهُ الألباني في تحذير الساجد.

(الشرح)

إذًا -يا إخوة- في ختام هذا الكلام نقول: أن الفقه هو التفريق بين المختلفات، وإعطاء كل شيء حكمه، الفقيه، العالم، العارف، لا يخلط بين المختلفات؛ بل يعطي كل شيء حكمه، وهذا الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ؛ وَهِيَ: قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الِاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

(الشرح)

هذه شبهة أخرى يوردونها، يريدون أن يثبتوا أن الاستغاثة بالمخلوق جائزة وليست شركًا، وهي أن إبراهيم -عليه السلام- لما ألقاه قومه في النار وهو في الهواء، يقولون عرض عليه جبريل -عليه السلام- عرض له، فقال: «ألا حاجة»، **أي:** أتطلب مني حاجة، أتطلب مني أن أحملك قبل أن تقع في النار، قال: أما إليك فلا، **أي:** حاجتي لربي، قالوا: فعرض جبريل -عليه السلام- وهو أشرف الملائكة على إبراهيم -عليه السلام- أن يستغيث به فيغثه، فأبى إبراهيم -عليه السلام-، فدل ذلك أن

الاستغاثة بالمخلوق جائزة وليست شركًا، لو كانت شركًا ما عرضها جبريل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويجاب على هذه الشبهة الواهية بأجوبة:

الأول: أن هذه القصة لا أصل لها، فالمرفوع منها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذب موضوع، والموقوف على بعض الصحابة لا لم يصح، وإنما هي قصة يذكرها بعض العلماء، وقد أجمع العلماء على أن القصص الذي يذكره بعض العلماء بلا إسناد صحيح لا حجة فيه، فلا حجة لكم في هذه القصة.

والجواب الثاني: لو سلمنا لكم صحة القصة فلا دليل لكم فيها على الاستغاثة الشركية، بل هي كالشبهة السابقة، سواء بسواء، فجبريل -عليه السلام- حي، حاضر، قادر، عرض على مكروب أن يغيثه، وهذا جائز بالاتفاق، لو رأيت مكروبًا فقلت: هل لك حاجة، أرى في وجهك الهم والغم، هل أستطيع أن أنفعك بشيء، هذا أمر محمود بالاتفاق، وجائز بالاتفاق، فهو استدلال في غير محل النزاع كما قدمنا في الشبهة الماضية.

الجواب الثالث: سلمنا لكم جدلًا محضًا **أي:** ما يقبل الصدق؛ لكن هو تسليم جدلي فقط، أن جبريل -عليه السلام- عرض الاستغاثة الشركية -وحاشاه- فإن هذا من باب الابتلاء لإبراهيم، **أي:** إنها يكون من باب الابتلاء، وقد قال إبراهيم -عليه السلام-: «**أما إليك فلا**» فأبى إبراهيم -عليه السلام- هذا، وقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، -عليه السلام-، فلا حجة لكم في هذه القصة بوجه من الوجوه.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَالجَوَابُ: إِنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَىٰ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ وَيُلْقِيَهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ.

(الشرح)

ولو أمره أن ينقل جبلًا ليضعه مكان النار لفعل، فهو حي، حاضر، قادر، عرض الغوث على مكروب، وهذا متفق على جوازه.

(المتن)

قال: وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلاً مُحْتَاجـًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ.

(الشرح)

أي: أن إبراهيم -عليه السلام- إنما اختار الكمال، وهو أن يضع حاجته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا أكمل من أن يسأل مخلوقًا فيما يقدر عليه.

(المتن)

قال: فَأَيْنَ هَذَا مِن اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

قال رحمه الله: وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ، لَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا؛ فَنَقُولُ.

(الشرح)

هذه مسألة عظيمة، عظيمة الفائدة.

✓ **ومقصود الشيخ بهذه المسألة:** أن التوحيد لابد فيه من نطق مع القدرة، واعتقاد جازم، وعمل مصدق، فمن لم ينطق بالشهادتين مع القدرة فليس موحدًا؛ بل هو كافر، من أبى أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهو قادر على النطق، ما دخل الإسلام أصلًا، ومن نطق بالشهادتين؛ لكن لم يعتقد اعتقادًا جازمًا فليس موحدًا ولو لم يعمل شيئًا من الشرك، كما لو كان رجل مع الموحّدين، ويعمل ما يعمله الموحدون، ما يفعل شركًا، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله بلسانه؛ لكنه يعتقد في قلبه أن يجوز أن يدعى غير الله، أو يستغاث بغير الله عَزَّ وَجَلَّ أو يقول في نفسه ماذا فيها، مشايخنا متشددون، ماذا فيه لو نذر للقبر، ماذا فيه لو طاف بالقبر، هذا ما اعتقد اعتقادًا جازمًا، هذا ليس موحّدًا؛ بل هو مشرك، ومن نطق بالشهادتين، واعتقد بقلبه؛ لكن لم يعمل بالتوحيد ظاهرًا، أو عمل شركًا أكبر كأن دعا غير الله، فليس بموحد.

إذًا التَّوْحِيدِ؛ لا يكون إلا باجتماع النطق بالشهادتين مع القدرة، والاعتقاد الجازم في القلب، والعمل بالتوحيد ظاهرًا، لابد من اجتماع هذه الثلاثة.

- **أما الشِّرْكُ**؛ فمن لم ينطق بالشهادتين مع القدرة فهو مشرك، ومن لم يعتقد اعتقادًا جازمًا فهو مشرك، ومن عمل بجوارحه الشرك فهو مشرك، لا يشترط اجتماعها في الشرك، أما التوحيد فلا يكون إلا إذا اجتمعت الثلاثة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَنَقُولُ: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ.

(الشرح)

لا خلاف بين السند أجمعين، وأهل السنة من بعدهم، **أي**: ممن اتبع السلف لا خلاف عندهم من أن التوحيد لابد فيه من الثلاثة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: لَا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا.

فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ.

(الشرح)

من عرف التوحيد ولم يعمل به، ولم ينطق، ما نطق ولا عمل، فهو كافر معاند، مستكبر عن الحق، نفسه عارفة وظاهره جاحد.

(المتن)

قال: فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْنَ، وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ.

(الشرح)

هذا يرجع إلى التوحيد، **أي**: التوحيد الذي تذكرونه حق.

(المتن)

وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا.

(الشرح)

ونحن نفهم هذا ونعتقد أن الذي تقولونه هو الحق، وأن الذي أنتم عليه هو الحق، وهو الدين.

(المتن)

وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنْ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ.

(الشرح)

أي: أن هؤلاء يعرفون التوحيد، ويفهمونه، ويعتقدونه؛ لكنهم لا يعملون به من أجل الدنيا، إما من أجل أن يبقى إمامًا، فيقول الشرك، أو يعمل الشرك، يقرأ البردة التي فيها الشرك، مع علمه، من أجل أن يبقى إمامًا، أو من أجل أن يبقى في البلد، حتى لا يخرج من القرية، أو من أجل أن يكون له جاه؛ لأن قومه يستهينون بالموحدين، ومن كان موحدًا لا جاه له عندهم، نعم والله بعض من ينتسبون إلى الإسلام الكافر عندهم أحسن من الموحد.

الشاهد: أنهم يتركون النطق والعمل بالتوحيد من أجل الدنيا، وهذا كفر ولا شك، وليس في ذلك عذر يقول والله خفت على أولادي، وأفصل من الوظيفة، وما يكون عندي مال، هذا ليس عذرًا؛ بل التوحيد أغلى من هذا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

(الشرح)

أي: أنهم مستيقنون؛ لكنهم غير عاملين من أجل الدنيا، وهذا لم يخرجهم عن كونهم كفارًا؛ بل هم كفار.

(المتن)

قال: فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِراً وَهُوَ لا يَفْهَمُهُ وَلا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ؛ فَهُوَ مُنَافِقٌ في الدرك الأسفل من النار، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

(الشرح)

فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا، فهو في الظاهر يعمل أعمال الموحدين، وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه، عدم الاعتقاد بالقلب -يا إخوة- قد يكون لعدم الفهم، أو لعدم الإذعان، وذلك ثمرة الإعراض عن العلم، وقد تعالَى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:٢٤].

وقد يكون عدم اعتقاد القلب مع العلم والفهم، فيعلم ويفهم؛ لكن لا يعتقد، وهذا قليل، فإن الغالب أن من يعلم يستيقظ بقلبه؛ لكن يأبى، ويعرض.

إذًا -يا إخوة- من علم وفهم الغالب أن يستيقن بقلبه؛ لكن من الناس من يستيقن بقلبه ويؤمن، فيكون موحدًا، ينطق بالشهادتين، ويعمل بالتوحيد، ومن الناس من يستقين بقلبه ويجحد بظاهره، فلا ينطق بالشهادتين ولا يعمل.

ومن الناس من لا يعتقد بقلبه، ويذعن بظاهره، ظاهره موحّد وقلبه مشــرك، وهذا هو النفاق، إظهار الإســلام وإبطان الكفر، فهو منافق، كالمنافقين الذين في زمن النبي صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ ظاهرهم مع الصــحابة، وباطنهم الْكُفْر: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَــهُمْ﴾ [البقرة:٩].

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ طَوِيلَةٌ، تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ: تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً.

(الشرح)

ترى من الناس من يعرف الحق، والله -يا إخوة- في شخص جاء درس هنا في مكة، ودرس في جامعة أم القرى، درس الكلية، درس الماجستير، درس الدكتوراه، وكتب رسالة في دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب على الصواب، رجع إلى بلاده، لَمَّا أرادوا أن يجعلوا زعيمًا على الجماعة ما يرضون أن يضعوه على هذا الحال، أظهر الشرك، وصار يهاجم التوحيد والموحدين، ويهاجم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ويظهر هذا، هذا من أجل الدنيا، من أجل أن يكون زعيمًا على هذه الجماعة، فمن الناس من يعرف الحق، لكن يترك العمل به ويظهر خلاف ما يعتقد لخوف نقص الدنيا، يفصل من الوظيفة، أو نحو ذلك، أو لنقص الجاه والمنزلة، أو للمدارة، **ما المقصود بالمدارة هنا؟**

ملاينة الناس، وملاطفتهم بترك التوحيد، الأصل في المدارة أنها حسنة؛ لأن المدارة تعني التمسك بالحق وملاطفة الخلق بالعبارات الحسنة، أن يتمسك الإنسان بالحق ما يتنازل عنه، ويلاطف الخلق بالعبارات الحسنة؛ لكن المقصود بالمدارة هنا المقصود الشيء ملاينة الناس، وملاطفة الناس بترك التوحيد، والعمل بالشرك.

(المتن)

قال: وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا.

(الشرح)

أي: يعمل به مجارة لمن معه، أما قلبه فغير معتقد، كما في حال المنافقين.

(المتن)

قال: فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ: إِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ.

قال رَحِمَهُ الله: وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ -تعالىٰ-.

(الشرح)

الشيخ هنا يقصد بهذا التقرير الذي يأتينا أن يعلم المسلم أن أعظم أموره على الإطلاق التوحيد، وأن أخطر ما يكون عليه الشرك الأكبر الذي يشقى به شقاءً دائمًا مطلقًا؛ فالفرض اللازم أيها المسلم أن تحرص على التوحيد حرصًا شديدًا، وأن تخاف الشرك، وأن تبتعد عنه بعيدًا، وإياك أن تغتر بكونك موحدًا مع الموحدين، فتتساهل في أمور الشرك أو في أمور التوحيد، أو تغتر بأن هناك أعذارًا فكيف يأمن من يأتي بشيء توحد الله من فعله بالخلود في النار، أن ينطبق عليه الوعيد، وما الذي يدريه أن العذر متحقق فيه، وما الذي يدريه أن العذر الذي فيه مانع -سبحان الله!

هذا كمن يشرب السم ويقول هناك أدوية، ولا يغتر المسلم بأعذار الدنيا؛ ليتساهل في التوحيد، وهذا يقتضي من العبد العاقل وجوبًا قطعيًا ألا يعبد إلا الله بما شرع الله، وأن يجتنب كل شرك، ويريد الشيخ منك أيها المسلم أن تعلم أن التوحيد أغلى وأنفس من الدنيا وما فيها، فلا يجوز ترك التوحيد بسبب الدنيا أو بعضها، ولا يعذر من أظهر الشرك من أجل رغبة في شيء من الدنيا، أو من أجل خوف شيء أن يفقده من الدنيا، أو من أجل أن يحصل على منصب، لا يعذر إلا من أظهر الكفر مكرهًا، معتقدًا غير شاك، وهذا سيأتي تفصيله.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ: أُولَاهُمَا: مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

(الشرح)

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوُا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ؛ أَعْظَمُ مِمَّنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

(الشرح)

تقدم معنا -يا إخوة- الكلام على هذه الآية، وأن من العلماء من يقول: إن هؤلاء الهلكة كانوا منافقين، وهو الراجح، فيكون معنى الآية: لا تعتذروا قد كفرتم ظاهرًا بعد إيمانكم ظاهرًا، كنتم تبطنون الكفر وتظهرون الإيمان، فَلَمَّا قلتم ما رأينا مثل قرآنا هؤلاء استهزاءً بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المؤمنين ظهر كفركم.

وبعض العلماء يَقُولُون: إن هؤلاء كانوا مؤمنين حقيقة لا ظاهرًا فقط ثم ارتدوا، وكفروا بهذا، وهذا الذي أشار إليه الشيخ هنا.

وعلى القولين -يا إخوة- علق الله كفرهم باستهزائهم، بإظهارهم الكفر مزاحًا ولعبًا كما قالوا.

فإذا قُلْنَا: أنهم منافقون علق ظهور كفر باستهزائهم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة مزاحًا، ولعبًا، وتمضية للوقت.

وعلى القول بأنهم كانوا مؤمنين علق الله كفرهم بفعلهم هذا، فدل هذا على أن هذا سبب للكفر، فترك التوحيد، وفعل الكفر، وقتًا يسيرًا بسبب الضحك والمزاح، كفر به هؤلاء، فكيف بمن يترك التوحيد، ويفعل الكفر جادًا وقتًا طويلًا.

انتبهوا -يا إخوة- أولئك تركوا التوحيد وأظهروا الكفر بالاستهزاء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة وقتًا قليلًا مزاحًا، هزلًا، فكفرهم الله عَزَّ وَجَلَّ، فكيف بمن يترك التوحيد، ويظهر الشرك وقتًا طويلًا، جادًا في ذلك من أجل عرض من أعراض الدنيا؟!

لَا شَكَّ أن هذا أولى بالكفر، الجاد أولى بالكفر من المازح، فكيف لا يكون العبد عاضًا على التوحيد بنواجزه، حذرًا من الشرك كله، بعيدًا عنه مهما كانت الأسباب، فالتوحيد أغلى، والتوحيد أعلى.

(المتن)

قال رَحِمهُ الله: وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾.

(الشرح)

هذه الآية: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ)، من أجل شيء من الدنيا رغبة أو رهبة، (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ)، إكراهًا تتوفر شروطه: (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)، فأظهر الكفر بقول أو فعل مع اطمئنان قلبه بالإيمان، فهذا معذور، ويبقى إيمانه؛ ولكن من شرح بالكفر صدرًا، فمن شرح بالكفر صدرًا كفر ولو كان مكرهًا؛ لأنه لا يتسلط أحد على قلب الإنسان.

إذًا -يا إخوة-:

✓ **عندنا:** مظهرًا للكفر قولًا أو فعلًا بلا إكراه، وإنما لعرض من أعراض الدنيا، وهذا كافر عرف التوحيد وتركه لعرض من أعراض الدنيا، فهذا كافر.

✓ **وعندنا:** مظهر للكفر قولًا أو فعلًا مع الإكراه الذي تتحقق شروطه، مع اطمئنان قلبه بالإيمان، فهذا مؤمن.

✓ **وعندنا:** مظهرًا للكفر قولًا أو فعلًا مع الإكراه؛ لكن مع انشراح صدره، ورضا نفسه، فهذا كافر؛ ذلك سنعلق عليه إن شاء الله عند كلام الشيخ بعد قليل.

(المتن)

قال رَحِمهُ الله: فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ.

(الشرح)

لم يعذر الله من هؤلاء الذين عرفوا التوحيد وتركوه؛ لغرض من أغراض الدنيا.

(المتن)

قال: فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ -سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ.

(الشرح)

أو مشحة بوطنه أي: إذا خير بين ترك الوطن والشرك فاختار الشرك، فكان ولاؤه للأرض، للوطن أعظم من ولاؤه لله، ولا شك أن هذا كفر أن يختار الشرك من أجل أن يبقى في الوطن؛ بل إذا

خاف على دينه وجبت عليه الهجرة، أما أن يفعل الشرك؛ ليبقى في وطنه فلا شك أن هذا شرك، والصحابة -رضوان الله عليهم- هاجروا من مكة إلى الحبشة، وهاجروا من مكة إلى المدينة؛ فرارًا بِدِيْنِهِمْ.

لكن هذا -يا إخوة- لا يعني أن الوطن لا قيمة له كما يريد بعض الجهلة أن يقول اليوم؛ بل الوطن إذا كان فيه الدين، وكان فيه التوحيد، وكان الإنسان يستطيع أن يقيم دينه فيه، فإن له قيمة، وله محبة ترجع إلى الأصول الشرعية من البيعة، ونحو ذلك، فنحن بين طائفتين، طائفة تقدم الوطن على الدين، وتقول الحكم للوطن ولا حكم للدين، فنحلب من معنا في الوطن ولو أمرنا الله ببغضه، وطائفة تقول لا قيمة للوطن، ويخالفون الشرع والطبع، فإن طبع الإنسان أن يحب المكان الذي ولد فيه، ونشأ فيه، وألفه، بل كان العرب يعرفون قيمة الرجل بتحننه لوطنه، وهو فطرة حتى في الحيوانات، بعض الجمال إذا بيعت ونقلت إلى مكان بعيد يلحظ عليها أنها إذا جاء المساء تضرب بأعناقها إلى جهة المكان الذي كانت فِيْهِ.

ثم قد تذهب وتسير الأوقات الطويلة التي قد تصل إلى أشهر حتى ترجع إلى ذلك المكان، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا كان في سفر فقدم إلى المدينة، حرك دابته وأوضع راحلته من حبه لها، ذكر الحافظ بن حجر في الفتح أن في ذلك مشروعية حب الوطن، ودائمًا سبحان الله! أهل السنة وسط، يضعون كل شيء في موضعه.

(المتن)

قال: أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ.

(الشرح)

أو أهله أو عشيرته، **أي:** عصبية لأهله، أو عصبية لقبيلته، يأتي بعض الناس ويقول: والله لا أعرف هذا التوحيد؛ لكن جدي مات على هذا، وأبي مات على هذا، وبعضهم يقول قبيلتي على هذا، أو عصبية للعلماء الذين درس عليهم، وهم يخالفون في هذا الباب، أو نحو ذلك.

(المتن)

أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ-؛ إِلَّا المُكْرَهُ.

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا المُكْرَهَ.

(الشرح)

فلم يستثنَ الله من الأسباب الدنيوية التي ذكرها الشيخ قبل قليل، فمن ترك التوحيد رغبة في الدنيا، أو رهبة، أو مدارة، أو مجاملة، أو رغبة في البقاء في وطنه، وعدم الهدرة، فإنه يكفر؛ لأنه عرف التوحيد وتركه من أجل الدنيا، ولا يعذر إلا من فعل الشرك ظاهرًا أو قاله ظاهرًا مع اطمئنان قلبه بالإيمان.

(المتن)

قال: وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَىٰ الكَلَامِ أَوِ الفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

(الشرح)

ولذلك يُشْتَرَط في العُذر بالإكراه أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان، أَمَّا إِذَا انشرح الصدر، فهذا لا أثر للإكراه فيه، وإنما هو من صاحبه.

(المتن)

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾.

(الشرح)

(ذَلِكَ)، **قال بعض العلماء أي:** ذلك الكفر، بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

وقال بعض العلماء: ذلك الْكُفْر، والعذاب، والغضب بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكفروا بسبب إيثار الدنيا على الآخرة، فأحبوا الدنيا محبة عظيمة، فآثروها على الآخرة فأظهروا الشرك، فكانوا من أهل العذاب والغضب.

(المتن)

قال رَحِمَهُ الله: فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ.

(الشرح)

اقرأ الذي في الحاشية.

(المتن)

قال: الكفر والردة.

(الشرح)

في بعض النسخ الشيخ أخذ بالقول الأول، وهي النسخة المذكورة في الحاشية أنه الكفر، وفي بعض النسخ أخذ بالقول الثاني، وهو أنه ذلك الكفر والعذاب.

(المتن)

فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الِاعْتِقَادِ، أَوِ الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظّاً مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ.

(الشرح)

فمن عرف التوحيد وتركه، وأظهر الشرك بسبب شيء من الدنيا مهما كان، فإنه لا يعذر؛ بل هو كافر، خارج عن الدين، خارج عن الملة، خارج عن الإسلام، لا يعذر من عرف التوحيد وتركه إلا إذا كان مكرهًا إكراهًا صحيحًا ثابتًا مع اطمئنان قلبه بالإيمان، وما أعظمها خسارة! فماذا تساوي الدنيا كلها أمام التوحيد، والله لو أن الإنسان بقي موحدًا فقيرًا لا يجد إلا القليل لكان مفلحًا، فائزًا، ولو أنه جمعت له الدنيا، فما من شيء من متع الدنيا وأعراض الدنيا إلا وهو يحصله، مع تركه التوحيد، ومع شركه بالله، لكان خاسرًا شقيًا، وسبحان الله! كيف يترك العاقل الدين من أجل الدنيا، هذه الدنيا لا تساوي شيئًا، ولربما أعطي ما يريد من الدنيا التي ترك من أجلها التوحيد أو الدين، ثم سلب منه، ما يهنئ به، ولا يستقر في يده، وقد يعطى ما يريد من الدنيا، فيموت فورًا، فيخسر دينه ولا يتمتع بهذه الدنيا التي أعطيها، ولو أعطي ما يريد من الدنيا وبقي ما متاع الدنيا؟ **متاع الدنيا في الآخرة قليل، لا شيء، وعلى كل حال فهو خاسر خسرانًا عظيمًا.**

إذًا أيها المسلم اعلم أن الربح والفلاح والفوز وطيب الحياة في الدنيا، والمفازة في الآخرة، إنما هو في التوحيد، فأغلى ما يكون على الإطلاق التوحيد، فتمسك به، وإياك ثم إياك أن تتساهل في أمور الشرك، وإياك أن يغرك الشيطان فتترك التوحيد بعد أن عرفته، فذاك والله هو الخسران الْعَظِيم، بهذا نكون قد ختمنا شرح هذا الكتاب العظيم، النفيس، كثير الفوائد، إذا فهم على الوجه الْصَّحِيْحُ.

ونحن يا معاشر الإخوة نرى أن أعظم ما ندعوا إليه التوحيد، وأن والله لو بذلنا في الدعوة إلى التوحيد كل أوقاتنا، وكل أموالنا، لكان ذلك قليلًا، الأمة بحاجة إلى من يعلمها التوحيد، ويحذرها من الشرك على وجه التأصيل والتبين والتقريب، ولا سيما في أيامنا هذه حيث كثر الدعاة إلى الشرك، والتغرير بالناس، فما أحوج الأمة إلى المصلحين الذين يعلمون التوحيد، وينشرون التوحيد، وكل واحد منا -يا إخوة- عليه مسؤولية، عليه أن ينشر ما تعلم وما علم ولو بنشر بعض مقاطع العلماء الكبار، صيانةً للتوحيد، وحماية للأمة من التغرير بها، ونحن خصصنا يوم السبت فجرًا لدروس العقيدة والتوحيد.

ومنهجي في كل دروس العقيدة أني في كل مسألة أراجع كلام أئمة أهل السنة قديمًا وحديثًا، فإن كانت كلمتهم واحدة مع اختلاف الأسلوب وهذا الغالب الأعم الذي يكاد يكون مطردًا قررت ما يقولون بأسلوب قريب، وإن وجدت أن كبار أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا اختلفوا في تقرير المسألة، وهذا نادر لا أقول قليل، نادر؛ بل لا أتذكر الآن أنه مر بي إلا في مسألة واحدة، فإني أجمع كلام أهل السنة والجماعة جميعًا ما استطعت، ثم أنظر في أدلة كل قول، ثم اختار الأقرب إلى الدليل، وهذا كما قلت حصل معي في مسألة وَاحِدَة.

وقد أشرنا إليها أثناء شرح كشف الشبهات، فأقرر ما قرره بعض أهل السنة، ورأيت بالنظر العلمي المحض أن قوله أقوى دليلًا، من غير تحقير للقول الآخر، هذا منهجي المطلق في تدريس العقيدة، أحرص على تأصيل العلم، وأخذه من أئمة أهل السنة الكبار، وعلى التهذيب والتقريب بالأسلوب الذي أرى أنه أقرب إلى الفهم، أبتغي بذلك ما عند الله، وأرى أن للذين يستمعون إلى منة علي، ويعلم الله أن لا أرى منة لي على أحد، وكل ما أتمناه وأسأل الله أن يكون الكلام الذي أقوله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وأن ينفع الله به أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعلم الله أني أتمنى أن يعرف الناس الحق من غير معرفة لي؛ لكن ابتلينا فنسأل الله أن يعيننا، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل في كلامنا خيرًا وبركة.

كما ذكرت البارحة -يا إخوة- ستتوقف دروسي إلى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة إن شاء، حيث سأعود إلى الجلوس في هذا المكان يوميًا؛ لنشرح منسك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لقرب الحج، رجاء أن ينفع الله به طلاب العلم والحجاج ومن يحضرون معنا، سيكون لي

درسان بعد العصر من يوم الثلاثاء القادم والأربعاء في مسجد سيد الشهداء عن صفة الحج والعمرة -إن شاء الله عزَّ وجل-، وأما بقية دروسي فمتوقفة إلى التاريخ الذي ذكرته.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يكفينا شرور الفتن والفتانين.

هٰذَا، واللهُ تَعَالىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.

فهرس المجالس

المجلس (١) ٢

المجلس (٢) ١٧

المجلس (٣) ٣٠

المجلس (٤) ٤٥

المجلس (٥) ٥٩

المجلس (٦) ٧١

المجلس (٧) ٨٤

المجلس (٨) ٩٥

المجلس (٩) ١٠٩

المجلس (١٠) ١٢٤

المجلس (١١) ١٤٠

المجلس (١٢) ١٤٩

المجلس (١٣) ١٦٦

المجلس (١٤) ١٨٢

المجلس (١٥) ١٩٨

المجلس (١٦) ٢١٣

المجلس (١٧) ٢٢٧

المجلس (١٨) ٢٤٢

المجلس (١٩) ٢٥٤

المجلس (٢٠) ٢٦٩

المجلس (٢١) ٢٨٥

فهرس المجالس ٣١١